عنوان الرسالة:

عروبةُ اللغة الليبية القديمة وكتابتُها

(مقاربة بين العربية والأمازيغية)

مقدّم الرسالة: **عبد العزيز سعيد الصويعي**

إشراف: **الأستاذ الدكتور/ أحمد محمّد حامدة**
أستاذ التاريخ القديم بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة دمشق/ سوريا

سنة التقديم: 2009

قُدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الدكتوراه
في جامعة St. Clements العالمية
تخصص: تاريخ قديم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

* وَمَـا كَـانَ الـنَّـاسُ إلاّ أُمَّـةً وَاحِدَةً فَـاخْتَـلَفُـواْ وَلَـوْلاَ كَـلِمَـةٌ سَبَقَتْ مِن رَبِّـكَ لَـقُضِيَ بَـيْـنَـهُمْ فِـيمَـا فِـيـهِ يَـخْتَـلِفُـونَ *

صَدَقَ اللهُ العَظِيمُ

(يونس، 19)

الإهداء

إلى

الدكتور/ علي فهمي خُشيم

الدكتور/ عثمان سعدي

الأستاذ/ محمّد شفيق

الذين فتّحوا عينيّ على كثير من الحقائق، ما كنت مدركها لولا اطلاعي على الأعمال العلمية الجليلة التي قدّموها إلى هذه الأمة.

راجياً من الله العليّ القدير أن يجمعهم في أعمال علمية واحدة تعيد الثقة في نفوسنا ضمن وحدة الأمة، ووحدة الوطن الصغير والكبير، ووحدة الدين الإسلامي، ووحدة اللغة العربية، وفي إطار الثقافة المغاربية المتنوعة التي أسّسها قدماء الليبيين منذ عصور ما قبل التاريخ إلى الآن.

عبد العزيز سعيد الصويعي
دمشق في 2009/02/01

شكر وتقدير

وأنا أختتم هذه الأطروحة، لا يسعني إلاّ أن أعرب عن امتناني وتقديري العميقين للأستاذ الدكتور/ أحمد محمد حامدة، أستاذ التاريخ القديم بكلية الآداب بجامعة دمشق على تفضله بالإشراف على هذه الأطروحة وبذله الجهد المخلص حتى انغلقت أبواب هذا العمل على فصولها. كما أشكر الأستاذ الدكتور/ محمود عامر على تفضله بالإشراف على سير الامتحانات فوفّر لي الظروف التي أفضت إلى النتائج المرجوة. وأقدم شكراً خاصاً للأستاذ الدكتور/ إياد يونس، المنسق العام لاتحاد الآثاريين العرب بدمشق على تفضله بقراءة الأطروحة وإثراء أبوابها وفصولها بالمناقشة العلمية الجادة. وأخيراً، وليس بآخر، أقدم شكري لكل السادة بمؤسسة الشارقة للاستشارات الأكاديمية والجامعية، على رأسهم الأستاذ الدكتور/ فيصل الجاسم المحمود، والأستاذين: محمد الرفاعي وفؤاد الخضراوي والآنسة تمارى جركسي على مساعدتهم ألّلا محدودة والتي استمرت قرابة الثلاث سنوات.

وفّق الله الجميع لما فيه الخير

عبد العزيز سعيد الصويعي

المقدّمة

<u>أولاً:</u> **التمهيد**

<u>ثانياً:</u> **مشكلة هذا البحث: التمايز بين الجماعات**

<u>ثالثاً:</u> **هدفُ هذا البحث**

<u>رابعاً:</u> **منهجية هذا البحث ونتائجه**

<u>خامساً:</u> **أهم مصادر هذا البحث**

<u>سادساً:</u> **الحاجة لمثل هذه البحوث**

أولا= التمهيد:

يتعرّض وطننا العربي وأمّتنا الإسلامية منذ أحداث الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) للعام 2001 لهجمات مكثفة وفي منتهى الشراسة. وقد ظهرت بوادر تلك الهجمات مع بداية الحروب الصليبية وحركة الاسترداد المسيحي، واتضحت ملامحها في الهجوم المغولي على بغداد في الشرق، والهجوم الفرنجي على الأندلس في الغرب، ثم الاستعمار الأوروبي الحديث لأفريقيا والشرق العربي. والأهدافُ -المراد تحقيقها من وراء تلك التحركات السياسية والعسكرية الحديثة- كانت معلنة تارة ومخفية تارة أخرى. فالمعلنُ منها يكمن في الوصول إلى المواد الخام لتشغيل المصانع المقامة في أوروبا عقب الثورة الصناعية، والبحث عن أسواق جديدة للبضاعة الفائضة عن الاستهلاك الأوروبي من منتجات تلك المصانع، إلى جانب مساهمة الرجل الأبيض في فتح الشعوب المتخلّفة وتخليصها من الفقر والجهل! أما الأهداف المخفية فتكمن في الخوف من وحدة العرب القومية وقوة عقيدتهم الإسلامية التي بدأت تتضح في الإمبراطورية العربية المهدّدة للغرب، علاوة على انتشار الدين الإسلامي على حساب الدين المسيحي. وحتى لا يعود العرب إلى وحدتهم ويستعيدون قوّتهم السابقة، وحتى لا يصل الإسلام إلى شمال أوروبا منطلقاً من الأندلس، وإلى مجاهل أفريقيا منطلقاً من المغرب العربي، كان لزاماً على الأوروبيين تضييق الخناق على الدولة العربية-الإسلامية ومحاصرتها اقتصادياً من الشمال عبر البحر المتوسط، ومن الجنوب عبر الخط الصحراوي، ومن الشرق عبر احتلال الهند ومن الغرب عبر السيطرة على المحيط الأطلسي، في ما عُرف بحركة الاستكشافات البحرية وتلمس طرق التجارة والوصول إلى المصادر التي كان ينهل منها العرب. ولتحقيق ذلك اعتمدوا على القوة العسكرية المتمثلة في الأساطيل البحرية الضخمة. بينما فسحوا المجال أمام مفكريهم وعلمائهم لينطلقوا بحرية تامة في دراسة كافة الأوضاع الإنسانية للإنسان العربي/المسلم بالطريقة التي تحقق تلك الأهداف غير النبيلة في كثير من الأحيان. فلم يتركوا شاردة ولا واردة إلاّ وغنموها لصالح أبحاثهم التي يجب أن تكون علمية بحتة لا علاقة لها بما يهدف إليه الساسةُ والعسكريون والتجارُ والاقتصاديون، ولكن المؤسف حقاً أن البحث العلمي كان ضمن الخطة الاستعمارية الشاملة التي استهدفت الوطن العربي والأمة الإسلامية، بل كان الأخطر على الإطلاق.

تعلّمنا من التاريخ الأوروبي -قديمه وحديثه- أن القادة العسكريين كانوا يركزّون على الجانب العلمي والثقافي عند مهاجمة شعوب وأمم غيرهم. فقد جلب (الإسكندر المقدوني)، وهو تلميذ (أرسطو)، معه العلماء عند قيامه بحملته المشهورة على الشرق سنة 333 ق.م. كذلك فعل (نابليون بونبارت) في حملته على مصر سنة 1798 للميلاد. ولم يغفل عن ذلك جنرالات فرنسا عند احتلالهم

الجزائر سنة 1830 للميلاد، وغيرهم كثير ممن سار سيرتهم وانتهج نهجهم، بل ركّزت إيطاليا على الجوانب الثقافية والتبشيرية والتعليمية والاقتصادية في ليبيا قبل احتلالها بسنوات عديدة. وهذا ما يؤكد خطورة البحث العلمي ونتائجه السلبية في حال تسخيره لتحقيق أهداف سياسية وعسكرية. وكان من أهم وأخطر هذه الجوانب مسألة الخوض في العقيدة الدينية وأصول الانتماءات والثقافات الأولى، وهو ما يندرج تحت شعار روما القديم (فرّق تسد). ولأول مرة منذ سقوط الدولة العربية-الإسلامية الكبرى بدأت تظهر التفرقة بين العرب وغيرهم ممن طفقوا يبحثون عن قومية يرونها مستقلة عن العرب، وذلك من باب إثبات الهوية في زمن كانت فيه أوروبا تصدّر إلى الشرق العربي فكرة القوميات التي أثارت النزعات والبحث عن الأصول الأولى والالتفاف حولها، مثل الأكراد والأرمن في الشرق والأقباط في مصر والبربر في المغرب العربي والتوارق في الصحراء الأفريقية.. وكذلك فعل العربُ أنفسهم أمام حملة التتريك التي تبنتها جماعة الاتحاد والترقي الضاغطة على السلطان العثماني عبد الحميد الثاني سنة 1908. أدى ذلك إلى البحث عما يميّز تلك الأقوام عن غيرهم بواسطة نبش التاريخ القديم وتتبع مساربه المتشعبة بحثاً عن موطأ قدم لهم فيه. وكان البحث العلمي القادم من أوروبا -مصدر التكنولوجيا الحديثة وقدوة الشعوب المتخلّفة- يُلهب مشاعر المتعطشين لمعرفة ماضيهم وإبراز خصوصيتهم وهويتهم الثقافية بهدف إثبات انفصالهم العرقي عن العرب الفاقدين لدولتهم وصولجانهم بفعل الحصار الاقتصادي والسياسي والعسكري سالف الذكر، ولم يعودوا نافعين لحماية تلكم القوميات الجديدة على حد اعتقاد بعضهم. ومن هنا بدأ التمايز بين الجماعات.

<u>ثانياً= مشكلة هذا البحث: التمايز بين الجماعات:</u>

في الشمال الأفريقي، كما يحلو للأوروبيين تسميته، أو المغرب العربي الكبير، كما يريده العرب، أو المغرب الكبير، كما يراه دعاة النزعة الأمازيغية، كان التمايز على أشده منذ أن دخلت فرنسا إلى الجزائر سنة 1830، فشجّعت الأهالي على استخدام اللغة والكتابة البربريتين، خصوصاً في منطقة القبائل، وحاولت إدخال بعضهم إلى الدين المسيحي، وغير ذلك من مساعي التفرقة والتشرذم داخل الأمة المتماسكة منذ زمن. ثم عمّت الفكرة المغرب العربي تباعاً حسب تواريخ الاحتلال الفرنسي لبلدانه. ومن معالم تلك الحركة المدسوسة نورد العناصر التالية:

1- التمايز الثقافي:

من خلال بعض أسماء ومسميات الأماكن والسكّان التي تداولها ويتداولها المؤرخون عند حديثهم عن المغرب العربي وسكّانه يتضح التفاعل البشري والتكثّف السكّاني الذي تراكم على هذه الرقعة منذ عشرات القرون، إلى درجة صعوبة الفصل بين الأقوام والقبائل التي هاجرت أو التي عكست الهجرة، أو التي استقرّت وعمّرت المكان أو تركته، أو اختلطت بغيرها أو انفصلت عنها. فالعملية صعبة وشاقة على النفس، باستثناء محاولة الاستعمار الأوروبي الحديث الذي وجد في الفتح الإسلامي للمغرب وهجرة القبائل العربية إليه فاصلاً تاريخياً بين السكّان، ولم يركّز قط على هجرة القبائل العربية السابقة للإسلام، ولا على الهجرات الكنعانية السابقة للميلاد، ولا على غيرها من الهجرات التي باتت معروفة لدى عامة المثقفين وليس فقط المؤرخين المتخصصين، بل ركّز على الجانب العقائدي الأكثر تأثيراً على النفس البشرية. كما أن الوضع التاريخي لهذه المنطقة يفرض على الجميع أنها منذ القديم كانت تسمّى (ليبيا) وسكّانها عُرفوا بـ(الليبيين)، هكذا كان المؤرخون -قديمهم وحديثهم- من (هيرودوتس) الكلاسيكي إلى (توينبي) المعاصر، مما يشير إلى وحدة أفريقيا الشمالية أرضاً وسكّاناً. فلماذا تمزيق هذه الوحدة بتاريخ (ما قبل الإسلام وما بعده) في هذا الوقت بالذات؟

هذا الوضع فتح أبواب التعصّب والتمايز على مصارعها، فهذا يرى في التاريخ القديم عراقة وأصالةً وأحقيةً في المكان، وذاك يرى في التاريخ الإسلامي فتحاً دينياً وحضارياً كان سبباً في إنشاء الدول وانتشار المدنية المتطورة التي بلغت مداها في الأندلس وغيرها. وعندما عجز الجميع عن اختراق الجدار الديني -باستثناء الاختلافات المذهبية- ظهر مبدأ الاعتزاز بخصوصية الثقافة واختلاف الواحدة منها عن الأخرى. فطفق البعضُ ينسج أنسجةً مختلفة الألوان ويختار لها خيوطاً وأدوات لا تتفق مع المنهج العلمي ولا تنسجم مع النسيج التاريخي الذي يبدو -من الناحية المنطقية على الأقل- مقبولاً. فانقسم الجميع بصورة غير منهجية إلى فرق مؤثرة في أهم الجوانب الثقافية القابلة للاختلاف والتنوّع حتى بين الجماعات الصغيرة المنتمية للجماعات الكبيرة، مثل:

أ-الجغرافيا: فريق يتحرّج من ذكر تسمية شمال أفريقيا بـ(المغرب العربي الكبير)، ويكتفي بتسميته بـ(المغرب الكبير). وفريق ثان يصرّ على عروبته. وفريق ثالث يستثني مصر من جغرافية الشمال الأفريقي ويلحقها بالشرق. وفريق رابع كان لزمن ليس ببعيد يستبعد ليبيا من كتلة المغرب -عربياً كان أو كبيراً-. وما ينطبق على الإقليم الشامل ينطبق أيضا على بعض المواقع فيه، مثل (الجبالية) وهم سكان الجبل، و(التريفت) وهم سكان الريف، وكذلك الساحلي والصحراوي والجفاري (ساكن السهول والبوادي)، ناهيك عن المدن والقرى على كثرتها وتنوعها. وقد تندرج تسمية (الشمال الأفريقي) ضمن المخطط الاستعماري الذي يركّز دائما على ترسيخ مثل هذه

المسميات التي تُبعد الأماكن المستهدفة عن أصولها الموحّدة منذ آلاف السنين. ولعلّ تسمية الشرق العربي بمسمى (الشرق الأوسط) كان بهدف الاعتراف بالكيان الصهيوني ودولته الإسرائيلية المغروسة كالخنجر المسموم في قلب الأمة العربية والإسلامية، واعتباره جزءاً طبيعياً من أرض كانت لآلاف السنين رمز الحضارة العربية القديمة، ثم تُوّجت بالدين الإسلامي وحضارته العظيمة التي أنارت طريق الشعوب على كافة المستويات الحضارية.

ب-التاريخ: فريق يتحمس لأصل (شيشنق) مثلا، على أنه بربري/أمازيغي. وفريق ثان يقول بأصله العروبي. بينما يراه فريق ثالث بأنه فرعون مصري لا علاقة له بالأمازيغية ولا بالعروبة. وفريق رابع يتخذ جانب الحياد، معتمداً على المصادر التاريخية التي ذكرت شيشنق، فيرجعه إلى أصول ليبية قديمة. وما ينطبق على (شيشنق) ينطبق أيضاً على عدة شخصيات وأحداث تاريخية أخرى، خصوصاً القديم منها. وحتى يكون للأمازيغ تاريخ مميّز وتقويم خاص، أختير يوم اعتلاء (شيشنق الأول) لعرش مصر سنة 945 ق.م. بداية للسنة الأمازيغية. وفي ذلك تحايل على التاريخ لا يقرّه المنهج العلمي النزيه، لأن (شيشنق) وقبيلته (المشواش) لا علاقة لهم بحركة تاريخ المغرب العربي القديم، ولم ينطلقوا أساساً مما يُعرف حاليا ببلدان الشمال الأفريقي كليبيا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى، بل كانوا قريبين من وادي النيل، بين برقة والإسكندرية، وقريبين أيضاً من الواحات المعروفة بالجغبوب وسيوة والداخلة والخارجة والفرافرة وغيرها، مخترقين بذلك الحدود الوهمية الحالية بين مصر وليبيا! وكان شيشنق وأجداده الأوائل مولودين في الدلتا، ولم يحتلّوا مصر قادمين إليها من الأوراس بالجزائر. فمن أين استقى هؤلاء المتمزّغون معلوماتهم يا تُرى؟

ج-اللغة: فريق يرى في اللهجات الأمازيغية على أنها من أصل لغة قديمة لها خصوصيتُها المختلفة عن اللغة العربية. وفريق ثان يرى أنها أخت اللهجات العربيات التي كانت متداولة في شبه جزيرة العرب، خصوصاً في جنوبها. وفريق ثالث يقول أنها أخت الأكّدية والكنعانية والمصرية القديمة. وفريق رابع يرى أن اللغات السالفة الذكر كانت أساس اللغة العربية الحديثة (العدنانية)، وبالتالي فإن لهجات كل العرب -مشارقة ومغاربة- تدفقت من نبع واحد. وما ينطبق على اللهجات ينطبق أيضاً على مقومات تراثية أخرى كالعادات والتقاليد والأغاني والمراسم الاحتفالية المختلفة وغيرها.

د-الدين: وهو العامل الأقوى. فمنذ أن اعتنق المغاربة الدين الإسلامي تمسّكوا به وحافظوا عليه ودافعوا عنه وساهموا في نشر تعاليمه في الأندلس ومجاهل أفريقيا. غير أن التمايز الثقافي بينهم وبين العرب الفاتحين كان حاضراً في الجانب الديني، حيث تمكنت بعض الفرق القادمة أصلاً من الشرق من نشر مبادئها في المغرب العربي، وذلك مثل الخوارج والمعتزلة والأزارقة والصفرية

والشيعة، إلى أن ترسّخ المذهب الإباضي -دون غيره- جنباً إلى جنب مع المذهب المالكي، فكان أكثر اعتدالاً من غيره وأكثر قرباً للسنة. وبالتالي فإن الجانب الديني كان عامل توحيد لا علاقة له بالتنوع والتعددية التي قد تنطبق على العوامل السابقة، بل أن الجميع كان يشترك في خصوصية المذهب الواحدة دون تحرّج، وذلك مثل ما فعله المغاربة مع إدريس بن عبد الله ودولته الإدريسية، وأبو عبيد الله الشيعي ودولته الفاطمية، وما فعله العرب مع المغاربة، وذلك مثل أبي عبد الأعلى بن السمح اليمني الذي استشهد في طرابلس أمام الجيش العبّاسي وهو يدافع عن المذهب الإباضي ويقوم بنشر تعاليمه في جبل نفوسة والقيروان وتاهرت وغيرها.

2- التمايز العرقي:

هذا الجانب يراه البعض خطيراً، ولا نراه هكذا. فإذا كان الأصل العرقي يعني الدماء التي تجري في العروق، فهي واحدة، ولا يمكن تمييز الأجناس من خلالها. وأما إذا كان يعني الجينات الوراثية التي تتكون منها خلايا الأجسام، فهذا يعني أن لها مصادر ذات خيوط متشعّبة يستحيل تتبعها والحكم عليها، إذ تتحكم فيها مسألة الاقتران بالزواج وما يحمله المولود الجديد من جينات وراثية تشترك فيها الخؤولة والعمومة وما تحمله هي أيضا من موروثات جينية على امتداد الأجداد السابقين. وبالتالي يصعب إرجاع الشخص إلى فئة معيّنة أو جنس معين، ولا يمكن القول أن هذا يحمل جينات وراثية عربية وذاك يحمل جينات وراثية أمازيغية، خصوصاً وأن اختلاطاً قد حصل في الدماء منذ الأزمان السحيقة السابقة للميلاد والسابقة للإسلام أيضاً، ناهيك عن تلك التي حصلت بعد الإسلام الذي سوّى بين الأجناس.

أما مسألة العرق أو الدم النقي، فهي دعاية إسرائيلية قالت بأن أبناء (ياهوه) المختارين هم الأنقياء وما دونهم فهم (أميم) أي ليسوا أنقياء الدم. رغم أن اليهود كانوا من نسل إبراهيم عليه السلام. وعندما قدم إبراهيم من أور الكلدانيين إلى فلسطين وغور الأردن لم يجلب معه شعباً ولا أمّة، بل كان مصحوباً فقط بزوجته سارة وابن أخيه لوط عليه السلام وبنتيه. فدخل العبرانيون في خضم الجنس الكنعاني، وكانوا يسيحون في المنطقة على هيئة بدو رحّل قبل أن يدخلوا إلى مصر في عهد يعقوب عن طريق ابنه يوسف عليهما السلام. إذن فمسألة الدم النقي أكذوبة اخترعتها أسفار اليهود للتعويض عن فشلهم في التأقلم مع المجتمعات التي عاشوا ظهرانيها سواء أكان ذلك في مصر أو في فلسطين أو في بلاد الرافدين أثناء السبي البابلي.

وفي هذه الحالة لا تكون العروبة عرقاً ودماً مميزاً، بل كان العرب قد تشكلوا من عدة أجناس اختلطت دماؤهم في شبه الجزيرة على هيئة قبائل إبّان العصر الجاهلي. وما تسميتهم بالعرب سوى أنهم كانوا بدواً رحّلاً يعيشون في العراء ويعربون الماء، وهكذا كان حال قدماء الليبيين قبل أن

يأخذوا بأسباب الحضارة الوافدة لهم مع أبناء عمومتهم الفينيقيين الكنعانيين، خصوصاً إبّان الحروب البونيقية وفي عهد الإغليد النوميدي (مسينيسا) تحديداً. وما تسميتهم بالبربر سوى أن الإغريق بناة مدينة قورينا لم يفهموا لغتهم فتصوروها بربرةً في الكلام. أما الأمازيغية فهي رغم وجود جذرها الأول في اللغات القديمة -والذي قد يميل إلى معنى الفروسية وما ينجرّ عنها-، إلاّ أنها ليست عرقاً ولا دماً معيناً، بقدر ما تعني الشجاعة والإقدام، وهي صفات البدو الرحّل الذين كانوا يعيشون في العراء ويعربون الماء، شأنهم في ذلك شأن العرب قديما. كما أن كلاً من العرب وقدماء الليبيين (الأمازيغ) كانوا يتجوّلون غرب بؤر الحضارات الثابتة التي تأسست في دجلة والفرات بالنسبة للكنعانيين في سوريا، وفي وادي النيل بالنسبة لقدماء الليبيين في الشمال الأفريقي، وكانت الغين المعجمة في (غرب) والعين المهملة في (عرب) متعاقبتين ومتبادلتين في اللغات القديمة. وبالتالي فان كلاً من عرب الجزيرة وأمازيغ المغرب العربي يشتركون في العروبة بحسب دلالات المصلح، بغض النظر عن التمييز التاريخي للأقوام الذي يجب أن يهتم بالشرح المنهجي أكثر من اهتمامه بالتفريق بين الدماء والأعراق بصورة لا يحتملها المنهج العلمي.

العرب -في عصرهم الجاهلي- كانوا يهتمّون بالأنساب ويتفاخرون بها. ورغم نهي الإسلام عن التعصّب القبلي، إلاّ أن القبائل العربية التي ساهمت في الفتح لا تزال على عصبيتها حتى بعد استقرارها في الأمصار المفتوحة. وعندما جاء العرب إلى المغرب إبّان الفتح وبعده بقرون، كانوا يتباهون بأنسابهم وانتماءاتهم. فهذا يفتخر بأجداده اليمنيين القحطانيين، مثل صنهاجة وكتامة. وذاك يذكر مآثر أجداده المضريين العدانيين، مثل بني سُليم وبني هلال. بل رأى آخرون أن الجانب الروحي أفضل وأشد تأثيراً من غيره، فأرجعوا نسبهم إلى الرسول (صلى الله عليه وسلّم)، رغم أنه لم يُخلّف ذكوراً وتوقف نسله لحكمة لا يعلمها إلاّ الله، مما جعل المنتسبين إليه يصلون أجدادهم بفاطمة الزهراء بنت رسول الله وزوجة عليّ ابن عمه.

وأمام هذا التفاخر بالأنساب والتباهي بالأصول الشريفة، لا تجد الشعوب المفتوحة إلاّ التبرؤ من الجنس العربي أولاً، ثم البحث عن جذور لهم في سراديب التاريخ وغياهب الماضي، علّهم يجدون لهم أجداداً لم يكونوا مهتمّين بهم في السابق. وإلى حد الآن لا يستطيع أحد من الأمازيغ إيجاد تفسير محدد لمصطلح (مازيغ)، هل هو من أصل الاسم (مازيغ بن كنعان، جد الأمازيغ)، أو أنه يعطي مدلولا لغويا بمعنى (الرجل الحر) حسب تفسير بعض الكتّاب الفرنسيين. كما لا يستطيع أيضاً إعطاء تفسير معيّن لمصطلح (بربر)، هل هو مشتق من اسم (بر بن ثميلا، جد البربر)، أو أنه مجرد معنى لغوي مركّب يفيد (التبربر والهمجية) حسب تفسير القواميس اللاتينية.

وفي غمرة هذه الانتماءات، عربية كانت أو أمازيغية، لا يوجد شيء ثابت مدعّم بالوثائق العلمية، سواء أكانت أدلّة تاريخية أو تحاليل إثنوغرافية. فالجميع يتقاسم المكان ويتنفس من هوائه ويرتوي بمياهه ويتغذى على خيراته، ويشترك مع غيره في المصلحة والمصير. وما الأصول الأولى إلاّ تراكم تاريخي تفاقم مع الزمن وشكّل هذه التوليفة من الثقافات المتنوّعة التي تقوّي وحدة السكّان ولا تضعفها. أما إذا لزم الحديث عن أحداث التاريخ القديم وشخصياته، فلا يمكننا التحايل على مسمياته بدافع إثبات الوجود التاريخي في خضم تلك الأحداث. فالفرعون (شيشنق الأول) مثلا، لم يكن بربرياً ولا أمازيغياً ولا عربياً، وإنما كان ليبياً، ينتمي إلى قبائل ليبية أطلق عليها الكتّاب الكلاسيكيون اليونان أسماءها الخاصة كالتحنو والليبو والمشواش وغيرها، وحدّدوا مكانهم الجغرافي بشرق ليبيا وغرب مصر (الحاليتين)، ولم يتعرّض أيٌّ منهم لما يتردد الآن من أسماء ومسميات، لأنها لم تكن متداولة آنذاك، كدليل على أنها مخترعة وليست أصيلة. كما لا يغربنّ عن الأذهان أننا مستهدفون سياسياً واقتصادياً، وهما جانبان مؤثران -بصورة مباشرة- في الجوانب الثقافية والاجتماعية والروحية. وذلك بهدف إحداث الخلخلة والتذبذب وإضعاف الجماعة المتماسكة عن طريق بث الفرقة في صفوفها باسم خصوصية الثقافة وحرية الأديان. والدليل على ذلك ما يتردد من حديث عن النزعة البربرية والنزعة الفرعونية وغيرها من العصبيات التي بدأت تظهر داخل الوطن الواحد، ولا نستثني النزعة العروبية إذا كانت غير شريفة المقاصد. ولا يمكن تخطي هذه العقبات إلاّ بالتعقل والروية، والركون إلى البحث العلمي الرصين والممنهج ودراسة التاريخ، خصوصاً القديم منه، دراسة دقيقة ومتأنية، لما يحمله بين طياته من غموض فرضه علينا الغير. ولعل نوايا الصهيونية وحركات اليهود العالمية تهدف إلى إفساد تاريخنا وجعله يصب في مصلحتها. وفي الوقت نفسه نرى بعض المختصّين العرب يهللون ويكبّرون ويستقبلون البحوث العلمية والأفكار والآراء الواردة من الغرب على علاّتها، ويؤمنون بها كما لو كانت منزّلة من السماء!

إن النزعة الفرعونية -على سبيل المثال- لا ترتكز على أي أساس تاريخي، وليس لها أي مبرر علمي، بل هي تعصّب أعمى مدفوع بنوايا غير شريفة. ويتضح ذلك -بكل بساطة- في أن الفرعونية لم تكن في يوم من الأيام عرقاً معيناً، ولا أصلاً مميزاً، بل كانت صفة مصنوعة أريد بها التعبير عن تاريخ حضارة قدماء المصريين. إن المصطلح التاريخي (فرعون) لم يكن اسم عَلم لأحد، بل كان لفظاً يفيد الإشارة إلى أعلى سلطة في الدولة المصرية القديمة، أي أنه مرادف لكلمة (ملك) ولا يعني شيئا آخر سواها. إلاّ أن دعاة النزعة الفرعونية جعلوه صفة رسمية لصيقة بالشعب والتاريخ والحضارة والثقافة والديانة والعلوم واللغة والكتابة المصرية القديمة، كما لو كان الفراعنة ملوكاً بدون شعب، وهذا في حد ذاته إجحاف في حق الشعب الذي صنع مقومات الحضارة المصرية

القديمة الرائعة على امتداد أكثر من ثلاثين أسرة حاكمة، اعتلى العرش -في كل واحدة منها- مجموعة من الملوك.

ولعل الهدف من إثارة النزعة الفرعونية يصب في إقصاء تاريخ مصر وإبعاده عن تاريخ المنطقة إجمالاً، وإعطائه شيئا من الخصوصية المعزولة عن التفاعل التاريخي والحضاري الذي حصل بين شعوب هذه المنطقة، إلى درجة أنهم يتنكرون لأصول شيشنق الأول الليبية، ولا يعترفون بالتداخل الذي حصل بين قدماء المصريين والشعوب الأخرى المحيطة بهم من الشرق والغرب والجنوب أيضاً. وقد تصب هذه النزعة الانفصالية في الوعاء الذي صنعه الغرب لتاريخ الأمة العربية والإسلامية، بهدف خلق شرخ بين الأقباط وبقية العرب المصريين خاصة، وبين المسلمين والمسيحيين عامة، وجميعهم من ذوي الأرومة الواحدة. وما ينطبق على النزعة الفرعونية ينطبق أيضاً على النزعة الأمازيغية وغيرها من النزعات، وما أكثرها في يومنا هذا. في الوقت نفسه لا نجد مثل هذه النزعات تثار في أوروبا خاصة وكل بلاد الغرب عامة، باستثناء الوطن العربي والعالم الإسلامي.

وفي خضم النزعة الأمازيغية التي بدأت تتأجج نيرانها عند بعض المثقفين (الأمازيغ) في المغرب العربي الكبير، تتعالى هذه الأيام أصوات مطالبة باعتماد لغة جديدة أطلقوا عليها اسم (اللغة الأمازيغية) لتكون ضرة للغة العربية، مبدئياً، ولتحل محلّها، مستقبلياً. سيحاول هذا البحث مناقشة هذه المسألة والرد عليها بأسلوب علمي خالٍ من أي نوع من أنواع التعصّب.

ثالثاً= هدف هذا البحث:

علينا -في هذا الخضم وأمام هذه التحديات- ألاّ نقف مكتوفي الأيدي، فالواجب يحتم علينا كشف المستور وإظهاره للأجيال الحالية واللاحقة بشيء من الشجاعة والجرأة ودون خوف من لوم اللائمين، بعيداً عن التعصب الأعمى والأجوف الذي لا طائل من ورائه. فالمسألة أكثر من خطيرة على مستقبل وطننا الذي نتقاسم مقوماته دون استثناء، ومهددة لمصيرنا المشترك والموحَّد. وقد يهتم هذا البحث بالمغرب العربي الشق المتمم للوطن العربي عموماً، مركزاً -بالخصوص- على اللغة والكتابة عند قدماء الليبيين، وهما امتداد حضاري وثقافي بين سكان ليبيا القدامى وسكان المغرب العربي الكبير الحاليين، وهذا ما يدفعنا -بإلحاح- إلى البحث عما يجمع لا عما يفرّق، بأسلوب علمي بحت لا علاقة له بتقليعة القوميات الحديثة والخصوصيات الثقافية المستحدثة، فالتاريخ مصدره واحد والمقومات الحضارية والثقافية منبعها واحد، وهذا ما سينتهي إليه هذا البحث بإذن الله. غير أن المسميات التاريخية القديمة التي سيعتمدها هذا البحث لا تميل إلى المصطلحات الحديثة، مثل

مصطلح (الأمازيغية)، فاستبدل بمصطلح (الليبية القديمة)، وهي التسمية التي أطلقها الكتّاب الكلاسيكيون على رأسهم (هيرودوتس)، وكانت التوراة قد فعلت ذلك من قبل ربما أخذاً عن النصوص المصرية القديمة. أما مصطلح (عرب) فهو قديم أيضاً، حيث ذكره (هيرودوتس) في خريطته وتاريخه، وله مدلوله الخاص في اللغات القديمة، وليس القصد منها تغليب طائفة على أخرى، وإنما القصد ينصب فقط في الحفاظ على ما ورد في التاريخ القديم وليس في انتقاء المصطلحات حسب الأهواء.

أما فيما يتعلّق بمسألة استحداث (اللغة الأمازيغية) فإن هذا البحث سينتهي إلى نتيجة مفادها أنه من المستحيل على دعاة (الأمازيغية) بناء لغة مشتقة من لهجات متعددة ومتنوعة وقد تكون مختلفة، وتعميمها على الجميع. إلاّ اللهم إذا استحدثوا لغة جديدة لا تمت لتلك اللهجات بأية صلة، ومن ثم فرضها على الجميع. وهذا العمل سيكون مناف للأعراف الاجتماعية ومخالف للعواطف الإنسانية، ولا يقره المنهج العلمي، وبالتالي سترفضه الأجيال القادمة عندما تعي ذلك.

رابعاً= منهجية هذا البحث ونتائجه:

اللغة جزء مهم من تاريخ البشرية، بل هي وثيقة حية لها قيمتها التاريخية كغيرها من الوثائق، خصوصاً لدى أمة أو شعب لا وثائق واضحة له، فتكون اللغة وعلومها مجالاً خصباً لمعرفة الكثير من تاريخ تلك الأمة أو ذاك الشعب. ولعل هذا ينطبق على سكّان المغرب العربي الكبير ممن يُعرفون حاليا بالبربر أو الأمازيغ المميزين لغوياً عن بقية السكان العرب، ويُعتبر جميعهم امتداداً تاريخياً وحضارياً لما عُرف منذ القديم بقدماء الليبيين. وإذا كانت اللغة الليبية القديمة قد اندثرت في سجلات التاريخ، فإن اللهجات البربرية الأمازيغية المنتشرة حالياً بين كثير من السكان، تُعد مصدراً مهماً لربط الصلة بين تاريخهم القديم والحديث، وتوفر كثيراً من المعلومات حول أصولهم الأولى. لذا كان التركيز على اللهجات الأمازيغية المتعددة، وهي تُعد بالآلاف، واختيار بعضها لتأثيلها وتأصيلها ومقارنتها مع غيرها من اللهجات العربيات القديمة لاسيما اللغة العربية الحديثة المنبثقة -هي الأخرى- من العربيات القديمة، وبالتالي يكون مصدر اللغتين -العربية الحديثة والليبية القديمة- واحداً دون ريب. ولبلوغ هذه الغاية يلتجئ الباحث إلى معاجم اللغة العربية كاللسان لابن منظور والعين للفراهيدي، وذلك بعد إرجاع المصطلح إلى جدره الأصلي ليصير قابلاً للتأثيل والتأصيل، ومن ثم البحث عما يكافئه في اللفظ الفصيح. ولغياب النصوص التاريخية المدونة باللغة الليبية القديمة، فقد يعتمد هذا البحث على أسماء ومسميات الأماكن والأشخاص والقبائل التي بقيت على حالها منذ القديم،

قبل الغوص في لهجات البربر الأمازيغ الحالية وسبر أغوار المصطلحات التي لم تتأثر بالفتح الإسلامي حتى لا نحكم على أنها عربية منذ البداية.

وللكتابة أهميتها التاريخية، فهي الأداة التي تصوّر اللغة وتجعلها مرئية ومقروءة، كما أنها وثيقة حية تعبّر عن شخصية اللغة وأصحابها، وتضفي عليهم السمة الحضارية والثقافية الضرورية لمعرفة تاريخهم وأصولهم وانتماءاتهم الأولى. وللكتابة البربرية الأمازيغية قصة سيتعرض لها هذا البحث، وسيثبت انتقال الحروف الكتابية من المشرق العربي إلى المغرب العربي عبر الفينيقيين الكنعانيين والعرب اليمنيين، وذلك عن طريق المقارنة العلمية ومتابعة مراحل التطور الموصلة إلى خصوصية الحروف التي سميت بـ(التيفيناغ) عند التوارق المتوحشين في الصحراء الأفريقية منذ القديم.

ولتلبية متطلبات هذا البحث، كان من الضروري الاعتماد على بعض المصادر التي ذكرت اللغة والكتابة عند قدماء الليبيين، وهي قليلة، فصار الاطلاع على بعض المعاجم التي وضعها علماء المغرب -عرباً كانوا أو أمازيغ- ضرورياً. ولكن التعويل الأكبر سيكون على العمل الميداني الذي مسح مسحاً شاملاً لهجات سكان ليبيا (حاليا)، والمقارنات التي تمت بين اللهجات الأمازيغية ذاتها، وبينها وبين لهجات السكان العرب، من جهة، واللغة العربية الفصحى، من جهة ثانية. إلى جانب الاستعانة باللغات القديمة كالأكّدية والمصرية القديمة وغيرهما قدر الإمكان، وذلك من أجل ربط الصلة بين كل تلك اللهجات -قديمها وحديثها- وإثبات مصدرها الواحد. أما الكتابة فقد كان البحث فيها أيسر من اللغة، لأن أشكال ورموز الكتابة الليبية القديمة لا تزال ماثلة أمام الأعين، ويمكن الحكم عليها ومقارنتها بغيرها من الكتابات العروبية القديمة كالفينيقية واليمنية والحبشية، وتأثير كل ذلك على كتابة (التيفيناغ) عند التوارق. وكان للمستكشفين والرحّالة الأوروبيين، خاصة الفرنسيين منهم، فضل اكتشاف هذه الكتابة وإظهارها إلى حيز الوجود، مما ييسّر على الباحثين الحاليين عملية التعرف عليها ودراستها والخوض فيها.

خامساً= أهم مصادر هذا البحث:

اللغة أهم شقّي هذا البحث. لذا كان التركيز على اللهجات الأمازيغية التي تعطي الباحث فيها فكرة ليست بسيطة عن اللغة الليبية القديمة. فإلى جانب الدراسة الميدانية التي خُصَّ بها هذا البحث، كانت العودة إلى بعض المعاجم العربية/الأمازيغية ضرورية لاستكمال جوانب البحث واستحكام

حلقاته قدر الإمكان. إذ تم اختيار ثلاثة أنواع من هذه المعاجم التي تبدو -عند الوهلة الأولى- أنها مختلفة الاتجاهات، إلاّ أنها -في واقع الأمر- تصب في بُحيرة واحدة أو تنصهر في بوتقة واحدة. وقد اختيرت هذه المعاجم على الأسس التالية:

1- مُعجم يجسّم نظرة الباحثين العرب في اللغة الأمازيغية، كون أصول بعضها عروبي قديم، وأصول بعضها الآخر عربي فصيح. ويمثل هذا الجانب: الأستاذ الدكتور/ علي فهمي خُشيم، أمين مجمع اللغة العربية بطرابلس/ ليبيا. وله مُعجمان مُعنونان بـ:

- سفر العرب الأمازيغ، الطبعة الأولى، 1994.

- لسان العرب الأمازيغ، جزء1، الطبعة الأولى، 1994.

2- مُعجم يجسّم نظرة الباحثين الأمازيغ في لغتهم الأمازيغية، كون أصول بعضها عروبي قديم، وأصول بعضها الآخر عربي صريح. ويمثل هذا الجانب دون تعصب: الأستاذ الدكتور/ عثمان سعدي، وهو من الأمازيغ الشاوية بجبال الأوراس الجزائرية، ورئيس جمعية الدفاع عن اللغة العربية. وله مُعجم مُعنون بـ:

- مُعجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية، الطبعة الأولى 2007.

3- مُعجم يجسّم نظرة الباحثين الأمازيغ في لغتهم الأمازيغية، كونها لا تمت للعربية بأية صله، رغم مداخله العربية. ويمثل هذا الجانب بتعصب شديد: الأستاذ/ محمد شفيق، وهو أحد المتحمسين للنزعة الأمازيغية في المغرب الأقصى. وله مُعجم مُعنون بـ:

- المُعجم العربي الأمازيغي، 3 أجزاء، 1990 و1991 و2000.

لم يلتفت هذا البحث إلى المعاجم التي وضعها الفرنسيون المتمزّغون، وما أكثرها، وذلك من باب استبعاد الأيدي المدسوسة فيها والملوّثة لتاريخ المنطقة، وجعل العصمة في أيدي أصحاب الشأن مهما اختلفت وسائلهم لبلوغ الأهداف، ومهما تباعدت الأهداف المراد الوصول إليها.

وحتى يتخذ هذا البحث جانب الحياد العلمي، لا بد له من الرجوع إلى المعاجم العربية التي لا يوجد في غيرها ما يطابق الألفاظ التي تحويها اللهجات الأمازيغية، بحكم الصلة الوثيقة بين لغات ولهجات الأقوام التي بنت حضارة هذا الوطن الكبير منذ آلاف السنين، بدليل أن دعاة التمزّغ أنفسهم لا يستغنون عنها عند شرح ألفاظهم الأمازيغية. وقد اكتفى هذا البحث في شرح ألفاظه بالاعتماد على مُعجمي:

- لسان العرب المحيط لابن منظور.

- كتاب العين للفراهيدي.

- إلى جانب بعض القواميس الأجنبية، أحياناً.

سادساً= الحاجة لمثل هذه البحوث:

الملاحظ أن البحوث التي نُشرت حول مثل هذه المواضيع، خصوصاً تلك التي قام بإنجازها دعاةُ النزعة الأمازيغية استناداً على بحوث بعض الأجانب المتمزّغين، لم تكن من النزاهة ما يجعلها في مصاف البحث العلمي الدقيق، بل كانت مدفوعةً بتعصّب واضح، يهدف إلى إبعاد تاريخ وثقافة المغرب العربي عن تاريخ وثقافة المشرق العربي، والركون بهما إلى زاوية خارج المربع العام لتاريخ وثقافة المنطقة عموماً، في محاولة يائسة للابتعاد قدر الإمكان عن كل ما هو عربي بحجة خصوصية الثقافة الأمازيغية وانفصالها عن العمود الفقري لثقافة الأمة الواحدة، وهذا ما يخطط له من لا يريد الخيرَ لأمّة العروبة والإسلام. ونحن في هذا المقام لا ندّعي تفوق عرق على عرق ولا ثقافة على أخرى، وإنما نهدف إلى تبيان حقيقة أن تاريخ المغرب العربي هو جزء لا يتجزأ من تاريخ هذا الوطن الكبير، مع وجوب الاعتراف بالتعدد والتنوع الثقافي الحاصل في كل المجتمعات لاسيما في الصغيرة منها، وهذا لا يعني التفرقة والتمزق الذي يريده لنا الغرب. وحتى نبلغ مكانة مترفعّة عن الأنانية والتعصب للذات، علينا بالبحث العلمي الجاد في تاريخنا المشترك وثقافتنا المشتركة ولهجاتنا التي وإن تعددت وتنوعت فهي نابعة من مصدر واحد ومنسابة من منهل واحد، ألا وهو مصدر ومنهل اللغة العروبية التي يعترف الجميع بأن مهدَها الأول شبهُ الجزيرة العربية.

والحقيقة التي لا يرتقي إليها الشك هي أن الأوروبيين إذا أرادوا -على الصعيد اللغوي- معرفة جذر لفظ ما في لغتهم يعيدونه إلى السكسونية أو اللاتينية أو الإغريقية أو السنسكريتية، وأحياناً إلى العربية، أما العرب فلا يعيدون لفظهم إلى غير لغتهم أو نقبوا عنه في العربيات القديمة، أي لا يخرجون عن أسرتهم اللغوية وجزيرتهم العربية. وهنا نتساءل: إذا أراد الأمازيغ معرفة جذر لفظ ما من لهجاتهم، فإلى أي اللغات سيعودون وإلى أي المراجع سيرجعون؟ حتماً، سوف لا يجدون غير العربية وأصولها العربيات مرجعاً أكيداً وواضحاً لكل ألفاظهم مهما تنوعت لهجاتهم وتعددت.

الباب الأول

مقدّمات تاريخية

الفصل الأول:

قدماء الليبيين.. من النشأة الأولى إلى الفتح الإسلامي.

الفصل الثاني:

اللغة عند الشعوب القديمة (اللغة العربية من السومريين إلى المسلمين).

الفصل الثالث:

الكتابة عند الشعوب القديمة (الكتابة العربية من السومريين إلى المسلمين).

الفصل الأول:

قدماء الليبيين

من النشأة الأولى إلى الفتح الإسلامي

تمهيد:

قبل الخوض في التفاصيل العلمية والفنية للغة أو كتابة أمة من الأمم، لا بد من تتبع أصول أصحابها، ومعرفة أخبارهم وأحوالهم وبداية نشأتهم وتكوينهم ومجالاتهم الحيوية التي كانوا يتجولون فيها والأزمان التي عاشوا خلالها والأقوام الأخرى التي تعاملوا معها فتأثروا بها وأثروا فيها. وذلك من أجل الاطلاع على الأصول الحضارية الأولى التي نهلوا منها ثقافتهم وطوّروا من خلالها أفكارهم فتحسّنت أحوالهم وصارت لهم في التاريخ مكانة تستحق البحث والدراسة.

إن الكتّاب والمؤرخين والباحثين العرب لم يهتموا كثيراً بتاريخ المغرب العربي الكبير (ليبيا القديمة) قدر اهتمامهم ببؤر الحضارة المشرقية كالتي حصلت في بلاد ما بين النهرين وسوريا ووادي النيل، بل تجاوزوها إلى الشرق الأقصى لربط الصلات الحضارية بين شعوب تلك الأزمان. وهذا لا يعني أن ليبيا بمفهومها الجغرافي الواسع (الشمال الأفريقي) لم تقم فيها حضارات بالمعنى الذي اعتاده الباحث في التاريخ القديم، بل كانت لها حضارات مختلفة ومتنوعة باختلاف وتنوع الحقب الزمنية، بدءاً بالعصور الحجرية القديمة، وانتهاءً بعصر النهضة الإسلامية في المغرب والأندلس، مروراً بالحضارة الكهفية التي تميزت بها ليبيا القديمة عن مثيلاتها بفرنسا وإسبانيا، وما تلا ذلك من أدوار إنسانية متطورة كالانتقال من عصر الصيد والالتقاط إلى عصر الزراعة والتدجين، ثم عصر البداوة والانسياح في البراري والبوادي وتشكيل القبائل القوية والتفاعل مع الشعوب المجاورة، بالمصاحبة والاندماج مرة، وبالقتال والغلبة مرة أخرى. غير أن البيئة والمناخ وتضاريس الأماكن المتنوعة التي ارتادها قدماء الليبيين كانت لها سماتها المميزة لنوعية الحضارات التي أقاموها في مجالاتهم الحيوية. فلم تكن لهم أودية دائمة الجريان كدجلة والفرات والنيل، ولم تتأسس عندهم دول كالتي برزت في تاريخ الشرق الأدنى، بل كانوا على هيئة قبائل بدوية قوية لها زعامات ونظم خاصة وإدارات تدير شؤونهم، غير أنهم لم يتركوا آثاراً ثابتةً باستثناء ما ذكرته عنهم الوثائق المصرية القديمة، فعدّهم البعض جزءاً من التاريخ المصري القديم خصوصاً في فترة حكم الفراعنة.

لم يلتفت الكتّاب والمؤرخون القدامى لهذا الجزء الهام من الوطن العربي إلاّ في زمن وجود الكنعانيين (الفينيقيين) فيه، خصوصاً إبّان الحروب البونيقية التي دارت رحاها بين قرطاجة وروما. وكان الكتّاب الكلاسيكيون الإغريق قد اهتموا بشرق ليبيا بعد بناء مدينة قورينا في منطقة برقة. وبالتالي فلا يذكر المؤرخون تاريخ ليبيا إلى ملتصقاً بتاريخ قدماء المصريين أو الفينيقيين أو الإغريق أو الرومان. إلاّ أن الواقع الذي يجب أن يُبحث بجدية وتجرد كاملين، هو أن للحضارة الليبية القديمة خصوصية قد لا تتكرر في غيرها من الحضارات سالفة الذكر، مع عدم إغفال جوانب المؤثرات الحاصلة بفعل الاحتكاكات المباشرة وغير المباشرة.

لهذه الأسباب كان هذا الفصل تقديماً وتمهيداً للحديث عن اللغة والحروف الكتابية التي تداولها قدماء الليبيين، وذلك في زمن دخولهم إلى العصر التاريخي غداة بناء إخوانهم الكنعانيين لمدينة قرطاجة، فظلت تلك اللغة عالقة بأفواه الأمازيغ من سكان المغرب العربي حتى يوم الناس هذا على هيئة آلاف اللهجات تبتعد وتقترب من بعضها البعض بحسب أماكن تواجد أصحابها. أما الحروف الكتابية فقد بقيت إلى زمن ليس ببعيد من الآن صنعةً يحذقها نساء التوارق في الصحراء الأفريقية.

أولاً= خلال العصر المطير:

قد يكتنف تاريخ ليبيا القديم غموض عميق، ويعتريه نقص كثير، وتتخلله نقط استفهام لا تحصى، خصوصاً فيما يتعلق بأصول سكانها القدامى ومصدر انبعاثهم الأول. ولكن المتتبع لحركة التاريخ -تاريخ البشرية عموماً- سيجد لهؤلاء القوم موقعاً مناسباً لهم بين مواقع الأقوام الأخرى التي جاورتهم وتفاعلت معهم حضارياً وتاريخياً وثقافياً وقاسمتهم الأرض جغرافياً ومعيشياً. فهم -بطبيعة الحال- جزء من تلك الحركة وذاك التفاعل، وركيزة من ركائزه الأساسية. ولكن مثل هذا البحث والتقصي لا يمكنه أن يبلغ غايته ما لم يحدد عاملا الزمان والمكان المتعلقان بتاريخ هذا القوم وموطنهم.

لا يمكننا -في هذا المقام- الغوص في عمق الأساطير التي نُسجت حول ليبيا القديمة جداً، أو نتوه في مسارب التاريخ المتشعبة التي لم يحسن الخوضَ فيها كثيرٌ من المؤرخين والجيولوجيين والأنثروبولوجيين وغيرهم ممن عني بتاريخ الإنسان القديم. ولا يمكننا أيضاً أن نسمح لخيالنا أن يمتد طويلاً لمعرفة أصل الإنسان الأول والجزم بأن الإنسان النيندرتالي والإنسان العاقل هل تناسلا من بعضهما البعض أم أنهما منفصلان، وما علاقتهما بإنسان بكين أو الإنسان الأسترالي القديم، ونورط أنفسنا في ملايين السنين. لأن التاريخ الموثق والموثوق به والأكثر وضوحاً والأقل تورطاً من غيره

لا يتعدى الخمسة آلاف سنة، أو قبلها بقليل. وذلك يعود لعدة أسباب، أهمها ظهور الكتابة التي تقلّبت على عدة أطوار ثم ترسّخت حروفاً رمزية ذات دلالات ومعان بعدما كانت مخربشات ورسوماً قد لا تتحلل إلى كلام. وقد سُمّي عصر الكتابة والتدوين بعصر التاريخ، أي أن التاريخ بدأ في العد رسمياً منذ ذاك العصر. يقول (توينبي) في هذا الخصوص: "..**وهكذا فإن معلوماتنا عن الخمسة آلاف السنة الماضية من التاريخ –الخمسة آلاف السنة الموثقة- هي أغزر وأشد وضوحاً منها من المليون الأول أو نصف المليون الأول من السنين التي تلت فجر الوعي الذي يحتمل حدوثه**"[1].

وبناءً على ذلك فإن العصر الحجري الحديث الذي سُجلت مخلفاته في كهوف الشمال الأفريقي يعود إلى حدود الألف الخامس قبل الميلاد، أي مرحلة الاستقرار النسبي وامتهان الرعي والزراعة، بعد مرحلة الاصطياد والالتقاط. حيث أوجد الإنسان وقتذاك وسائل تحقق له رغباته، فاستخدم الحجر الذي يعتبر أقدم مادة صُنعت منها الأدواتُ الأولى، ثم تحوّل إلى عجن الطين صانعاً منه بعض الأواني المساعدة على تخزين المؤن والمياه.

هذا في المناطق الشمالية (الساحلية)، أما في المناطق الجنوبية (الصحراوية) فكانت أبرز المعالم الأثرية الدالة على حضور الإنسان هناك، تلك الرسوم الصخرية التي اكتشفت بأعداد كبيرة تعد بالآلاف، والتي قُدّر زمنها بزمن ما بين الألف السادس والألف الرابع السابقين لميلاد المسيح عليه السلام. وأحدث الحفريات التي جرت في وادي الحياة بالجنوب الليبي تشير إلى أن سكان منطقة (جرمة) القديمة حذقوا التحنيط ومراسم الدفن المنظمة، حيث عثرت حملة أثرية ليبية/ بريطانية أخيراً على مومياء محنطة مدفونة بطريقة الجثو المعهودة عند قدماء الليبيين، يبلغ طولها مترين وسبعين سنتمترا، ويقدّر عمرُها بسبعة آلاف سنة قبل الميلاد[2].

فإذا كانت الحضارة الكهفية الساحلية اعتمدت على الأدوات الحجرية ثم انتقلت إلى صناعة الأواني الفخارية بعد الاستقرار النسبي، فإن الحضارة الكهفية الصحراوية اختلفت عنها من حيث المقومات المعيشية. لأن البيئة والمناخ والتضاريس الأرضية لها دورها الفاعل في تشكل حياة الإنسان، مما ينعكس على سمات حضارته وتحديد خصوصيتها. ومن خلال تلك الرسوم التي تركها سكان جبلي (أكاكوس) و(تادرارت)[3] يتضح أن رسّاميها كانوا ينعمون بحياة مرفّهة ومنعّمة، على أرض دائمة الخضرة والخصوبة، وتحت سماء دائمة المطر والرطوبة، تجري في أوديتهم المياه، ثم تتجمع في برك ومستنقعات وبحيرات تتيح للإنسان والحيوان حياةً هانئة، في غمرة غابات وأشجار

---

[1] توينبي، أرنولد: **تاريخ البشرية**، نقله إلى العربية: د. نقولا زيادة، ط؟، ج1، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت/ لبنان، 1981، ص27.

[2] كان هذا الاكتشاف في صيف سنة 2008 وتناقلت أخباره عدة وسائل إعلامية من صحف ومحطات فضائية ومواقع إلكترونية، واعتبرت تلك المومياء أطول مومياء في التاريخ إلى حد الآن.

[3] أكاكوس وتادرارت جزء من جبال تاسيلي المتصلة بسلسلة جبال الهجار (الحجار) الواقعة بين ليبيا والجزائر.

وارفة الظلال. وأشهر حضارة وُجدت رسومُها منقوشة على جدران الكهوف هناك، حضارة (وادي جبّارين) التي حدد مكتشفها الفرنسي (هنري لوت) زمن بعض محتوياتها بزمن ما قبل تأسيس الأسرات المصرية[4]، أي قبل الألف الرابع قبل الميلاد، وهي الفترة التي ازدهرت فيها الحياة في تلك المنطقة قبل أن تزحف عليها الرمال وتتصحر. وقد حصل ذاك التصحر بفعل التغيير المناخي الذي تزامن مع ذاك الذي حصل في الصحراء العربية، فهاجر الليبيون نحو الشمال الشرقي، واستقروا على ضفاف النيل، ويذكر الدكتور (خشيم) أن الليبيين سكنوا الدلتا (رسميا) سنة **3200** قبل الميلاد[5]. والتقوا مع أبناء عمومتهم المهاجرين من شبه الجزيرة العربية هروباً من نفس العوامل المناخية التي ابتليت بها منطقتهم أيضاً.

الزمن المتحدث عنه الآن سابق لزمن القبائل الليبية المعروفة، مثل: التحنو والليبو والمشواش بشرق ليبيا الحالية والنسامونيون بوسطها والجرمنتيون بجنوبها، والقرطاجنيون أو البونيقيون بشمال تونس، والقبائل النوميدية بشمال ووسط الجزائر، وقبائل المور بالمغرب الأقصى وموريتانيا.. تلك القبائل والأقوام التي ذكرها المؤرخون الإغريق -وعلى رأسهم (هيرودوتس)- كانت قد اشتهرت في الفترة ما بين بداية الألف الأول قبل الميلاد ونهايته. أما صنّاع الحضارة الكهفية الحجرية فهم الأسبق، ولم يسمّهم أحد بأسماء معينة. وكل ما قيل عنهم أنهم كانوا يسكنون الجبال الشمالية والجنوبية لما يسمى الآن بشمال أفريقيا أو المغرب العربي الكبير.

تعتبر نهاية العصر الحجري القديم الأعلى من أهم المراحل التي انتقل فيها الإنسان إلى مرحلة إنتاج الطعام والأسلحة والأدوات الحجرية الدقيقة وولوج مرحلة العصر الحجري الحديث. وقد تمثلت تلك الحضارة في المواقع المنتشرة بين منطقة الجبل الأخضر بليبيا شرقاً حتى ساحل المحيط الأطلسي غرباً. وذلك حسب الكهوف المكتشفة على امتداد سلاسل الجبال الساحلية. مثل كهف (الفتايح) قرب درنة، وحقفة (الطير) قرب بنغازي، ورمّاديات (بئر العاتر) في قفصة بتونس، وموقع (وهران) بالجزائر، وكهف (سيدي عبد الرحمن) بالمغرب الأقصى.. تتخللها أماكن أخرى عديدة ومتنوعة، ولكنها في نفس الخط الجغرافي تقريباً.

أما في الجنوب فكانت الشواهد الحضارية ملحوظة على طول سلاسل الجبال الممتدة من جبل (العوينات) شرقاً إلى جبال (تاسيلي) غرباً مروراً بجبال (تيبستي). وقد كانت أكثرها غزارةً وأشدها تنوعاً تلك الصخور المنقوشة المكتشفة بجبال (أكاكوس) الواقعة ضمن سلسلة جبال (تاسيلي) شمال شرقي منطقة الحجار (الهجار) الأفريقية.

---

[4] لوت، هنري: **لوحات تسيلي**، ترجمة أنيس زكي حسن، ط1، 1967، مكتبة الفرجاني، طرابلس/ ليبيا.
[5] خشيم، د. علي فهمي: **آلهة مصر العربية**، ط1، ج1، 1990، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس/ ليبيا، ص 51.

إذن، إن الحضارة الليبية الأولى كانت حضارةً حجرية كهفيةً بدائيةً، أخذت في التطور والرقي بحسب التكاثر السكاني، وازدياد الحاجة لاكتشاف سبل أرقى للحياة، والتفاعل مع الطبيعة وقهر قسوتها من أجل البقاء والحفاظ على النسل والتكاثر.. وبالتالي فهي حضارة الخوف من العراء وما تفعل فيه الطبيعة من كوارث، وعدم اطمئنان الناس لجيرانهم الحيوانات المتوحشة وما تسببه لهم من إزعاج. فالتجأوا إلى الكهوف وأقاموا فيها حضارتهم، وتركوا لنا على جدرانها آثارهم، كأن لسان حالهم يقول: (نحن كنا هنا).

ثانياً= بعد خروجهم من الكهوف عقب انتهاء العصر المطير:

اختلف الدارسون في سبب تسمية ليبيا وسكانها الليبيين بهذا الاسم. فمنهم من أرجع ذلك إلى كتب العهد القديم التي ذكرت علاقة العرق أو الأخوّة بين كل من (فلشتيم)= فلسطينيين، و(مصرايم)= مصريين، و(لوبيم)= ليبيين. وهذا الاسم الأخير ذُكر بصيغ أخرى، مثل: (لوهابيم) و(لهابيم).. والمعروف عن اللغات العروبية الأولى التي من بينها اللهجة العبرية تستعمل التمييم (يم) للجمع أو التنوين أو التنسيب، وفي العربية الحديثة استبدلت الـ(يم) بالـ(ين) وتفيد الجمع أو التنوين (بالكسر). وهذا يعني أن هذه الأسماء إما أن تكون أسماء أقوام أو أسماء أشخاص معيّنين. وقد ورد في أسفار اليهود أيضاً ذكرٌ لليبيين عندما فتح الفرعون الليبي/المصري (شيشنق الأول) بيت المقدس وأخضع فلسطين لحكمه.

أما النقوش المصرية فقد كانت تذكر كل القبائل الواقعة غرب النيل بأسمائها أحياناً، مثل (التحنو أو التحمو، والريبو أو الليبو..). وتسميهم جميعاً أحياناً أخرى باسم (إمنت)، وهو لفظ اتضح بعد شرحه أنه يعني (اليمين) بحكم وجود الليبيين على يمين النيل عندما يقف المصري القديم قبالة منبع النيل، فتأتي ليبيا على يمينه. وقيل أيضا أنها تعني أرض (الموت) لأن الشمس تغرب أو (تموت) فيها على حد اعتقادهم. والمعروف أن كثيراً من العلوم المصرية القديمة برزت بفضل اهتمامهم بحركة جريان النيل ومواسم انحساره وفيضانه وكافة تصرفاته، كذلك دراسة الاتجاهات. ومن المعلوم أن الصحراء التي تلي النيل من جهة الغرب كانت تسمى في الخرائط القديمة (الصحراء اللوبية) ثم تغيرت -لاعتبارات ربما تكون سياسية- إلى (الصحراء الغربية).

هكذا وُجدت أسماءُ القبائل الليبية في النقوش المصرية القديمة، إلى أن بدأوا يُعرفون بـ(الليبيين) ربما كان ذلك مشتقاً من أكبر القبائل التي كانت لها تفاعلات على نحو ما مع جيرانهم المصريين، وهي قبيلة (الليبو) أو (الريبو) لأن حرفي الراء واللام يتعاقبان في اللغة المصرية القديمة. وعندما جاء المؤرخون الإغريق إلى ليبيا زمن الدولة (القورينية) ومن أشهرهم

(هيرودوتس) اعتمدوا في تاريخهم اسم (ليبيا) و(الليبيين) في مواقع كثيرة ضمن كتاباتهم التي وصفوا فيها هذه المنطقة وأهلها. ولم يخصصوا هذا الاسم فقط للمنطقة الشرقية التي تشغلها القبائل المذكورة آنفاً، وإنما وسّعوه ليشمل كل القبائل الأخرى البعيدة عن (قورينا) بما في ذلك قبائل (الجرمنت) التي كانت تسيطر على الخط الصحراوي بين جبل (العوينات) شرقاً وجبال (تاسيلي) غرباً، وهي الجبال التي وجدت فيها كهوف أقوام العصور الحجرية الأولى.

تلك القبائل الليبية التي نبذ أجدادها الكهوف وخرجوا إلى العراء، وامتهنوا أنواعاً مختلفة من الأنشطة الحياتية، سواء أكانوا من سكان الشمال أو من سكان الجنوب، ربما يكونون من سلالة ساكني الكهوف الأوائل. أو ربما اختلطت بهم أقوام أخرى جاءت مهاجرة عبر برزخ السويس من جهة الشمال (الوجه البحري)، وعبر باب المندب من جهة الجنوب (الوجه القبلي). علاوة على الاختلاط الدائم الذي حصل بينهم وبين جيرانهم المصريين. وحتى هؤلاء الجيران لم يكونوا غرباء عنهم، فقد ذكر المؤرخون أنه عندما زحف التصحر على المنطقة الجنوبية من ليبيا، هاجر أهلها إلى الشرق وسكنوا الصعيد ثم الدلتا. واختلطوا مع من هاجر من وسط الجزيرة العربية بعدما تصحرت هي الأخرى، وشكل جميعهم نواة السلالات المصرية الأولى، التي قام الفرعون (نعرمر) بتوحيدهم فيما بعد.

ثالثاً= خلال الألف الأول قبل الميلاد وبعده:

في الوقت الذي كان فيه الليبيون الشرقيون يترأسون السلطة السياسية والعسكرية والدينية في دلتا النيل ابتداءً من القرن العاشر قبل الميلاد، تعرضت ليبيا -بمفهومها الجغرافي القديم- لبعض التغيرات السكانية، كان أهمها هجرة الكنعانيين من صيدا وصور بجبال لبنان الحالية إلى تونس في القرن الثامن قبل الميلاد، وهجرة الإغريق من الجزر اليونانية إلى منطقة برقة بالجبل الأخضر في القرن السابع قبل الميلاد.

الكنعانيون (الفينيقيون) أسبق من الإغريق في الوصول إلى الأراضي الليبية. حيث ذُكر تاريخان لبناء مدينة قرطاجة (**750** ق.م. و**814** ق.م.)، ويعتبر الأخير تاريخاً تقليدياً متفقاً عليه لتأسيسها. أما استقرارهم في منطقة طرابلس فتشير حفريات صبراتة إلى القرن السادس قبل الميلاد[6]. وربما زاروا المكان قبل ذلك التاريخ، عندما كانوا يقومون بجولاتهم المعتادة عبر سواحل البحر المتوسط قبل بناء قرطاجة، حيث كان من الصعب على سفنهم الشراعية الصغيرة الوصول رأساً من

[6] البرغوثي، د. عبد اللطيف محمود: **التاريخ الليبي القديم،** ط1، 1971، دار صادر، بيروت/ لبنان، ص ص 301 303.

سواحل لبنان إلى سواحل تونس عبر عمق البحر، إذ عُرف عنهم عدم مجازفتهم بذلك. والمهم أن كل المؤرخين يتفقون على أن الفينيقيين اختلطوا سلماً بقدماء الليبيين وشكلوا معهم نواة شعب جديد وقف بكل قوة وحزم ضد أطماع الرومان فيما عُرف بالحروب البونيقية (البونية). وبعد سقوط قرطاجة بيد الرومان سنة **146** ق.م. كان الشعب البونيقي الجديد يعمّر المنطقة الممتدة بين سرت ونوميديا بقيادة العاصمة قرطاجة. حيث لم يسلك القطاجيون في تلك المنطقة مسلكاً عنصرياً **"بل تمازجوا بسكانها عن طريق الزواج"**[7]. من هنا بدأ عصر التاريخ يترسّخ في ليبيا (الشمال الأفريقي)، لأن الفينيقيين صنعوا فيها أحداثاً تاريخيةً هامةً، اتجه صوبها المؤرخون بطريقة كانت تفتقدها المنطقة من قبل. إذ بدأ الصراع الليبي/الروماني يشتد على السواحل وفي عمق البحر المتوسط، خلال ما عُرف بالحروب البونيقية. وعلى هذا الأساس بدأت تظهر مسميات جديدة في تاريخ الشمال الأفريقي مثل (الشعب البونيقي) و(الحضارة البونيقية) و(اللغة والكتابة البونيقيتين). وكلها مقومات الحضارة الشرقية التي أقيمت على سواحل ليبيا القديمة (المغرب العربي الكبير)، واستمرت به حتى بعد تدمير قرطاجة.

أما منطقة برقة فقد بقيت بيد الإغريق منذ سنة **631** ق.م. حتى خضعت للحكم الفارسي في مصر. وكان الأهالي من القبائل الليبية يتحينون الفرصة لاستعادة أراضيهم من يد الإغريق. وحصلت عدة ثورات في المدن القورينية. واستمرت فيها الفوضى إلى عهد الإسكندر الأكبر سنة **333** ق.م. وظلت برقة تابعة لخلفائه البطالمة في مصر. وكانوا يشجعون اليهود على الانتشار في المدن البرقاوية[8]. وربما زاد هذا الانتشار من الوجود الشرقي في برقة، مثلما كان الحال في مصر نفسها. وكانت مصر في تلك الأثناء تستقبل وفوداً من التجار العرب من الحجاز واليمن، حيث تكاثروا في المنطقة بين النيل والبحر الأحمر إلى زمن سابق للإسلام. وربما وصلت تلك القبائل العربية إلى برقة وتزايدت في عهد (سبتيموس سيفيروس) عاشق الشرق، حيث انعكس ذلك كله على سكان المنطقة عندما وصلها عمرو بن العاص الذي اتفق المؤرخون على أنه لم يجد مقاومة تذكر من قبل القبائل الليبية المتاخمة لمصر، بل أسلم جميعهم وحسُن إسلامُهم. وكانت على رأسهم قبائل لواتة[9]. كذلك حصل مع الواحات الواقعة جنوب برقة وطرابلس مثل زويلة شرقاً وغدامس غرباً[10].

---

[7] غوتييه، أ.ف: **ماضي شمال أفريقيا**، تعريب: هاشم الحسيني، ط2، ؟، مكتبة الفرجاني، طرابلس/ ليبيا، ص 90،91.
[8] للمزيد من التفاصيل أنظر: البرغوثي، **مصدر سابق**، ص ص 268-289.
[9] لواتة: من كبريات القبائل الليبية القديمة التي كانت تتكاثر في منطقة برقة إبان الفتح الإسلامي.
[10] للمزيد أنظر: إبن عِذاري المرّاكشي، **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمَغرب**، ط3، 1980، دار الثقافة، بيروت/ لبنان، صفحات متفرقة.

ولكن المؤسف حقاً أن تلك الأحداث التاريخية نُظر إليها **"بأعين القرطاجنيين الذين عبّرت عنهم هم أنفسهم أعين الرومان"**[11]. فأصبح الليبيون ثانويين لتاريخ تدور أحداثه على أرضهم. وقد نهج المؤرخون ذاك المنهج، فسجلوا تلك الأحداث التاريخية بوجهة نظر غربية. ولكنهم لم يتخلصوا من نعت الحروب التي دارت رحاها بين سادة قرطاجة والرومان بالحروب البونيقية كإشارة إلى (الشعب البونيقي) أو (القرطاجي) المركب حديثا من الليبيين والفينيقيين.

وقد قاوم الليبيون القدامى الاستعمار الأجنبي بشتى الوسائل. فكانت لهم صراعات سابقة مع الإغريق الذي احتل برقة (الشق الشرقي من ليبيا) وأقاموا عليها مدينتهم الإفريقية المعروفة بـ (قورينا) شحات حالياً. ثم قاوموا الرومان على سواحله الشمالية، ودحروا الوندال القادم من شبه جزيرة أيبيريا، وحافظوا على استقلالية وطنهم وشرقيته وعروبته مدة طويلة من الزمن قُدّرت بعدة قرون قبل الميلاد وبعده، تخللتها فترات من الهدنة، تمكّن خلالها الإغليد النوميدي (مسينيسا) من توحيد المغرب العربي، وإجبار البدو على الاستقرار والتمدن. فازدهرت في عهده الزراعة، وانتشرت في ربوع الوطن معاصر الزيتون ومطاحن الحبوب، وتطورت وسائل الثقافة، لغة وكتابة.. وغيرها من الإنجازات التي ما كادت أن تبلغ ذروتها حتى شعر مجلس الشيوخ الروماني بخطورتها فسارع إلى تقويضها وتعطيل مسيرتها.

<u>نستخلص من الفقرات السابقة:</u>

* أن سكان ليبيا القدامى هم من (العروبيين) أو من العرب القادمين من الشرق العربي منذ الوجود الأول للإنسان الحجري، وذلك استناداً للحفريات التي أثبتت وجود شبه شديد بين الإنسان الليبي والإنسان الفلسطيني: **"فقد اكتشفت أربع جماجم: الأولى في الجزائر والثانية في ليبيا والثالثة في اليمن والرابعة في فلسطين، ووُجد بين هذه الجماجم الأربع تطابق كامل"**[12]. وكان الكتّاب القدامى يصفون مصدر الهجرات الأولى نحو الغرب ببلاد العرب، وكذلك فعلوا مع الهكسوس القادمين من الجزيرة العربية عبر سوريا.

* وأن العمالقة الجبابرة أصحاب الرسوم والصور المكتشفة في جبال تاسيلي هم بناة الحضارة الكهفية في الجنوب الليبي قبل أن يرتحلوا إلى مصر والمناطق الشمالية، بعدما زحف التصحر على قصورهم الكهفية.

---

[11] العروي، د. عبد الله: **<u>تاريخ المغرب</u>**، ترجمة: د. ذوقان قرقوط، ط1، 1977، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت/ لبنان، ص29.
[12] سعدي، عثمان: **<u>عروبة الجزائر عبر التاريخ</u>**، ط؟، 1982، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر/ الجزائر، ص11.

* وأن لليبيين علاقة وطيدة مع إخوانهم المصريين، وكلاهما قادم من شبه الجزيرة العربية عبر باب المندب وبرزخ السويس.

* وأن الجرمنتيين أصحاب الحضارة الصحراوية في جنوب ليبيا قد يكونون من أصل عربي، جاءوا من اليمن عبر باب المندب ثم الحبشة ثم السودان حالياً.

* وأن الفينيقيين أصحاب الحضارة الكنعانية في الشام العربي هم المؤسسون الأوائل للحضارة العصرية التي أقيمت في ليبيا القديمة عبر عاصمتهم الشهيرة قرطاجة.

وأهم من كل ذلك، هو أن الإغريق واليونان والرومان والوندال والبيزنط لم يختلطوا مع الليبيين، ولم يبق لهم أي أثر على أرض الشمال الإفريقي. في الوقت ذاته ضُخت الدماء الشرقية في شرايين الليبيين القدامى لعدة مرات، ولفحت وجوههَم نسماتُ الشرق عدة قرون، وتسلحوا بثقافة إخوانهم وأبناء عمومتهم بناة الحضارة الإنسانية الأولى في التاريخ، فكانوا عماد الحضارة العربية في شقها الغربي.

رابعاً= وضوح الشخصية الشرقية:

كانت روما تحاول إثبات قوتها أمام اليونان من جهة والقرطاجيين من جهة ثانية، إلى أن حصلت على شيء من الانتصار في جزيرة صقلية، **"مهّد ذلك نحو تحقيق الزعامة الرومانية وظهور روما كدولة قوية جديدة وخطيرة في المنطقة"**[13]. ومن ثم نشبت حروب قوية بين الليبيين/الفينيقيين من جهة، والرومان من جهة مقابلة، وذلك **"أثناء القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد"**[14]. وهي الحروب البونية الأولى. أما الثانية فكانت على يد القائد المشهور (حنا بعل) الذي أقسم على أن ينتقم لبلاده (ليبيا) من الرومان. وتمكن فعلاً من تهديدهم على مشارف عاصمتهم (روما)، وأحرز -بادئ الأمر- انتصاراً كبيراً، إلاّ أنه بعد حرب دام أمدها حُوصر في شبه الجزيرة الإيطالية، وانقطعت عنه الإمدادات، أدى ذلك إلى فشل تلك الحملة الشهيرة.

وفي خضم تلك المعارك، لم يبق العنصر الوطني مكتوف الأيدي. وكانت وقتها قد ظهرت مملكتان قويتان في المنطقة النوميدية (الجزائر حالياً)، دخل زعيماهما في صميم الأحداث. وكان لهما الأثر الكبير في تغذية الروح الوطنية ولفتِ أنظار العالم من حولهما، مرة بالوئام ومرة بالعداء. وقد تحققت في زمن تلك الممالك العديد من الإنجازات على كافة الأصعدة. وذلك في كنف وحدة لم تشهد

---

[13] الناضوري، د. رشيد: **تاريخ المغرب الكبير**، ج1، ط؟، 1981، دار النهضة العربية، بيروت/ لبنان، ص244.

[14] الناضوري: **نفس المصدر**، نفس الصفحة.

المنطقة مثيلاً لها على مدى تاريخها الطويل. إلاّ أنه بعد انتهاء الحرب البونية الثالثة لصالح الرومان، عادت التفرقة السياسية من جديد، ودُمّرت قرطاجة عام **146** ق.م، وحُرّقت وأُتلفت أرضها الزراعية[15]، وآلت كافة مقاليد الحكم للمغتصب الروماني الذي قسّم المنطقة إلى ثلاث ممالك، وانفرد الرومان بعاصمة القيادة قرطاجة[16].

ورغم هذا الانتصار الذي حققه الرومان على القرطاجيين بمساعدة بعض الأطراف المحلية، إلاّ أن سكان المغرب العربي غير المتأثرين بالنزعات الحضارية لم يخضعوا للسيطرة الرومانية، فكانوا يقومون بثورات متواصلة يقلقون بها راحة الرومان المحتلين لأرضهم وكل من تحالف معهم من أهل البلاد الأصليين.

هكذا كان حال المغرب العربي قبيل ميلاد المسيح وبعيده من الجانب السياسي. أما الجانب الديني فقد كان لقدماء الليبيين عقيدتهم الوثنية التي عُرفت عند إخوانهم العرب من سكان الجزيرة العربية، كيف لا وكثير منهم يعود -في أصوله الأولى- إلى بلاد العرب وبخاصة عمان وحضرموت واليمن، فكان لقدماء الليبيين آلهة يعبدونها، حتى أن إخوانهم الفينيقيين قدسوها وذبحوا لها القرابين. كما أخذ الليبيون عن الكنعانيين (الفينيقيين) عادة الوشم **"التي لها صفة دينية، لأن أشكال الوشم تعني رسوما لرموز إلهية تؤدي وظيفة الحماية من القوى الشريرة"**[17]. إلى جانب اتخاذ المسوح والتماثيل، ثم صاروا يقلّدونهم في بعض التعاليم الدينية مثل تحريم أكل لحم الخنزير، وممارسة عادة الختان، وغير ذلك من العادات (السامية) الأصل.

وبعد ميلاد المسيح، وبالذات في عهد القياصرة، اعتنق بعض الليبيين المسيحية بعد أن تهوّدوا قبلها. ولكنهم عُذّبوا من قبل الرومان، فارتدّ بعضهم عن دينه وعاد إلى وثنيته السابقة. بينما بقي البعض الآخر على نصرانيته. إذ يبدو أن ذلك كان يحصل بحسب الظرف السياسي المتأرجح بين الانتصار والهزيمة، تماماً مثلما حصل مع بعض القبائل اليمنية التي صعدت إلى شمال الجزيرة العربية، فكانوا يتنصّرون ويتهوّدون ويرتدّون بحسب الظروف السياسية وعلاقتهم بالقوى الأجنبية. وفي طرابلس قامت الحركة (الدوناتية) بزعامة (دوناتوس) مع بداية القرن الرابع، **"ثم تحولت تلك**

---

[15] غوتييه، أ.ف.: **مصدر سابق**، ص88، (ويتساءل في نهاية حديثه: ولكن هل يمكن محو شعب من الوجود محواً تاماً كما كنا نظن في عهد الدراسة؟).
[16] للمزيد حول المعارك البونية يُرجع إلى: الناضوري، **مصدر سابق**، من ص244 إلى ص283.
[17] الناضوري: **نفس المصدر**، ص 228.

الحركة بعد وفاة دوناتُس في نهاية القرن الرابع إلى حركة عصابات همها السلب والنهب والتخريب"[18].

أما الجانب الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، فقد تغيرت ملامحه منذ دخول الفينيقيين واستقرارهم بمدينتهم الجديدة. إذ بدأ الليبيون -(وهم أساساً من البدو الرحّل، يرعون الماشية ويسكنون الخيام ويركبون الخيل ويتنقلون في البراري طلباً للكلأ والماء، ويحيون حياة -هي في عمومها- أشبه شيء بحياة العرب الرحّل الذين اشتهرت بهم الجزيرة العربية، وهذا التشابه أكّده المؤرخون اليونان عندما وصفوا سكان ليبيا بأنهم أهل وبر وعمود مثلهم في ذلك مثل عرب الجزيرة)- بدأوا يستقرون ويعيشون على الزراعة وتربية الحيوانات، فغرسوا الأشجار المثمرة وشيدوا معاصر الزيتون ومطاحن الحبوب. فتغيرت ملامح حياتهم الاجتماعية والاقتصادية، مستفيدين في ذلك من تجربة إخوانهم القرطاجيين. وقد برع جميعهم في العديد من الخصال، فاشتهروا باستكشافاتهم البرية والبحرية ومؤلفاتهم العلمية خصوصاً في المجالات الزراعية. حيث تطورت لغتهم ذات الأصل الفلسطيني/الكنعاني القديم، فصارت لغة بونقية بعدما كانت ليبية خالصة. وتطورت من خلالها أشكال الكتابة، خصوصاً في الممالك النوميدية والموريتانية، كما سنرى.

كما اتصل القرطاجيون بالجرمنتيين بالصحراء، وتعاونوا معهم في توسيع المجال التجاري، ليشمل الموارد الأفريقية الجنوبية، وترويجها في الأسواق الأوروبية الشمالية، وغير ذلك من المظاهر الحضارية الجديدة التي غيّرت ملامح الحياة في ليبيا القرطاجية، وأخرجت المواطن المحلي من قوقعه البدائي ليرتقي على السلم الحضاري، أسوة بغيره من الشعوب الأوروبية التي تكالبت على وطنه من كل جانب.

وعندما تأرجحت كفة الميزان لصالح قوى الاستعمار، تحولت أرض الشمال الأفريقي إلى الصراع الروماني/الوندالي. وذلك في الفترة ما بين **430-534** بعد الميلاد، وهي الفترة التي اكتسح فيها الوندال كامل تراب المغرب العربي. والمعلوم أن الوندال جاءوا من شبه جزيرة أيبيريا، **"وهم أقوام من أصل جرماني زحفوا هاجمين على غاليا (فرنسا حاليا) ثم إسبانيا، فخلفوا فيها إسمهم: واندالوس= أندلسية= أندلس"**[19]. وبعد مضي أكثر من قرن قام الطرابلسيون بقيادة زعيمهم (كاباون) من دحر الوندال حتى مضيق جبل طارق، وخلّصوا البلاد من أعمالهم الوحشية التي تركت آثارها السلبية.

---

[18] البرغوثي، د. عبد اللطيف محمود: **تاريخ ليبيا الإسلامي**، منشورات الجامعة الليبية، ط؟، 1972، دار صادر، بيروت/ لبنان، ص96. (ظهر مذهب دوناتُس في طرابلس وانتشر فيها ابتداء من سنة 311م كتعبير عن الأماني الوطنية في وجه السلطة الرومانية وكنيستها الكاثوليكية)، أنظر: البرغوثي: **نفس المصدر**، ص 33.

[19] صفر، أحمد: **مدنية المغرب العربي في التاريخ**، ج1، ؟، دار النشر بو سلامة، تونس/ تونس، ص382.

وقبل الغزو الوندالي بحوالي قرن، أي بين القرن الثالث والقرن الرابع للميلاد، جاءت من اليمن قبائل شتى من العرب الجنوبيين، واستوطنت بادية الشمال الأفريقي، وقد أكد البلاذري والطبري وابن خلدون وغيرهم أن أحد الأمراء اليمنيين الحميّريين وهو "**أفريقش بن قيس بن صيفي**"[20] جلب معه عدداً من قبائل العرب أهمها قبيلتي (صنهاجة وكتامة) وتوجه بهم إلى أفريقيا. ويبدو أن هذه الهجرات هي من ذاك الدفق الذي كان ينهال على مصر وليبيا عن طريق باب المندب قادماً من اليمن عبر الحبشة والسودان لمرات عديدة عبر التاريخ. إلاّ أن البعض، خصوصاً من الأوروبيين، ينكر هذه الهجرة ويعتبرها من تلفيق الإخباريين العرب التي لا تستند على سند تاريخي علمي موثق.

ومن خلال الحوادث التي حصلت في الشمال الأفريقي بعد ميلاد المسيح (عليه السلام) تبرز مجموعة عوامل تثبت لنا شرقية الشخصية الليبية، وسرعة تأقلمها مع القادمين من الشرق، ورفضها للقادمين من الغرب. وهذا ما شجع -على ما يبدو- الشرقيين من العرب على الهجرة إلى الشمال الأفريقي مرات عديدة. وتلك العوامل حسب اعتقادنا هي:

خامساً= سقوط قرطاجة وامتزاج أهلها بالليبيين:

يرى المؤرخون أن أصل سكان ليبيا القديمة من العماليق الجبابرة من الفلسطينيين أبناء كنعان. وقد ظهرت صحة هذه الرؤية عند أول وهلة التقى فيها الليبيون مع الفينيقيين، وهم أيضاً من الكنعانيين استوطنوا سوريا وفلسطين والشام بعد قدومهم من جنوب الجزيرة العربية. لذا كان امتزاج الفينيقيين بالليبيين امتزاجاً سهلاً وسلساً لا تشوبه القوة والإكراه. يقول غوتييه: "**فعلى شاطئ سرت شرقي قرطاج جرى التعرف على عشرين مدينة -فينيقية-. ولم يسلك القرطاجيون في تلك المدن مسلكاً عنصرياً، بل تمازجوا بسكانها الأصليين عن طريق الزواج**"[21]. هذا ما كان قبل تدمير قرطاجة، فما بالك في ما كان بعده؟ "**وواضح أثر قرطاجة في هذه البلاد، فإذا كانت المدينة نفسها قد اندثرت فإن المدن الفينيقية الأخرى التي أوجدتها لم تزل في الوجود**"[22].

الملاحظ عن تاريخ تلك الحقبة أنه لم يعد أي ذكر للفينيقيين، لأنهم انصهروا في البوتقة الليبية، وبدأ يُعرف بعضهم في أوروبا باسم السوريين. كما لم يعد أي ذكر لليبيين، حيث بدأ يرجعهم

---

[20] أنظر: أ- الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**، ج1، ط4، 1983، مؤسسة الأعلمي للطباعة والنشر، بيروت/ لبنان، ص143.
ب- ابن خلدون: **كتاب العبر**، ج6، ط؟، 1979، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت/ لبنان، ص93.
ج- البلاذري: **فتوح البلدان**، ط؟، 1983، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ص231.

[21] غوتييه: **مصدر سابق**، ص90 و91.

[22] غوتييه: **نفس المصدر**، **ص91.**

المؤرخون أولاً إلى القرطاجيين والبونيقيين، ثم إلى تسميتهم الإغريقية القديمة: بربر، وأحياناً يسمونهم بقبائل المور، وأحياناً أخرى يقولون عنهم: أفارقة، ومغاربة، ويقسّمون المنطقة الغربية إدارياً إلى نوميدياً وموريتانياً، والمنطقة الشرقية إلى برقة وطرابلس..

سادساً= علاقة الفينيقيين بالليبيين الجنوبيين:

المعروف عن الجرمنتيين (الغرامنتس) أنهم أسياد الصحراء الليبية، وأنهم كانوا في صراع دائم مع الزنوج جيرانهم الجنوبيين. وكانت حضارتهم الصحراوية تقابل زمنياً حضارة القرطاجيين الساحلية، فاتصل الواحد منهم بالآخر عن طريق مدينتي (قرزة) و(طرابلس)، إذ **"يظهر أن القرطاجيين لم يسافروا في أول الأمر بأنفسهم إلى بلاد السودان لجلب ما فيها من خيرات، بل قضوا مدة طويلة وهم يستخدمون وسائط من الأهالي. فكانت تأتي القوافل تحت حراسة الغرامنت إلى أن تبلغ طرابلس"**[23].

ورغم أن أحداً لم يتعرف على أصل القبائل الجرمانتية، إلاّ أننا لا نستبعد أصلهم العربي الجنوبي، وذلك بالرجوع إلى موطنهم الذي اختاروه في الصحراء الليبية شمالي البلاد السودانية والحبشية المطلّة على باب المندب بوابة الهجرة اليمنية إلى الشمال الأفريقي ومصر منذ أقدم العصور.

وقد يؤيد هذا الرأي سرعة وسهولة تأقلم الجرمنتيين مع القرطاجيين، ولم يذكر المؤرخون أي تنافر بينهما، مثلما هو الحال مع الإغريق والرومان في الشمال، والزنوج في الجنوب. وقد أدى الأمر -في كلا الحالتين- إلى الحرب والاقتتال.

وفي نهاية المطاف التحمت العناصر الليبية (جرمنتيون وقرطاجيون ونوميديون) لطرد بقايا الوندال، بواسطة فرق الجمّالة المشكّلة من الجرمنتيين -بعد ترويضهم الجمل-، بقيادة القائد الطرابلسي (كاباون) كما سبق الذكر.

سابعاً= ليبيا القديمة في العصر الجاهلي:

---

[23] صفر: **مصدر سابق**، ص125.

استمر الحكم الروماني شديداً في المغرب العربي (ليبيا القديمة)، إلى أن تضعضعت الإمبراطورية الرومانية بسبب ضربات الجرمان وازدياد نفوذ الكنيسة والفساد الإداري..[24]. فانقسمت إلى شرقية وغربية. وفي وسط هذا الضعف والوهن الروماني، زحفت قبائل جرمانية همجية من شمال أوروبا قي اتجاه الجنوب، حتى وصلت إلى إسبانيا واحتلتها. مما أتاح لها فرصة عبور الزقاق والمضي قدماً نحو الشرق، مكتسحين كل ما صادفهم اكتساحاً همجياً لا هوادة فيه، **"يقتلون الشيوخ والأطفال، ويبقرون بطون النساء الحوامل، ويمزقون الأجنة الصغيرة، ويحرقون الكنائس الكاثوليكية والدور، ويتركون وراءهم الدمار والخراب أينما حلوا"**[25]. ولم يجدوا -في بادئ الأمر- أية معارضة تُذكر من الروم أو من الأهالي. غير أنه -بين حرب وهدنة وكر وفر- وصلت قبائل الوندال إلى طرابلس، وحكموا المنطقة كلها بقبضة من حديد. مما أثار حفيظة أهالي طرابلس، فثاروا عليهم وأضعفوهم وأنهكوا قواهم. فتح ذلك الباب أمام البيزنطيين، فتقدموا لسد الفراغ. حيث أبحروا من عاصمتهم القسطنطينية، ونزلوا على سواحل تونس، واستولوا على الشمال الأفريقي، وأتبعوه إلى إمبراطوريتهم في زمن جد قصير. ولكن الأهالي سرعان ما انتفضوا وثاروا من جديد، خصوصاً في إقليم طرابلس. حيث تعددت الغارات على البيزنطيين، فلم يحكموا سيطرتهم على كل المغرب، وبقيت القبائل البدوية التي على الأطراف تعيش حياتها المستقلة عن الروم والوندال والبيزنط. أما سكان الحضر فبقيت علاقتهم مع المحتل الأجنبي بين صداقة ومهادنة وعداء وقتال متفرق، إلى أن جاء العرب بالدين الجديد.

ثامناً= الوضع الدينى قبيل الفتح الإسلامى:

ذلك هو وضع المغرب العربي الكبير الذي استفحل فيه الوجود الأجنبي المختلط بين روم غربيين وشرقيين ووندال، وذلك بعد سقوط قرطاجة، وأفول نجم الشعب الجديد الذي تشكل من الليبيين والفينيقيين، والذي لم يبق له نشاط سياسي وعسكري باستثناء الجانب الحضاري المتمثل في مواصلة الازدهار الاقتصادي أو إعادة بناء البلاد بعد أن دمرها الوندال. أما الجانب الديني المؤثر في الحياة الثقافية عامة، ففي الزمن الغابر كان الليبيون وثنيين في أول عهدهم، ولهم آلهة عرفها عنهم المصريون القدامى والإغريق واشترك جميعهم في عبادتها، مثل (نيث، وهي أثينا) في الشرق و(بوسايدون، إله البحر عند الأوزونيين) في الغرب. كما كان لقبيلة لواتة زمن الوندال آلهة تسمى

---

[24] أنظر: سالم، د. السيد عبد العزيز: **تاريخ المغرب الكبير**، ج2، ط؟، دار النهضة العربية، بيروت/ لبنان، ص1.
[25] سالم: **نفس المصدر السابق**، ص9.

(غرزل)[26]. وكانت اليهودية قد دخلت إلى ليبيا زمن الفينيقيين، ومن بعدها المسيحية زمن الرومان. غير أن الليبيين لم يعتنقوا الديانتين بصورة عامة، إذ أن الاقتناع بهما -على ما يبدو- كان ضعيفاً، فبقيت اليهودية حكراً على الجالية اليهودية، والمسيحية حكراً على الأجانب المحتلين. فحصلت بين المسيحيين صراعات مذهبية، حيث جرى الانقسام الدوناتي الذي أعلنه (دونات) أو (دوناتوس) في منطقة طرابلس سنة 311م.[27]. وعندما دخل الوندال إلى الشمال الأفريقي ناصروا المذهب الأريوسي الذي يقول بطبيعة المسيح البشرية، فاضطهدوا الكاثوليك وصادروا ممتلكات كنائسهم.. وانقسامات عديدة أخرى، خصوصاً بعدما تحكم أباطرة بيزنطة في الدين واحتكروه لصالحهم، ونصّب بعضُهم نفسه بابا الشرق، فانبثق الشقاق بين العرش والكنيسة. وقد شهد المغرب شيئاً من الاستقرار النسبي في عهد هرقل، مما ساعد القساوسة الرومان على نشر الدين المسيحي بين الأهالي، وتولوا حمايتهم من البيزنطيين، وكان البطريق (غريغوريو) أكثرهم استقلالاً عن الإمبراطورية البيزنطية، وذلك بمساعدة أهل برقة وطرابلس. إلاّ أنه صيّر نفسه إمبراطوراً لأفريقيا والمغرب كله قبيل الإسلام، حيث اتخذ من مدينة إسبيطلة عاصمة له بدلا من قرطاجة، وذلك من أجل الوقوف في وجه العرب القادمين من الشرق ناشرين الدين الإسلامي في كل من برقة وطرابلس بقيادة عمرو بن العاص، غير أن الفاتحين عادوا إلى مصر بعد فتحهم مباشرة لمدينة صبراتة غرب مدينة طرابلس، وتركوا مهمة مواصلة فتح أفريقيا إلى عبد الله بن أبي سرح الذي هزم الرومان بقيادة (غريغوريو) سالف الذكر[28]، مهيئاً بذلك بقية بلاد المغرب للفتح الإسلامي عبر حملات لاحقة.

ورغم كل ذلك فقد اعترف كثير من المؤرخين الغربيين أن زمن الفينيقيين وبالذات مرحلة العهد البونيقي، وكذلك الصراع المذهبي المسيحي سالف الذكر، والتذبذب الديني بين وثنية وأديان سماوية، والوجود الروماني بالبلاد، قد هيأ -كل ذلك- سكان الشمال الأفريقي لاستقبال الدين الإسلامي بتلقائية وسهولة شهدت لهما مراحل الفتح الأولى. وفي هذا الخصوص يعترف (غيزل) بالقول: **"إن قرطاجة القديمة قد ساهمت في إعداد البربر لاعتناق الديانة الإسلامية"**[29].

---

[26] أنظر: البرغوثي: **مصدر سابق** ، ص ص214-215.

[27] أنظر: البرغوثي: **نفس المصدر**، صفحات متفرقة، مثلا ص500.

[28] كثير من المصادر ذكرت مقتل (غريغوريو) أو (جرجير) الروماني على يد عبد الله بن الزبير في حملة العبادلة على أفريقيا بقيادة عبد الله بن أبي سرح في عهد الخليفة عثمان بن عفان، أنظر مثلا: إبن عذاري المرّاكشي: **مصدر سابق**، ص ص9-12. وكذلك: زغلول، د.سعد: **تاريخ المغرب العربى**، ج1، ؟، دار المعارف، ؟، ص ص95-105.

[29] غوتييه: **نفس المصدر**، ص101.

الفصل الثاني:

اللغة عند الشعوب القديمة

اللغة العربية من السومريين إلى المسلمين

تمهيد:

يصعب على متتبعي تاريخ اللغات معرفةُ اللغة الأولى التي نطق بها الإنسان الأول. فالعربُ الأوائل تحدّثوا عن اللغة الأولى بشيء من الغموض بعيداً عن المنهجية العلمية، ولم يفلحوا في تقرير ما إذا كانت لغة آدم (عليه السلام) عربية أم سريانية، ولم يحدّدوا ماهية الأسماء التي علّمها له خالقه (سبحانه وتعالى)، واحتاروا في ما إذا كانت اللغة الأولى وحياً أم اصطلاحاً. أما العلوم الحديثة فتتعمق كثيراً في دراسة التاريخ القديم ونظريات نشأة الإنسان ومراحل تطوره بيولوجيا وسيكولوجيا، ثم تغوص -شيئاً فشيئاً- في دراسة تاريخ اللغات ورموزها وحروفها، وما يرافق ذلك من معرفة البيئات اللغوية وعلم اللغة المقارن وفقه اللغات وتحليلها تحليلاً علمياً، إلى جانب وجود دراية واسعة بتاريخ الثقافات الإنسانية والأديان على اختلافها.. وغير ذلك من العلوم الحديثة التي عجزت -هي الأخرى- عن معرفة اللغة الأولى التي تفتق بها لسان الإنسان الأول. وقد يعود السببُ في ذلك إلى أن اللغة تواترت لآلاف السنين بين أقوام بعضُها بادَ وبعضُها الآخر لم تصلنا لغتُه مسجّلة بصوته. ورغم ذلك، فإن كل المصادر التقليدية منها والمستحدثة تعترف -غيبياً- بأن جزيرةَ العرب كانت مهد اللغة الأم قبل أن تُخط على الألواح المسمارية في عهد الممالك السومرية بنهري دجلة والفرات، وقبل أن تُنقش بالرموز الهيروغليفية في عهد الممالك المصرية القديمة بوادي النيل. وقد اتفق العلماءُ العرب المعاصرون على تسمية تلك اللغة بأسماء مختلفة ولكنها تحمل نفس المعنى، وذلك مثل: اللغة الجزرية (نسبة إلى شبه الجزيرة العربية)، أو اللغة العربية القديمة، أو اللغة العروبية، وهذه الأخيرة جاءت استعاضة عن المصطلحات التوراتية التي تبناها الكتّابُ الغربيون كـ(اللغة السامية) و(اللغة الحامية).

أما اللغةُ التي يمكننا دراستها -نحواً وصرفاً ولفظاً- فهي لغة الأكّديين التي ارتحلت مع أصحابها من شبه الجزيرة العربية إلى سومر ببلاد الرافدين السفلى في الألف الرابع قبل الميلاد، وأسسوا مدينة أكّد هناك في حدود 2371 ق.م. ومن تلك اللغة انحدرت كلُّ اللغات أو اللهجات الأخرى إلى أن وصلت إلى عرب الجاهلية عن طريق الأنباط، وربما اختلطت قبلها بلهجات عرب الجنوب، أو أن مصدرها الأول كان من هناك، ثم انتقلت عن طريق التجارة من الموانئ الجنوبية إلى

الحجاز، ومن ثم إلى بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين وغيرها. وعندما نزل القرآن الكريم على قلب النبي العربي محمد بن عبد الله (صلوات الله وسلامه عليه) نزل بلهجة قريش، خلاصة كل اللهجات العربيات سالفة الذكر، فاهتم بها المسلمون في صدر الإسلام، ووضعوا لها القواعد والقيود التي تمنع عنها اللحن والتحريف، فصارت لغة الدولة العربية الإسلامية التي أثرت في لغات العالم آنذاك، لاسيما الأوروبية منها. وسيقدّم هذا المبحث لمحات موجزة من اللهجات العربيات المتفرّعة من اللغة الأكّدية والأقوام التي استخدمتها على طول المنطقة وعرضها، وعلى مدى آلاف السنين السابقة للإسلام، علّه يجد علاقة ما بين تلك اللهجات ولغةِ سكّان ليبيا القديمة وما تفرّع عنها -هي الأخرى- من لهجات متعدّدة.

أولاً= اللغة السومرية:

السومريون شعبٌ مجهولُ المصدر عُرف ببلاد ما بين النهرين السفلى في حدود الألف الرابع قبل الميلاد على هيئة دويلات شبه موحّدة[30]، وهو أولُ من عبَّر عن لغته بطريقة الضغط على ألواح الطين، فيما عُرف بالكتابة المسمارية التي انفرد باختراعها الأول. أما لغته فهي -على ما يبدو- خليط بين مرحلة ما قبل السومرية وبين الأكّدية التي تلتها زمنياً. ويذكر (ف. فون زودن Wolfram von Soden) بعضَ الظواهر اللغوية اللافتة للنظر تتمثل في نهايات أسماء بعض المواقع الجغرافية القديمة[31]، كاللاحقتين (أل) و(إل)، مثل: **كازال، بابل، أربيل**.. واللواحق (اَتّ) و(اِتّ) و(اُتّ) مثل: **كخات، أوغاريت، شيناخوت**.. وغيرها من الظواهر المشابهة، إلى جانب العديد من أسماء البلدان التي لا تخضع لتلك الظواهر[32]. ويرى الباحث (ب. لاندسبرغر B. Landsberger) أن أسماءَ هذه الأماكن التي كانت متداولةً في سومر في حدود الألف الرابع قبل الميلاد، إنما هي من اللغة الفُراتية البدائية السابقة للعهد السومري[33]، دون أن يحدّد ماهية تلك اللغة ومن أي الأماكن جاءت وما هي الأقوام التي استعملتها. ولم يقتصر الأمرُ على أسماء الأماكن الجغرافية التي تعاملت معها سومر، وإنما تعدّته إلى أسماء المهن والحِرف، ومنها ما لا يزال يُستعمل إلى الآن[34]، مثل: **تِبرا**= صانعُ النحاس (ربما لفظ التبر منها)، **نَجَر**= نجّار (وهي عربية واضحة)، **مَلَخ**= ملاّح (مع إبدال الحاء خاءً)، **بَخَر**= صانعُ الفخّار (الباء مخففة تشبه الفاء)، **اَشجَب**= صانعُ الأحذية (والشَّجْب في لسان

---

[30] للمزيد أنظر: عبّودي، هنري س.: **مُعجم الحضارات السامية**، ط2، 1991، جروس برس، طرابلس/ لبنان، ص ص 513-516.
[31] زودن، ف. فون: **مدخل إلى حضارات الشرق القديم**، ط1، 2003، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق/ سوريا، ص22.
[32] للإطلاع على هذه الأسماء أنظر: سليمان، د. عامر: **اللغة الأكّدية**، ط2، 2005، الدار العربية للموسوعات، بيروت/ لبنان، ص ص24-25.
[33] زودن: **مصدر سابق**، ص23.
[34] أنظر قائمة هذه الألفاظ في: سليمان: **مصدر سابق**، ص 24.

العرب: تداخلُ الشيء بعضُه في بعض، ويشْجُب اللجام: يجذبه.. وفي صناعة الأحذية والنِّعال شيءٌ من هذه المعاني مثل تداخل خيوط الجلد وجذبها وربطها). وقد أورد الباحث (سمويل كريمر Samuel Noah Kramer) في كتابه (من ألواح سومر) قائمةً لعلامات تصويرية متتبعاً مراحلَ تحولها إلى طريقة الضغط على ألواح الطين حتى صارت مسمارية[35]، ثم شرح ما يقابلها من ألفاظ ومعانٍ في اللغة السومرية[36]. وقد يتبادر للذهن -عند الوهلة الأولى- أن هذه الكلمات غريبة عن لغتنا العربية الحالية وبعيدة عن تراكيبها اللفظية، وهذا شأن اللغات القديمة البدائية الأولى، حيت اعتمدت على أحادية الجدر، ثم صارت ثنائية، واستقرت أخيراً على الثلاثية بل تجاوزتها. علاوة على ما يلحق الألفاظ من تطور في الدلالات فتبتعد عن المعنى الذي جُعلت من أجله. ورغم هذه الاعتبارات يمكننا أن نجدَ رابطاً معيناً بين اللغة السومرية ولغتنا العربية الحالية على غرار العيّنات السابقة مهما كان هذا الرابط مباشراً أو غيرَ مباشر، لنتفحص هذه العيّنات[37]:

1- **آن**: وتمثلها نجمة، وتعني (سماء)، كما تعني (إله)، ولمقاربتها للعربية نتابع الشروح التالية:

- يقال: (لا أفعلُه ما **أنَّ** في السماء نجمٌ ما كان) أي ارتفع، والله رفع السماءَ بغير عمدٍ.

- **أنَّ** الماءَ **يؤنّه** أنّاً: أي صبّه، والسماءُ **تؤنّ** الماءَ **أنّاً**.

- **النّأي** (مقلبوب **أنّ**): البعدُ، والسماءُ بعيدة بحسب موقعنا منها.

- **عنَّ**: عنن (وفيها قلبُ الألف عيناً، على عادة اللغات القديمة كالسومرية): **العانّةُ والعِنانةُ**= السحابةُ، **والعِنانُ**= السحابُ، **وأعنانُ** السماءِ= نواحيها.

2- **لو**: وتمثلها -على ما يبدو- صورةُ الجزء الأعلى لجسم الإنسان، وتعني (رجل أو إنسان)، ونجد في العربية هذا المقطع (**لو**) أو (**لُ**) في عدة تركيبات لفظية لها علاقة ما بالمعنى السومري، لنرى:

- العربُ يسمّون (**لُؤَي**) مثل (**لؤي** بن غالب، أبو قريش).

- يقال: (**لوَى** الغلامُ)، أي: بلغ عشرين وقُويت يدُه **فلوَى** يدي غيره (أي صار رجلا، إنسانا كاملا).

---

[35] كريمر، صمويل: **من ألواح سومر**، ترجمة: طه باقر، ط؟، ؟، مكتبة المثنى ببغداد ومؤسسة الخانجي بالقاهرة، بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ص27.

[36] كريمر: **نفس المصدر السابق**، ص ص405-409.

[37] اعتمدنا في هذه المقاربة على: 1- **لسان العرب المحيط** لابن منظور، 2- **كتاب العين** للفراهيدي.

- ويدخل المقطع (**لو**) في عدة أسماء عروبية قديمة (سامية)، مثل: (**لود**) أو (**لوذ**) وهو (لاوذ بن سام بن نوح)، و(لوط) عليه السلام، و(**لوقا**) صاحب الإنجيل الثالث، و(**لوبيم**) جد الليبيين القدامى، ومن قدمائهم أيضا (**لو** الأكبر) و(**لو** الأصغر)، ومن قبائلهم القديمة (**لواته**).

- وفي مادة (**أول**) نجد: (**الآل**)= الرجل، و(**آل** الرجل)= أهله وعياله.

3- **سال**: وتمثلها صورةُ فرج المرأة، وتعني (فرج)، ونرى منطوق هذا اللفظ (**سال**) كأنه هو الفعل العربي (**سال يسيل**)، وهو يقترب من وظائف فرج المرأة خصوصاً فيما يتعلّق بالحيض والحمل والإنجاب، والله خلق الإنسانَ من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب.

4- **مونس**: وتمثلها صورةُ فرج المرأة أيضاً، وتعني (إمرأة)، ونرى فيها تسهيلاً للفظ العربي (**مؤنس**) أو (**مؤنسة**) من **الأنس**، وحواء خُلقت **لتؤنس** آدم في وحشته. و(**الآنسة**) المرأة المتزوجة.

5- **ناج** أو **نج**: ويمثلها رمزٌ مركّبٌ من صورة الفم والماء، وتعني (شرب يشرب)، وفي وصفة طبية وُجد (**لو نج كش**)، وتعني (الرجل شرب الدواء)، و(**كش**) أو (**جش**) أو (**قش**) تعني الدواء، والدواءُ أصلُه من الأعشاب اليابسة، أي من **القش**. أما (**نج**) فنجد لها مكافئاً في العربية:

- **نجوت** الدواء: شربته.

- **نجنج** اللقمة في فيه: إذا حرّكها ولم يبتلعها، أي أغدق عليها اللعاب حتى صارت كالسائل.

- **النجنجة**: رد الإبل عن الماء.

وغير ذلك كثيرٌ من الألفاظ السومرية التي نجد ما يكافئها في العربية، مثل (**إل**) وتعني مرض أو مريض، وأصل الألف عينا= عِلّة وعليل. وكذلك (**صأد**) بمعنى صَعَد. و(**كور**) بمعنى جبل. و(**سمنو**)= سمنٌ. و(**إبلو**)= إبنٌ. و(**برو**) كثيرٌ، من البرّ.. [38].

وفي اللغة السومرية ظواهر خاصة لا توجد في (العربية القديمة)، مثل: أنها غير قابلة للتصريف، أي أنها ليست معرّبة، ولا تفرّق -غالباً- بين المذكر والمؤنث، كما أنها لغة لصقية يتكون اللفظ فيها من عدة كلمات ليعطي مدلولاً جديداً، مثل: (**لو**= رجل) + (**جال**= عظيم)= (**لوجال**)، تعني (ملك)[39]، ولفظ (**جال**) يقترب من الفعل العربي (**جلّ**= وقّر وعظّم). و(**مونس**= إمرأة) +

---

[38] أنظر هذه الألفاظ في: حاتم، د. عماد، **في فقه اللغة وتاريخ الكتابة**، ط1، 1982، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس/ ليبيا، ص 203.

[39] أنظر: سليمان: **مصدر سابق**، ص31.

(**كور**= جبل) تعني (أمَة أو عبدة) لأن العبدةَ تُجلب من المناطق الجبلية عادة[40]. وغير ذلك مما لا يوجد في اللغة الأكّدية التي تغلبت على السومرية بغزارة مفرداتها وفصاحتها وقواعدها النحوية والصرفية واللغوية رغم ما واجهته من عقد التدوين بالرموز المسمارية.

ثانياً= اللغة الأكّدية:

يبدو أن الأكّديين قدِموا إلى بلاد سومر من شبه الجزيرة العربية عبر سوريا منذ الألف الرابع قبل الميلاد، إلى أن أسّس (سرجون الأول) مدينة (أكّد Akkad) أو (أجادة Agade)[41] سنة 2371 ق.م. فسمّوا باسمها. وكانوا قد جلبوا معهم لغتَهم (الجزرية) أو (العروبية) أو (العربية القديمة) المختلفة عن السومرية، فاعتبرها العلماءُ اللغة الأم الأقدم تاريخياً. غير أن تلك اللغة دُوّنت بالرموز المسمارية فأبعدتها قليلا عن أصولها الأولى، وذلك مثل عدم وجود رموز مسمارية تمثل الحروف الحلقية كالعين والغين والحاء، فتغيرت بعضُ الصيغ في اللغة الأكّدية مجاراةً للأساليب الفنية التي اعتمدتها تلك الكتابة المعقدة، وذلك مثل: (**إشمع** = سمع) صارت (**إشمي**)، و(**غرابُ م** = غرب) صارت (**إريبُ م**)، و(**تَلقح** = أخذت) صارت (**تَلق**)[42].. حيث تغيرت الحروف الحلقية إلى علامات كسر. وقد جاءت اللغة العروبية بحرف الضاد الذي ميّز اللغة العدنانية (الفصحى) فيما بعد. وبما أن الكتابة المسمارية ليس فيها حروف التفخيم والإطباق كالطاء والظاء والضاد، أستبدل الضاد بحرف الصاد، مثل: كلمة الـ(**ضما**) التي صارت (**صَموم**)، والـ(أرض) التي صارت (**أرْصَتُ م**)، وهو ما يندرج ضمن نظام الإبدال المكاني، مثل ما حصل مع حرفي السين والثاء فصارتا شيناً، والزاي ذالاً.. كما تبنّت الأكّدية قاعدة التمييم التي بالسومرية (وهي إلحاق الكلمات بحرف الميم التي تحولت إلى التنوين فيما بعد).

ومن جهة أخرى فقد أثرت اللغة الأكّدية على اللغة السومرية حتى قبل أن يتولى أصحابُها السلطة في البلاد. ثم بدأ الصراعُ اللغوي بين اللغتين إلى أن تغلبت الأكّدية بصورة واضحة، وصارت لغة تخاطب ومكاتبات رسمية إلى جانب السومرية حتى بعد زوال الدولة الأكّدية على أيدي الأقوام الجوتية الغازية[43]. وبهذه القوة التي بدأت بها اللغة الأكّدية عصرها يمكننا اعتبارها لغة أمّاً حقيقة، تولّدت من رحمها اللغات أو اللهجات العربيات اللاحقة لها، وبلغت شأواً عظيماً بين الشعوب المجاورة التي استعملتها بعد أن تراجعت لهجاتُها المحلية أمام المد اللغوي الذي فرضته الشعوبُ

---

[40] أنظر: كريمر: **مصدر سابق**، ص406.
[41] هكذا وردت في: عبّودي: **مصدر سابق**، أجادة ص47، وأكاد ص115.
[42] أنظر سليمان: **مصدر سابق**، ص193.
[43] أنظر: سليمان: **نفس الصدر السابق**، ص39.

العروبية كالعموريين والآراميين والفينيقيين وغيرهم من الكنعانيين المنهالين على الشرق الأدنى القديم.

ولمقاربة اللغة الأكّدية للغتنا العربية الحالية نستعرض المفردات التالية:

1- **بيلُـ م**= أصلها: بَعْلُـ م= سيدٌ (لا زال لفظ بعل عندنا يعني: زوج).

2- **شَورُ م**= ثورٌ (وفيه إبدال الثاء شينا).

3- **بَيْتُـ م**= بيتٌ.

4- **قِريبُـ م**= تقدّمٌ (والقرب فيه تقدّم).

5- **سَبْتَين**= شفتين، شفتان (مثنى مجرور بالياء، وليس به تمييم).

6- **أبْنُـ م**= حجر (والحجر للبناء).

7- **شِيمُـ م**= سماء.

8- **بُلخُـ م** (بباء خفيفة كالفاء)= خوف (والبلخ في العربية مصدره الأبلخ وهو العظيم في نفسه)، (أما الفلخ -بالخاء- فهو القفح، أي: الضرب والصفع على الرأس، بالعصا مثلاً، لاحظ العلاقة بين الضرب والخوف).

وعندما تخلصت اللغة الأكّدية من (التمييم)، باستثناء النصوص الدينية ذات الطابع الكلاسيكي، بدأت تقترب أكثر من لغتنا الحالية. فآلت (**أبُم**) إلى (**أبٌّ**)= أبٌ، وكذلك (**بَنُ**)= إبنٌ، و(**أمٌّ**)= أمٌّ، و(**أخٌ**)= أخٌ، و(**أزنُ**)= أذنٌ، و(**بيلُ**)= بَعلٌ، وغيرها[44].. أما النحو في الأكّدية، فأهم ظاهرة فيه كانت الإعرابُ، حيث يُرفع الفاعل ويُنصب المفعول ويُكسر المجرور، وذلك مثل: (**شَرُّم**)= مَلِكٌ، و(**شرَّم**)= مَلِكاً، و(**شرِّم**)= مَلِكٍ..[45]. أما الجمع فكان المذكّرُ في حالة الرفع: (**شَرَّانُ**)= ملوكٌ، وفي حالتي النصب والجر: (**شَرَّانِ**)= ملوكاً وملوكٍ. والمؤنثُ في حالة الرفع: (**أمّاتُ**)= أمهاتٌ، وفي حالتي النصب والجر: (**أمَّاتِ**)= أمهاتٍ[46].

أما على المستوى المعجمي والبناء اللفظي فقد أوردنا بعض المفردات المتفقة مع لغتنا الحالية، إلاّ أن هناك مفردات قد ينحرف نطقها ومدلولها قليلاً عمّا عندنا، وقد تختلف مفردات أخرى تماماً. فالمتفقة والمنحرفة قليلا تكون مثل: (**سومُ**)= ثوم، و(**أرصتُ**)= أرض، و(**كبتُ**)= كبد، و(**شُبُلتُ**)= سنبلة، و(**ملكٌ**)= بيت، و(**باب**)= مدينة، و(**باء**)= رجع، مقلوب: آب، وأيضا باء

---

[44] للمزيد من هذه المفردات، أنظر: التونجي، د. محمد: **عبقرية العرب في لغتهم الجميلة**، ط1، 1982، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس/ ليبيا، ص136. أما المُيمّم منها فانظر: سليمان: **مصدر سابق**، صفحات متفرقة.
[45] سليمان: **نفس المصدر السابق**، ص ص200-201.
[46] سليمان: **نفس المصدر السابق**، ص ص201-202.

بالفشل: انتهى إليه أو عاد إليه، و(**أناكُ**)= أنا، و(**إمنُ**)= يمين[47]، و(**صِخِر**)= صغير، و(**رَبِ**)= كبير، من ربا يربو، و(**نَكِرتُ**)= أجنبي، من نَكِرة، و(**ملكاتُ**)= أميرة، و(**ليموتٌ**)= شرّيرة،[48] لئيمة.. وغيرها. أما المختلفة فقد يعود اختلاف بعضها إلى تغيير مسار مدلولها، مثل: (**شَرٌّ**)= ملك، و(ش) أصلها (س)، وفي لسان العرب (السّرو)= المروءة والشرف، و(السَّريّ)= المختار، والملك الأكّدي الأول يتكوّن اسمه من المقطع (سر)= (سركون)، ولا زال السودانيون -مثلا- يسمون أبناءهم (سر). وقد يعود بعضها الآخر إلى بطلان استعمالها فتدخل ضمن الغريب أو المهجور أو البائد، أو الأعجمي المعرّب، مثل: (**إَكدمر**)= أتم، (**مئادتُ م**)= كثير و(**دَمقُ م**)= طيب، والدمق: الثلج مع الريح (فارسية معرّبة)..

هكذا ومنذ أن حط الأكّديون رحالهم على الأرض الجديدة، عمدوا إلى الرقي بمكتسبات السومريين إلى درجة الكمال المطلوب **"لبناء دولة كتب لها أن تكون من أعظم دول العالم القديمة، وبما يتماشى مع حاجاتهم الخاصة ومع لغتهم** (العروبية) **السامية طبعا"**[49]. فاللغة السومرية ليست كلغتهم، فقاموا ببعض التعديل واحتفظوا ببعض الأساسيات في مجال الكتابة، وأسسوا لغة قوامها لهجتهم التي جاءوا بها من جنوب الجزيرة العربية، أو ربما اختلفت قليلاً تحت تأثير بقائهم في سوريا والرافدين مدة من الزمن قبل تأسيس إمبراطوريتهم، فاتسع مجال اللغة الأكّدية ليشمل المنطقة برمتها، خصوصاً بابل وآشور.

ثالثاً= أهم فروع اللغة العروبية (اللهجات الشرقية والغربية):

1- اللهجتان البابلية والآشورية:

تتمثل اللهجات الشرقية في أهم فرعي اللغة الأكّدية، وهما اللهجة البابلية، واللهجة الآشورية. فكان البابليون ينتمون إلى مدينتهم المقدّسة (باب-إل)= باب الله. كما انتمى الآشوريون إلى الإله (آشور)= الثور المجنّح الذي قدّسوه.

لقد اجتاحت الأقوام الجوتية القادمة من جبال زغروس حوالي العام 2200 ق.م.[50] وسيطرت على المنطقة نحو قرن من الزمان، إلى أن استعادت المدن السومرية استقلالها عن الجوتيين. ثم جاء الكنعانيون العموريون (الأموريون) القادمون أصلاً من شبه الجزيرة العربية عبر

---

[47] وردت مجموعة هذه الألفاظ في: هلال، د.عبد الغفار حامد: **أصل العرب ولغتهم، بين الحقيقة والأباطيل**، ط؟، 1996، دار الفكر العربي، القاهرة/ مصر، صفحات متفرقة.
[48] سليمان: **مصدر سابق**، صفحات متفرّقة.
[49] هبّو، د. أحمد: **الأبجدية ـ نشأة الكتابة وأشكالها عند العرب**، ط1، 1984، دار الحوار للنشر والتوزيع، القاهرة/ مصر، ص41.
[50] عبّودي: **مصدر سابق**، ص323.

البلاد السورية وأسسوا مدينة لهم على الفرات الأوسط عُرفت تاريخياً باسم (ماري) المشتق أصلا من اسمهم، وفي الألف الثاني قبل الميلاد أسّسوا في بلاد ما بين النهرين السلالة البابلية الأولى، فاستخدموا اللغة الأكّدية مخلوطة بما جاءوا به من الجزيرة العربية، حيث كانت اللغتان من مصدر عروبي واحد، ودوّنوها -هم أيضاً- بالحروف المسمارية المضغوطة على ألواح الطين، وأكبر شاهد كتابي لهم قوانينُ المشرّع الكبير والملك البارز (حمورابي). ويلاحظ على هذا اللوح أن اللغة لازالت تحتفظ بظاهرة التمييم المعتمدة أساسا في اللغة السومرية منذ القديم.

وتتيح قوانين حمورابي إبداءَ بعض الملاحظات الهامة، مثلاً: أن بعض الألفاظ بدأت تتحول من أحادية الجذر إلى ثنائيته. على سبيل المثال الكلمة الأكّدية (**دِنُ**)= قانون، كانت في السومرية أحادية الجذر (**دِ**)= قانون. ويقول بعض اللغويين العرب أن لفظ (مدينة) جاء من (دان، يدين)، كذلك فعلت الأكّدية في العصر البابلي حيث أخذت من الثنائي (**د ن**) اسم القاضي: (**ديّانُ**). أما العدالة ففي الأكّدية (**مِشَرُ**)، والمَسر في لسان العرب: الإخراجُ من ضيق. ويصف حمورابي كل فقرة من قوانينه بأنها "أحكام العدالة"= (**دِنَات مِشَرِم**). وكانت القوانين موجهة لتنظيم العلاقة بين فئات الـ(**مُشْكِنُ م**) أي السكّان[51].

امتدت سلطة العموريين من السلالة الأكّدية ببابل إلى القسم الشمالي، بين نهري دجلة والفرات. وفي القرن الثامن عشر قبل الميلاد، أسس (شمسي أدد الأول) المعاصر لحمورابي السلالة العمّورية في آشور. وبدأت في التوسع منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد[52]، فاتسعت معها رقعة استعمال اللغة الأكّدية بلهجتيها البابلية والآشورية، إلاّ أنها لم تزل تدوّن بالحروف المسمارية.

2- اللهجة الإبلاوية (تل مرديخ):

وتقع إبلا (تل مرديخ) على بعد 60 ميلا شمال حلب السورية، ويرقى تاريخها إلى النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد. ورغم صعوبة قراءة النصوص الإبلاوية المسمارية القصيرة بالكامل، إلاّ أن اللغة المدوّن بها الرُّقَم المكتشفة هناك تشير إلى أنها لغة (عروبية) **"قريبة الشبه باللغات** (اللهجات) **الفينيقية والأوغاريتية والعبرية"**[53]. كما أنها **"لم تأخذ كل علامات الكتابة السومرية ولا كل قيمها الصوتية، وانها استحدثت عددا من القيم الصوتية الجديدة"**[54]، فاكتسبت بذلك خصوصية اللهجات الغربية المبتعدة قليلا عن اللهجة البابلية.

---

[51] وردت هذه الألفاظ دون تحليل عند الحديث عن القوانين في العصر البابلي، في: زودن: **مصدر سابق**، ص ص149-153.
[52] عبّودي: **مصدر سابق**، ص ص91-92.
[53] سليمان: **مصدر سابق**، ص71.
[54] زودن: **مصدر سابق**، ص43.

3- اللهجة الأوغاريتية (رأس شمرا):

وتقع أوغاريت على الساحل السوري الشمالي بالقرب من اللاذقية. وفيها تغلّب الكنعانيون على المجموعات الحثية، بعد أن انتهوا كمجموعة سكانية خاصة في بابل وبلاد الرافدين بعد أواسط الألف الثاني قبل الميلاد[55]. والأوغاريتية لهجة كنعانية من اللهجات القادمة من جنوب الجزيرة العربية. ووجد الدكتور محمد التونجي صلة ما بينها وبين لغة عرب الجنوب، مستدلاً بفعل (وثب) الذي يعني في الأوغاريتية والعربية الجنوبية (جلس) وليس (قفز)[56] المتعارف عليه. كما يرى البعض أن لفظ (أوغاريت) يعني (القرية)[57]، وفيها تعاقب الغين مع القاف. وأن (راس شمرا) تعني (برج الحراسة) لأن الحراسة تتم ليلاً، وفيها تعاقب الشين مع السين (شمر= سمر= سهر)[58]. وفي الأوغاريتية ظاهرة الثنائية، مثل: (**بن**)= (إبن)، و(**يُم**)= (يوم)، و(**عَل**)= (على)[59]..

4- اللهجة الفينيقية:

وهي لغة (عروبية) تكلّمت بها الأقوام الكنعانية التي بنت مدائنها على طول الساحل السوري منطلقين من مدينة أوغاريت، وقد أطلق عليهم الإغريق اسم (فينيق). وكان لهم قصب السبق في اختراع أول أبجدية مستقلّة في التاريخ، قوامها حروف مجرّدة يعبّر كل رمز عن مخرج صوتي معيّن، وعددها 22 رمزاً. غير أن الفينيقيين اكتسبوا شهرتهم خارج مدائنهم، وذلك عندما نقلوا نشاطهم التجاري إلى سواحل البحر المتوسط، فقُيّض لحروفهم أن تكون أساس كتابات العالم لاسيما لدى الشعوب الأوروبية عن طريق الإغريق المعجبين دائماً بالنفائس الفينيقية.

5- اللهجة الآرامية:

غير أن أهم تطوير لغوي حصل في المنطقة كان مع قدوم الآراميين من شبه الجزيرة العربية وانتشارهم في بلاد الشام وأطراف الرافدين. ومع بداية الألف الأول قبل الميلاد ضغطوا على حدود الدولة الآشورية الشمالية الغربية، **"وبدأت لغتهم الآرامية بخطها الأبجدي البسيط بالانتشار"**[60]، حتى صارت لغة الدولة في بلاد الرافدين، لاسيما الدولة الأخمينية التي **"استخدمتها لغة رسمية فضلاً عن الفارسية"**[61]. كما دوّنت بها شروح التلمود البابلي المختلف عن التلمود الفلسطيني لغوياً. وقد ساعد اللغة الآرامية على سرعة الانتشار أنها جاءت بالحروف الأبجدية التي

---

[55] زودن: **نفس المصدر السابق**، ص28. وكذلك في: سليمان: **مصدر سابق**، ص72.
[56] أنظر: التونجي: **مصدر سابق**، ص29-30.
[57] أنظر: قبيسي، د. محمد بهجت: **ملامح في فقه اللهجات العربيات**، ط2، 2000، دار شمال، دمشق/ سوريا، ص35.
[58] التونجي: **مصدر سابق**، ص29.
[59] التونجي: **نفس المصدر السابق**، ص30.
[60] سليمان: **مصدر سابق**، ص74.
[61] سليمان: **نفس المصدر السابق**، ص75.

اخترعها الكنعانيون الأوغاريتيون على أساس الرموز المسمارية، ثم طوّرها الكنعانيون الفينيقيون إلى صور مجرّدة مستقلة، فابتعدت كثيراً عن اللوغوغرامات المسمارية المعقدة. ومنذ القرن التاسع قبل الميلاد استخدم الآراميون في لغتهم حروف العلّة (ا، و، ي) للتعبير عن إشباع الحركة، إلى جانب استخدام أشكال إضافية للصوائت القصيرة[62] (حركات الإعراب)، ثم تم الاستغناء عنها، تماماً مثلما يفعل العرب في كتابة وطباعة لغتهم حالياً. كما استخدموا الـ(هاء) للتعبير عن الفتحة المشبعة، إلى جانب استخدامات نحوية أخرى تأثر بها العرب فيما بعد.

6- اللهجة السريانية:

وهي آرامية الأصل تكلّم بها المسيحيون من سكان بلاد الشام بعد أن تنصّروا، وكان المسيح (عليه السلام) بشّر بالآرامية واسعة الانتشار ولم يبشّر بالعبرية (لغته ولغة قومه)[63]. ثم انقسمت اللهجة السريانية إلى فرعين بحسب انقسام الكنيسة المسيحية إلى طائفتين: النساطرة الخاضعين للدولة الفارسية في الشرق، واليعاقبة الخاضعين للحكم الروماني في الغرب. فانقسمت السريانية إلى لهجتين: شرقية وغربية، ولكنها ساهمت في نقل المعارف اليونانية إلى العربية في ظل الدولة العربية الإسلامية[64].

7- اللهجة العبرية:

لم تكن العبرية لغةً حيّةً على الإطلاق بل كانت لهجة محكية بين اليهود بعد قدومهم من مصر واستخدامهم اللغة الكنعانية. ثم أخذت في الانكماش بعد تعرض السامرة وأورشليم للسقوط على أيدي الآشوريين والبابليين، فسادت الآرامية منذ القرن السادس قبل الميلاد، وظلت العبرية لغة دين فحسب. إلى أن ظهرت العبرية الحديثة (إفريت) بعد تأسيس الكيان الصهيوني، في محاولة من اليهود لبعث العبرية من جديد. وتبقى أهمية دراسة العبرية مفيدة في علم اللغة المقارن بحكم أنها من اللهجات الكنعانية التي لا تزال بقاياها قائمة إلى الآن، إلاّ أن الباحثين الغربيين **"اعتبروا أن المعاجم العبرية هي الأساس وتركوا المعاجم العربية"**[65]. وتقابل العبرية لهجة المؤابيين في شرق نهر الأردن، وأهم شاهد لها يعود للملك المؤابي (ميشع) الذي دوّن عليه حروبَه مع بني إسرائيل في القرن التاسع قبل الميلاد. وهناك اللهجة السامرية التي تكلمت بها طائفةٌ من اليهود لا تؤمن إلاّ بالأسفار الخمسة الأولى من كتاب العهد القديم[66].

---

[62] زودن: **مصدر سابق**، 48.
[63] التونجي: **مصدر سابق**، ص32.
[64] أنظر: سليمان: **مصدر سابق**، ص76.
[65] قبيسي: **مصدر سابق**، ص53.
[66] أنظر: سليمان: **مصدر سابق**، ص ص73-77. ومصادر أخرى متنوعة.

رابعاً= مقاربة بين اللهجات الكنعانية واللغة العربية الحالية:

أهم أثر عربي واضح على اللهجات الكنعانية تمثّل في اللهجة الآرامية وما تفرّع عنها من لهجات. ولعلّ أحرف العلّة التي جاءت لإشباع الحركة ومدّها كان دليلاً على دخول اللغة مجال الفصاحة والبيان في النطق وتوصيل المدلول إلى السامع بوضوح قدر الإمكان. إذ يبدو أن اللغة كانت ساكنة وجامدة ومنغلقة، ونطقُها كان مقتضباً بعض الشيء، فدعت الحاجة للإطالة والتركيز على الحركات لتتحوّل اللغةُ من مرحلة التسكين إلى مرحلة التصويت. وهذه شيمة اللهجات العربيات الفصيحة التي تداولها عرب الجاهلية مخاطبةً وشعراً ونثراً. وقد استفاد العرب من حروف العلّة، وبواسطتها أفصحوا وأعربوا وأبانوا. فبينما كانت كلمة (بنت) مثلا، تعني المفرد والجمع معاً، شبّعوا حركة النون بالألف فصارت كلمة (بنات) فيصلاً بين الإثنين، وهكذا حصل مع الواو والياء[67]. والظاهرة الملفتة للنظر تمثلت في (الهاء) المشبعة للفتح، وكذلك اتخاذها أداة تعريف بدل الهمزة، ربما لقربهما في النطق. وبعض القبائل العربية بقيت تستعمل (هل) بدل (ال) التعريفية، فيُدغم اللام وتبقى الهاء وحدها. ونجد هذه الظاهرة أيضاً في العبرية، مثل (هجّمل) و(هشّمس)، ربما اقتبسها العبريون من جيرانهم الصفويين والثموديين. ولا زال بعض المشارقة يقولون (هلّيلة، هشّجرة، هطّريق..). ويوجد في الفصحى تعاقبٌ بين الهاء والألف كأداة استفهام، مثل (هذا)= (أذا). ويضيف الدكتور قبيسي **"أننا نجد آثار الهاء موجودة في العدنانية، فنقول: (نحن) و(ها نحن)، ونقول: (أولاء) و(هؤلاء)، ونقول: (ذا) و(هذا)"**[68]. وتتعدى الهاء قاعدة التعريف إلى التركيب اللفظي، وتقول المعاجم العربية أن (هراق الماء) أصلها (أراق) وغيرها. كذلك بعض الضمائر العروبية القديمة كان أصلها ألفاً ثم تحولت إلى هاء، مثل: (هو، هي، هم، هن..). وإذا خاطب المرءُ غيره يبدأ بالهمزة أولاً ليدل على أنه بدأ بالضمير، ثم يضيف تاءً لتعيين المخاطب، ويضع بينهما نون الانتقال: (أ+ن+تَ)، (أ+ن+تِ)، أ+ن+تُ+م)[69].. انتقل هذا التعاقب بين الألف والهاء تدريجياً إلى العرب من اللغات واللهجات القديمة التي مرت بمراحل تطوير عديدة لتؤدي وظيفتها الاتصالية بالصورة المثلى وبدون لبس ولا غموض.

---

[67] أنظر تفصيل ذلك في : هبّو: **مصدر سابق**، ص ص80-81.
[68] قبيسي: **مصدر سابق**، ص55.
[69] للمزيد أنظر: التونجي: **مصدر سابق**، ص ص74-77.

هذا على مستوى الإفصاح والإبانة وما نتج عنهما من قواعد نحوية، أما الجوانب المعجمية فهي الأخرى شديدة الشبه بين ما كان متداولاً عند أجدادنا الكنعانيين وما نتداوله نحن اليوم فيما بيننا. وقد يعود السبب في ذلك إلى تشابه البيئات وطرق العيش، مع اختلافات طفيفة في أساليب التفكير الآخذة دائما في التطور التدريجي، مع الحفاظ على المكتسبات اللغوية السالفة لربط الصلة بين الماضي والحاضر. ولعل العيّنات الآتي ذكرها تشير إلى ذلك:

1- اللهجة الفينيقية/ الآرامية:

(**أبا**)= أب، (**برا**)= إبن، (**إحا**)= أخ، (**إما**)= أم، (**أودنا**)= أذن، (**عينا**)= عين، (**أيدا، يود**)= يد، (**ريشا، ريش**)= رأس، (**بعلا**)= بعل، (**جملا، جميل**)= جمل، (**ترين**)= إثنان، إثنين، (**تلات**)= ثلاث، (**أربع**)= أربع، (**برقا**)= برق..

علاوة على أسماء حروف الأبجدية الفينيقية، مثل: (**داليت**)= حرف الدال، ويعني -عند البعض- الدلو، وفيه تغيير حرف العلّة وإضافة تاء التأنيث. و(**حيط**)= حرف الحاء، ويعني حائط أو جدار، وفيه تسهيل الهمزة بياء. و(**نون**)= حرف النون، ويعني سمك، ونون في العربية يعني الحوت أيضا. و(**ميم**)= حرف الميم، ويعني الماء، وفيه أثر التمييم القديم.. وغير ذلك من الحروف التي لا زلنا نسميها بأسمائها الفينيقية الأولى دون تحريف.

2- اللهجة العبرية:

لم يكن لليهود تواجدٌ حضاريٌ في المنطقة، باستثناء السبعين سنة التي حكم فيها داوود وابنه سليمان (عليهما السلام)، فكانوا ينهلون من مقومات جيرانهم الحضارية، وعلى كافة المستويات، حتى الجوانب الدينية التي اشتهروا بها تأثرت بالمعتقدات الكنعانية والمصرية القديمة، الشيء الذي انعكس على لهجاتهم وكتاباتهم. ورغم محاولة اليهود المعاصرين في اختراع لغة حديثة تتماشى مع ما جلبوه معهم من آثار الأمم التي عاشوا ظهرانيها في العالم، إلاّ أن اللهجة العبرية القديمة تصلح للباحث اللغوي أن يجعل بعض مفرداتها وقواعدها أداة للمقارنة، بحكم بقاء بعضها أو معظمها إلى الآن. وهذه بعض العينات منها:

(**آب**)= أب، (**إم**)= أم، (**آح**)= أخ، (**بعل**)= بعل، (**أذِن**)= أذن، (**روش**)= رأس، (**عاين**) عين، (**يد**)= يد، (**شتايم**)= إثنان، (**شلوش**)= ثلاث، (**أربع**)= أربع، (**كميل**)= جمل، (**براق**)= برق.

3- اللهجة السريانية:

ولقرب عهد العبرية والسريانية بعهد تشكل اللغة النبطية -أي كانتا متزامنتين مع اللهجات الكنعانية- فإن بعض الخصائص اللغوية في اللهجتين تشترك مع جاراتهما. فإذا كانت أداة التعريف في اللهجتين الصفوية والثمودية هي (**أن** = **هن**)، مثل: (**هجّمل**)= الجمل، و(**هبّيت**)= البيت.. مع ملاحظة إخفاء النون (في: أن وهن) تحت تأثير الشدّة في أول اللفظ، فإن أداة التعريف في العبرية أيضا (**هن**)= (هـ). وقد أتينا على ذكر مسألة تعاقب الألف والهاء في الفقرات السابقة.

كذلك أسلوب التثنية بالياء والنون في اللهجة السريانية، مثل: (**ترين**)= إثنان للمذكر، و(**ترتين**)= إثنتان للمؤنث. و(**ماتين**)= مائتان، و(**مصرين**)= مِصران. أما في اللهجة العبرية فهي بالياء والميم، مثل: (**ياديم**)= يدان، و(**رياهيم**)= رحى، لأنها من فكين، و(**ميوزائيم**)= ميزان، لأنه بكفتين[70].

<u>خامساً= اللغة المصرية القديمة:</u>

1- هل للثقافة المصرية خصوصية؟:

يقال أن للحضارة المصرية عموماً خصوصيةً لم تتكرّر عند جيرانهم. وهذا يعود إلى حبّهم لواديهم واستقرارهم الدائم فيه نظراً لمحدودية المنطقة الجغرافية التي صنعوا فيه تلك الحضارة الفريدة والرائدة. رغم ذلك فقد اتصلوا بالعالم الخارجي بواسطة التجارة أولاً، ثم بالفتوحات العسكرية ثانياً. فقد وصلت أساطيل المصريين إلى (بنت) الصومال الحالية جنوباً، وإلى بلاد كنعان وسوريا والفرات الأعلى شرقاً، وإلى بلاد الإغريق شمالاً. ولكنهم يعودون -في كل مرة- للاستقرار على ضفتي واديهم بدافع الحنين إليه، إلى جانب الدفاع عنه ودحر كل مغتصب مهما طالت مدة استقراره في مصر. وهذا عكسُ ما فعله الكنعانيون عندما استقروا نهائيا في بلاد ما بين النهرين شرقاً، وعلى سواحل المتوسط غرباً. لهذا السبب اعتبر بعضُ العلماء أن للثقافة المصرية خصوصية انفردوا بها دون سائر الشعوب من حولهم. ولكن لا بد لتلك المبادلات التجارية والاحتكاكات والاحتلالات العسكرية والعلاقات السياسية من تأثير متبادل على كافة الأصعدة الثقافية، تكون اللغة إحداها. ناهيك عن الأصول الأولى التي تكوّنت منها السلالات البشرية في المنطقة قبل مرحلة التكاثر وما حصل فيها من هجرات وتباعد تلك الجماعات عن بعضها البعض. وبالتالي فلا تكون للغة المصرية خصوصيةٌ غريبة عن سواها، فقد وُجدت مراسلاتٌ بالخط المسماري في تل العمارنة تعود إلى عهد أخناتون. كما أن الكتابة الأبجدية الكنعانية كانت متأثرةً بالكتابة السينائية. وهذا يعني أن اللغة كانت

---

[70] أنظر: هلال: <u>**مصدر سابق**</u>، ص141 و142.

مربوطة الصلة بين شعوب المنطقة مهما تعدّدت وسائل الكتابة عندهم، وأن أنماط الثقافة كانت متشابهة مهما اختلفت النظرة للحياة وطرق التفكير، فلكل بصمتُه الخاصةُ به، وذلك بحسب البيئة التي تساهم في تشكل الجماعات البشرية وتؤثر فيها تأثيراً مباشراً وواضحاً، فتظهر عليها علامات التميّز، ترتفع مؤشراتها وتنخفض بقدر قوة ذاك التأثير وضعفه، من ناحية، وقدرة تلك الجماعة البشرية على الأخذ بأسباب التطور الفكري والرقي الحضاري، من ناحية ثانية.

2- عروبة اللغة المصرية القديمة:

اعتقد قدماء المصريين أن لغتهم من مصدر إلهي، وتصوّروا أنه من المحال أن يكون هذا الاختراع البديع من عمل البشر. وكانوا يحترمون المعبود (تحوت) لأنه اخترع لهم الحساب والطب والحكمة، ووضع لهم الكلمات الهيروغليفية. كما كانوا يحترمون وظيفة الكاتب ويعفونه من الضرائب، باعتباره يتعامل مع اللغة. وعن أصل هذه اللغة يقول **"(إرمن) العالم الأثري الألماني أن اللغة المصرية القديمة قريبة من اللغات (السامية) كالعبرية والعربية، ومن لغات سكان أفريقيا الشرقية كالصومال وجالا، ومن لغات البربر الواقعة بشمال أفريقيا، ولا بد أن يكون منشؤها في بلاد العرب.."**[71]. وبما أن اللغة المصرية القديمة لغةٌ عروبيةٌ، لا بد أن تكون لغةٌ ساكنةٌ كبقية اللغات (السامية)، بدليل أنها تحتوي على الحروف الحلقية عسيرة النطق كالعين والحاء، فقالوا (توت عنخ آمون) و(فتاح حتب). وهذا عكسُ ما يذهب إليه الباحثون الفرنسيون والإنكليز من فصل الحضارة المصرية عن بقية الوطن العربي، ربما كان ذلك بدافع سياسي على اعتبار أن لفرنسا وبريطانيا مطامعَ في الشرق العربي، أما العلماءُ الألمان فكانوا على العكس من ذلك، بحيث التزموا جانب الحياد الذي قادهم إلى اتخاذ جانب الصواب والتحليل المنطقي للأشياء[72]. وفي هذه الحالة يجب أن تُدرس اللغةُ المصريةُ القديمةُ من قبل باحثين عرب لهم القدرة على فهم أصول اللغات المحلية التي كانت سائدة في المنطقة. ومن ثم سيكتشفون العلاقات والقواسمَ المشتركة وأوجه الشبه، بل المصدر الواحد لكل تلك اللغات بما فيها المصرية القديمة. وقد أدّى الدكتور خشيم هذا الدور حيث قارن اللغة المصرية القديمة بأخواتها الأكّدية والكنعانية، ثم باللغة العربية والليبية القديمة، لربط الصلة بين الجميع، وهذه نماذج من ذلك:

---

[71] زكري، أنطوان: **مفتاح اللغة المصرية القديمة**، ط1، 2003، دار الأفاق العربية، القاهرة/ مصر، ص ص12-13.
[72] للمزيد أنظر: خشيم، د. علي فهمي: **آلهة مصر العربية**، ج1، ط1، 1990، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة/ ليبيا، المقدمة ص ص7-15.

أ= نماذج من الأفعال[73]:

المصري: المعنى: الليبي: العربي:

جمي وجد **إجمي** جميٌ: جمٌّ= كثير، جمأ، جمر، جمل، جمم، جمهرة، وكلها عني الكثرة والوفرة. [*الجمّة= الشعر الكثير*][74].

نجي انشق وانفتح **إنجي** نجا= قطع. [*في السومرية: نج=شرب الدواء=نجنج*].

وبي شق **إبي** أبب: أبّ= شق.

مت مات **إمت** موت، مات، يموت، [*مِيِتة*].

سو شرب **إسّو** سأسأ: (مضاعف سأ)، [*فعل أمر: سأ*].

نو رأى **إنّي** عين: عاين= شاهد، رأى، [*رنا، يرنو، رنواً*].

ندي طرح أرضا **إندي** ندأ: ندأ اللحم= ألقاه في النار، [*في السومرية: نندا= الطعام*].

إري عمل **أرو** أري: الأري= العمل.

ودف تباطأ **إتّف** دفف: الدفيف= الدبيب، وهو السير اللين.

سرق تنفس **إسرج** شرق: الشرق= دخول الماء ونحوه الحلق، [*لاحظ الجيم القاهرية التي تنتهي في العامية الليبية إلى قاف*].

فدق شق **إفتك** فتق= شق، [*فتك به= قتله، شقه بالسيف*].

تكا أشعل النار **توكو** طقق: طق. في العامية الليبية: طقاش= شرر النار.

سبدد ب=ف أصلح **سدبد** سفد. سفود/سفاد= حديد حاد بسن.

ب= نماذج من الأسماء والصفات[75]:

---

[73] خشيم: **نفس المصدر السابق**، ص147.

[74] الزيادة التي بين [ ] من عندنا.

المصري:	المعنى:	الليبي:	العربي:
ونش	ذئب	**وشّن، شنّ**	أوس: أوس وأويس= الذئب، ولا يُعرّف.
تامرت	ذقن	**تامرت**	ملاط: الرجل الأمرط= من خفّ عارضاه من الشعر. [*أمرد*].
باد	ركبة	**أقاد ف= ب**	بدد= تباعد بين الفخذين.
سمي	دسم	**إسّم**	سمن: ثلاثي (سم).
فقا ق=ك	هدية	**إفك**	كفأ: جازى بعطية. الأصل: كف مقلوبة= فك.
شونته ش=س	قاعدة	**إسنتي**	سنن، سنّة.
حررت	زهرة	**إريرت، إريوي**	حرر: في مادة (حرر) معاني الرقة والحسن والنقاء، شأن الزهر. [*إريوي= الزهور تروى بالماء*].
نيني	صغير	**نونو**	وني، أني، ونن: تعني الضعف، حال الطفل الصغير.
بوت	فاسد	**بويت**	بوط: باط الرجل، يبوط= إذ ذُلّ بعد عز. [*الإبط بالعامية= باط، مصدر الرائحة الفاسدة*].

هذا التقاربُ بين اللغة المصرية وغيرها من اللغات (السامية) الأخرى، لاسيما العربية، كثيراً ما لفت أنظارَ علماء المصريات. فلا يجدون مفراً من مقارنة الألفاظ المصرية بالألفاظ السومرية والأكّدية والكنعانية، وحتى العربية، وهي كلها لهجاتٌ تخاطب بها عربُ شمال الجزيرة وجنوبها. وهذا لا يقلل من شأن اللغة المصرية، ولا ينفي عن أصحابها قدرتهم على الخلق والابتكار والاستنباط وتسخير تجارب جيرانهم وأبناء عمومتهم في هذا الجانب الحضاري الهام. وبالتالي فقد يؤكد هذا التقارب اللغوي ثبوت انتماء قدماء المصريين لهذه الأمة التي كان لها قصب السبق في بناء الحضارات وصناعة التاريخ قديمه وحديثه.

ولكن أشهر اندماج شهدته اللغة المصرية مع اللغات (العروبية= السامية) هو الذي حصل أثناء الغزو الهكسوسي لوادي النيل. والهكسوس هم قوم من الأجلاف العرب، دخلوا إلى مصر قادمين إليها من الجزيرة العربية عن طريق سوريا، ومكثوا فيها حوالي خمسة قرون. فكان لهم أثر كبير على الحضارة المصرية. حيث جلبوا إليها الحصان العربي لأول مرة في تاريخ مصر. ويقال

---

[75] خشيم: **نفس المصدر السابق**، ص149.

أنهم "**نشروا لغتهم (السامية) بين المصريين، كما تأثروا هم أيضا بلغة المصريين وتقرّبوا إلى معبوداتهم**"[76]. والشيءُ الذي لا مجال فيه للشك هو أن اللغتين لم تكونا غريبتين عن بعضهما البعض، باستثناء طبيعة اللغتين المنفصلة مكانياً وبيئياً، وربما زمنياً أيضاً.

3- اللهجة القِبطية:

اللهجة القِبطية هي طور من الأطوار الأخيرة للغة المصرية القديمة. وقد اعتُرف بها كلغة في أوائل القرن الثالث الميلادي، وبدأت في الاندثار منذ القرن السابع عشر الميلادي بسبب غلبة اللغة العربية التي جاءت مع الفاتحين، وصارت قاصرة على الطقوس الدينية في الكنائس[77]. ولعل سبب بقاء اللغة المصرية القديمة إلى زمن اللهجة القِبطية، يعود إلى تمسّك المصريين القدامى بتراثهم القديم، فبقيت لغتهم وكتابتهم أربعة آلاف سنة بدون تغيير يُذكر، حتى أن المصري في عصر البطالمة كان يقرأ ويفهم نصوص الأسر الأولى بدون عناء[78]. لذلك اعتبرت اللهجة القِبطية بنت اللغة المصرية القديمة، إلاّ أنها تأثرت باللغة اليونانية في العصر البطلمي، حيث كُتبت بالحروف اليونانية بدل الهيروغليفية، ومن ثم سُمّيت باللغة القِبطية[79]. ولعلّ هذه التسمية مأخوذ أصلاً من اسم مصر (Egypt) مع تحريف بسيط.

وفي المعجم العربي/ القِبطي نجد العديد من المفردات التي تتفق في اللغتين باستثناء ما يلحق بها من متغيرات كالإبدال والقلب والتطور الدلالي وغيرها. وقد أفرد الدكتور خشيم كتاباً لذلك بعنوان: (القِبطية العربية، دراسة مقارنة بين لغتين قريبتين شقيقتين)، نقتطف منه بعض المفردات في باب الـ(واو):

-(**و ن**) بمعنى (**فتح**): ربما من الثلاثي (وني) وثنائيه (ون) ويفيد (الفتح)[80].

-(**و هـ م**) بمعنى (**كرّر وأعاد**): الوهم (في اللسان) من خطرات القلب، وتوهّم الشيء وتخيّله، فكأنما يستعيد الشيء المتوهّم, أي يكرّر ويعيد.

-(**و س خ**) بمعنى (**واسع وعريض**): الخاء في المصرية تقابل العين العربية (وسع).

-(**و ش ب**) بمعنى (**أجاب**): وفيها تعاقب الشين مع الجيم، وهي مقلوب (جوب).

-(**و د ب و**) بمعنى (**دارَ، تنقّل**): الدأب (العادة والتكرار) وفيهما معنى الدوران[81].

---

[76] هلال: **مصدر سابق**، ص31.
[77] خشيم، د. علي فهمي: **القبطية العربية**، ط1، 2003، مركز الحضارة العربية، القاهرة/ مصر، ص14.
[78] أنطوان: **مصدر سابق**، ص14.
[79] أنطوان: **نفس المصدر السابق**، ص15.
[80] يخرج البدوي عندنا، أثناء هطول المطر، لـ(يونّي) سيل الماء ويبعد مجراه عن بيت الشعر، أي يفتح له مجالا بعيدا عن مقر السكن.
[81] للمزيد أنظر: خشيم: **مصدر سابق**، صفحات متفرقة.

4- اللغة اليمنية في مصر:

منذ دخول مصر في صميم العصر الهلّيني، اتخذت حضارة الواحد وثلاثين أسرة فرعونية منعرجاً معاكساً بزاوية حادة تدريجياً نحو الأسفل، خصوصاً في العصر البطلمي. فبحفنة من السنين قوّض الإغريق حضارة دامت أربعة آلاف من السنين، وغيّروا ملامحها، وحوّلوها إلى تركة يتوارثها أبناؤهم جيلاً بعد جيل، إلى أن سلّموها -أخيراً- لقمةً سائغةً في أفواه الرومان!

هذه الفترة تقابل سقوط الحضارات العربية في أيدي أصحاب النفوذ في المنطقة، وقيام الدويلات العربية القزمية الرازحة تحت سيطرة أولائك المحتلين الأجانب. في تلك الأثناء نشطت حركة القبائل البدوية العربية في شبه الجزيرة العربية، وبدأت تنتقل بين الأمصار رغبة في التحضر والاستقرار. فدخلت أفواجٌ كثيرةٌ منهم إلى مصر. إذ يأتون بداية كتجار، ثم يستهويهم المكان، فيقيمون فيه. وكانت مصر آنذاك تحت السيطرة الإغريقية كما ذُكر. واللغة المصرية تقهقرت وانحصرت في مجموعة الأقباط، وهم المصريون المتنصرون. لذا كانت اللغة اليونانية هي صاحبة النفوذ. فكان العرب "**يكوّنون جزيرة لغوية في مصر، وأن هذه الجالية ظلت مخلصة لقوميتها محتفظة بأبجديتها تكتب بها وتعتز بتراثها**"[82]. ومع مرور الزمن تضاعف عدد العرب، وزاد حجم جزرهم اللغوية في مصر. وقد أشار إلى ذلك مؤرخو اليونان بما فيهم (استرابو) الذي أكد أن عدد العرب في عهدهم "**قد تضاعف على الضفة الغربية من البحر الأحمر حتى شغلوا كل المنطقة بينه وبين نهر النيل في أعلى الصعيد**"[83]. فقد عُثر في مصر على وثيقة كُتبت باللغة العربية تعود إلى سنة 264 ق.م.[84]، وردت فيها العبارات التالية[85]:

أ- دَيْن: وردت بمعناها العربي.

ب- نفقتس: أصلها العربي: نفقته، استبدلت الهاء سيناً، وتنطق الهاء (الضمير) في البابلية سينا، مثل: بيتس= بيته. كما أن التاء تُبدل سينا في اليمنية تبعاً لظاهرة الوتم، مثل: النات: الناس[86]، والتاءُ في آخر الكلمة العربية تُعامَل كالهاء عند الوقف.

ج- محرمهي: أصلها العربي: الحرم، إذ تظهر عليها ظاهرة الطمطمانية[87] التي في لغة حمير، فيجعلون لام التعريف ميما، مثل: طاب أمهواء= طاب الهواء. الهمزة هنا لتسهيل نطق الميم الساكنة

---

[82] مختار، د. أحمد عمر: **تاريخ اللغة العربية في مصر والمغرب الأدنى**، ط؟، 1992، عالم الكتب، القاهرة/ مصر، ص22.
[83] مختار: **نفس المصدر السابق**، ص20.
[84] مختار: **نفس المصدر السابق**، ص19.
[85] قام الباحث بشرحها.
[86] السيوطي: **المُزهر**، ص222.

المبدوء بها اللفظ. أما الهاء والياء الأخيرتين، فلا نستبعد أثرهما الهندي، لأن التعريف في الإردية= (هي)، تُلحق بالاسم المعرَّف، وتُنطق بصوت ممدود بين ألف وياء، أي بياء ممالة، مثل: (دِلْ)= قلب، (دل هي)= القلب. ربما حصل ذلك نتيجة الاختلاط التجاري الذي كان بين اليمن والهند. ويقول ابن جنّي أن اللغة لا تُؤخذ من "**أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة**"[88].

د- رثد: أصلها العربي: رصد، أي خصّص قيمة مالية، أو رصيد، أي القيمة المالية نفسها. الثاء مبدل بسين (إلى الآن البعض يقول: سَمرة= ثَمرة)، والسين مخففة من الصاد، والصاد عند الأكاديين: ضاد، مثل: أرصتو= أرض. وفي الإنكليزية عادت الضاد إلى ثاء، فنطقوها: (إرث earth = أرض)، والإرث في العربية غالباً ما يكون من أصول ثابتة على الأرض.

هـ- زيدايل: وهو اسم صاحب الدّين الوارد في الوثيقة. مكوّن من مقطعين: (زيد + إيل)، فأما (زيد) فهو اسم عربي لا غبار عليه (لا زال يستعمله النحويون في أمثلتهم: (فعل زيد، ترك عمرو). وأما (إيل) فهو اسم الجلالة عند كل الساميين القدامى، مثل إسماعيل: إسمع + إيل= سميع الله). والاسم مجتمع (زيدايل) ربما يكون هكذا: (زيد الله) أو (زاد الله)، لأن حرف العلّة فيه متغير.

في هذه الوثيقة يطالب (زاد الله) بالديْن الذي يستحقه مقابل "**توريد وتزويد بيوت آلهة مصر بالمر وقصب الطيب**"[89]. وهي بضاعة كان يجلبها اليمنيون من الهند، وهذا سبب اعتقادنا في الأثر الهندي على كلمة (محرمهي).

سادساً= أهم فروع اللغة العروبية (اللهجات الشمالية والجنوبية):

1- اللهجتان النبطية والتدمرية:

وتشكّل اللهجة النبطية مع التدمرية حلقة وصل بين اللهجات الكنعانية سالفة الذكر واللهجات العربيات اللاحقة بها. والأنباط قوم من العرب استخدموا الآرامية في الكتابة والتفاهم مع الغير شأنهم شأن عرب تدمر، بينما استخدموا العربية فيما بينهم[90]. كما أن أسماء ملوكهم عربية خالصة، مثل (**الحارثة، عبادة، مالك، قُصيّ، عليّ، عُديّ**..)[91]. اشتهروا بمدينتهم الـ(بترا) جنوبي بادية الشام بشمال شبه الجزيرة العربية (جنوبي الأردن حاليا). وقد اعتمد الأنباط على اتصال حروف الكتابة،

---

[87] السيوطي: **نفس المصدر السابق**، ص223.
[88] السيوطي: **نفس المصدر السابق**، ص212.
[89] مختار: **مصدر سابق**، ص22.
[2] أنظر: سليمان: **مصدر سابق**، ص78.
[3] التونجي: **مصدر سابق**، ص33.

ربما أخذوا ذلك من آخر صورة من صور الكتابة الآرامية. وقد اشتق الخط العربي الشمالي من الخط النبطي. ويعتبر نقش (النمارة) المعثور عليه جنوب شرقي دمشق، ويعود إلى سنة 328 للميلاد من أهم الآثار الكتابية واللغوية النبطية المنتشرة بين دمشق وشمالي الجزيرة العربية وسيناء. ونقرأ (أو نتهجأ) على النقوش النبطية الألفاظ العربية ذات الأثر الآرامي التالية:

- (**نفشو**)= نفس، أي قبر، ويلاحظ عليه إبدال السين الجنوبية بالشين الشمالية، وإشباع حركة الرفع بالواو.

- (**يلد**)= وَلَدَ (فعل ماض)، أُبدل فيه حرف العلّة الـ(واو) بالـ(ياء).

- (**كتب**)= كتاب، بدون مد التاء، كما لو كان ساكن الحروف.

- (**يوجر**)= يؤجّر، بدون همزة تسهيلا.

- (**علوهي**)= عليه، وفيه إبدال حرف العلّة، وإشباع الهاء لإثبات حركة الجر.

- (**كل**)= كل، و(**أو**)= أو، و(**ملك**)= ملك، و(**لمن**)= لمن، جارّ ومجرور، و(**له**)= له، و(**به**)= به.. وكلها عربية واضحة.

لهذا السبب اعتبرنا أن اللهجتين النبطية والتدمرية بداية مرحلة اللغة العربية الوسيطة، لأنهما تتوسطان المرحلة الزمنية الواقعة بين فترة الحضارات العروبية الأولى والتي أسموها تاريخياً بالحضارات الشرقية (السامية)، وفترة تثبيت اسم (عرب) على سكان شبه الجزيرة العربية. لذا اصطلح على تسمية اللهجة النبطية بالعربية الشمالية. وكان لهذه اللهجة قسمان: قسم شرقي، ومتمثل في اللهجة المتداولة عند سكان ما بين النهرين، وقسم غربي، ومتمثل في اللهجة المتداولة عند سكان سوريا. وبين هذين الاتجاهين تذبذبت اللهجة التدمرية، التي كانت أولا **"لغة آرامية غربية، إنما تحتوي على التغيرات التحديثية على صعيد الإملاء أو الصرف، يمكن تبريرها باستقلالية هذه اللغة، وكذلك بالعلاقات التجارية بين تدمر وبلاد ما بين النهرين التي أكسبتها بعض الصفات السامية الشرقية"**[92]. وفي عهد الرومان بدأت اللهجة التدمرية تميل بشدة إلى اللهجة العربية/ النبطية.

ويجدر الذكرُ أن هذه الحركة اللغوية المتحدث عنها كانت واقعة في وسط المرحلة الزمنية التي بدأت فيها الدول العروبية الكبرى تتقهقر وتضمحل تدريجياً بفعل تكالب القوى الأجنبية عليها. وعندما ظهرت الدويلات الصغيرة الرازحة تحت هيمنة تلك القوى، بدأت تختلط اللغة بين سكانها،

---

[92] عبودي: **مصدر سابق**، ص271.

تقترب من بعضها تارة وتبتعد تارة أخرى، ثم تنحصر منغلقة على نفسها داخل أسوار مدن أصحابها الصغيرة. ولكنها لا تزال تشكل الرابط القوي بين كل الممالك العربية. فكل تلك الشعوب كانت تنتمي إلى أصل عرقي واحد، وجميعهم يشكل أمة العرب المرتحل أبناؤها بين أصقاع شبه الجزيرة العربية، فالجبال جبالهم، والصحاري صحاريهم، والأودية أوديتهم، والمدن مدنهم، وشبه الجزيرة موطنهم، واللغة العربية لغتهم جميعاً، مهما اختلفت ألسنتهم وتباينت لهجاتهم، فهي كلها منبثقة من نبع واحد وتصب في بحر واحد.

2- اللهجات العربيات في اليمن السعيد:

وفي صميم هذه المرحلة -مرحلة تكوين الدويلات العربية الصغيرة- نشطت اللغة الجنوبية في اليمن، حيث بُدئ في تدوينها، وذلك بعد أن اخترع السبئيون حرف المسند الشهير. وبكل تأكيد أن اللغة الجنوبية لم تكن مستقلة عن اللغات المتحدث عنها سابقاً. فقد أثبت المؤرخون وعلماء السلالات أن سكان شمال الجزيرة العربية -ابتداءً بالأكّديين وانتهاءً بالأنباط- هم من أصل جنوبي. ولا بد لهذا الأصل العرقي أن يكون مصحوباً بمؤثرات ثقافية تكون اللغة من أهمها. وهذا يفنّد بعض الآراء القائلة بأن لليمنيين لغة خاصة. ولا ندري من أين استقى اليمنيون تلك الخصوصية. فإننا نرى الصلة بين اليمنية والآرامية -مثلاً- هي أوثق من الصلة بين الفينيقية والأكّدية.

لنرى هذه العبارات اليمنية[93] التي تعود إلى 800 سنة قبل الميلاد[94]، أي زمن الآراميين. لذا حرصنا على ترجمتها بالعربية أولا، ثم مطابقتها بالآرامية/ الفينيقية:

يمني		عربي		آرامي/فينيقي
- (**أب**)	=	أب	=	أبا
- (**بن**)	=	إبن	=	بْرا
- (**أخو**)	=	أخ	=	إحا
- (**أذن**)	=	أذن	=	أدنا
- (**سفيت**)	=	إثنان	=	ترين
- (**أربع**)	=	أربع	=	أربع
- (**أم**)	=	أم	=	إما

[93] أنظر: التونجي: **مصدر سابق**، ص136.
[94] أنظر: الفاخوري، حنّا: **تاريخ الأدب العربي**، ط6، ؟، المكتبة البوليسية، بيروت/ لبنان، ص23.

- (**حبرق**)= برق = برقا
- (**بعل**) = بعل = بعلا
- (**شلاش**)= ثلاث = تلات
- (**جمل**) = جمل = جملا
- (**رأس**) = رأس = ريش
- (**عين**) = عين = عينا
- (**يد**) = يد = أيدا

كذلك العبارات: (**أخت، ثن، شبل، أسد، شهر..**)، وغيرها مما لا يختلف عن اللغة الشمالية.

والمعروف عن اليمنيين أنهم أضافوا إلى الحروف الاثنين والعشرين التي نطق بها الشماليون لغتهم ستة حروف مُعجمة أسموها (الروادف)، وهي (ث، خ، ذ، ض، ظ، غ). ولا بد لهذه الزيادة من توسعة في اللغة، حيث تدخل مفردات جديدة تتضمن -في تركيبها- تلك الحروف المزيدة. وربما يكون ذلك سبباً في جعل البعض يقول بخصوصية اللغة اليمنية.

وحري بنا -هنا- أن ننوه إلى تلك الخصوصية التي لم تكن في اليمنية فقط، بل اللهجات الأخرى لها أيضاً خصوصياتها المطبوعة بالطابع المحلي المحدود جداً. حيث تكمن تلك الخصوصية في عدة مسائل لغوية مثل استبدال الحروف ونطقها بالمخالفة كالقلب والإبدال وبعض الصيغ الكلامية والأحرف المكملة للمعاني، وغيرها من الظواهر التي يسميها الأولون: (لغة في)، مثل: (الرُّنزُ: لغة في: الأرز، وأفلطني: لغة في: أفلتني، وتطاللتُ: لغة في: تطاولتُ..). ونحن نقول أنها ليست (لغة) وإنما هي (لهجة)، لاعتقادنا أن الغلط قد يحصل في اللهجة ولا يحصل في اللغة المقيدة والمحصنة. وقد خصّص (ابن قتيبة) كتاباً كاملاً في ذلك وهو (أدب الكاتب). ولا يسمح لنا المجال -هنا- في تتبع الفرق الدلالي بين كلمة (لغة) و(لسان) و(لهجة)، لأننا تعوّدنا استعمال كلمة (لغة) للكلام المقيّد بالقواعد، وكلمة (لهجة) للكلام الذي درج على ألسنة عامّة الناس، أي (العامّية الدارجة). أما كلمة (لسان) فقد تُستعمل -غالباً- في الكتابات الكلاسيكية عند وصف اللغات القديمة.

واللهجة اليمنية -كغيرها من العربيات الأخرى- فيها (لهجٌ) مخالف وخارج عن قيود وحصون اللغة، ربما حصل ذلك بتأثير التقليد الذي لا مفر منه عند التفاعل الحضاري والثقافي، سواء كان ذلك مع الشعوب المتباعدة أو القبائل المتقاربة.

ومن بين تلك الظواهر ما ورد في اللهجات الجنوبية، مثل: (الوتم)، و(الشنشنة) أو (الكشكشة)، و(الفحفحة)، و(الطمطمانية)، وإبدال الياء جيماً[95]، وجعل الجيم كافاً، وغيرها.. وإذا كانت بعض اللهجات العربيات تُعرّف الأسماءَ بالهاء، كما سبق الذكر، فإن اليمنيين يعرّفونها بالميم (الطمطمانية)، مثل: (**طاب أمهواء**)= طاب الهواء.

وقد ظهرت هذه المخالفات ولاحظها العربُ جميعاً عندما صعد اليمنيون إلى أعالي الجزيرة، بعد أن دُمّرت سدودهم، والتقوا بالعدنانيين من أحفاد إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام). وقال العربُ أن إسماعيل هو أول من نطق بالعربية، كما قالوا في موضع آخر أن أول من نطقها هو يعرب بن قحطان. إلاّ أن (أبا الحسن الأخفش) يلتزم الموضوعية في هذه المسألة ويقول: **"سواء قلنا بالتوقيف أم بالإصطلاح، أن اللغة لم توضع كلها في وقت واحد، بل وقعت متلاحقة متتابعة"**[96]. وهذا رأي يؤيده (ابن جنّي)، وهو -في رأينا- مستقيم وحسن، فاللغة لم توضع هكذا دفعة واحدة، وإنما جاءت متواترةً بين الأجيال ومتنقلة بين الأمصار، مرتحلةً عبرها ومتطورةً من خلالها، إلى أن التقت -شماليها وجنوبيها- عند الحجازيين من أبناء عدنان وأحفاد إسماعيل. ومن ثم بدأ العرب يشيرون للغة الإسماعيلية أو العدنانية أو الحجازية، كإشارة لاستحداث بوتقة جديدة بدأت تنصهر فيها لهجات العرب جميعاً.

وكما أشرنا سابقاً أن هذه الفترة كانت في زمن الاحتلال الفارسي والروماني للقلاع الحضارية التي بناها العربُ الأوائل في كل من العراق وسوريا واليمن، وانحدر -على اثر ذلك- المستوى الحضاري وتقلّص في دويلات قزمية تابعة للدول الكبرى. ومن بين تلك الدويلات كانت دولة الغساسنة ودولة المناذرة، وهما قبيلتان يمنيتان صعدتا إلى هناك بعد أن تفرقت أيديهم. وهذا التفرق والتشرذم أعطى للقبيلة العربية الواحدة قوةً محدودةً، يحدّدها عددُ أفرادها وقدرتها على التحالف مع القبائل الأخرى، وأحياناً يصل التحالف مع العدو المحتل هو الأغلب، مثلما حصل في الحيرة وبصرى وتدمر. وبدأت العصبية القبلية تستفحل وتشتد، وبدأت معها الجاهلية تسود وتعم شبه الجزيرة دون استثناء، وطفقت القبائل تلهج اللغة العربية كما تشتهي، فبرزت المخالفات.

3- اللهجة الأمهرية:

وهي لغة الحبشة. والحبشة تسمية أطلقها الجغرافيون القدامى على المنطقة في أفريقيا الشرقية الواقعة بين البحر الأحمر ووادي النيل، وذلك على اسم إحدى القبائل اليمنية التي استوطنت

---

[95] أنظر السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين: **المزهر**، ط؟، 1987، المكتبة العصرية، صيدا/ لبنان، ص222-223.
[96] السيوطي: **نفس المصدر السابق**، ص55.

المنطقة وحكمتها[97]. أو ربما تكون الحبشة هي نفسها الآلهة (حبشت) التي عبدها اليمنيون القدامى. واللغة الأمهرية تطورت انطلاقاً من لهجة قريبة من لهجة (الجيز)، وهي مملكة أكسوم الحبشية القديمة، ولا يُستبعد أن اسم اللغة الأمهرية إنما هو تحريف لكلمة (حمرية)، أو هو قريب من اسم إحدى لهجات ظفار المسماة (المُهرية). واستخدمت هذه اللغة حروف (المُسند) اليمنية. والأحباش ينطقون الضمائر هكذا: (**أنا**)= أنا، و(**نحنا**)= نحن، و(**أنتَ**)= أنتَ، و(**أنتِ**)= أنتِ[98]. أي عربية خالصة.

سابعاً= اللغة العربية في صدر الإسلام:

نزل القرآن الكريم بلهجة قريش، حتى يفهمه عربُ الجزيرة كلهم دون استثناء. وقد تعلّم الرسول (عليه السلام) من ربّه -بواسطة الروح- لغةً تنزّهت بفصاحتها ليس على لهجات العرب فحسب، وإنما على اللهجة القريشية نفسها، بل وعلى لغة الشعراء الفصحاء والخطباء البلغاء المشار إليهم بالبنان آنذاك.

ومع دخول الإسلام إلى الأصقاع، دخلت إليها لغة القرآن الكريم. وبات تعلّمها من قبل معتنقي دين الحق -عرباً كانوا أو عجماً- أمراً تقتضيه ضرورةُ فهم كتاب الله وتدبّر آياته الكريمة. وكان قادة المسلمين يحرصون على ذلك كل الحرص، فزاد الاهتمام بهذه اللغة، وصار التحدث بها لا يخرج عن فصاحة لغة الخطاب التي خاطب بها الله عز وجل كافة البشرية. حيث بدأ العرب يتخلصون -شيئاً فشيئاً- من ألفاظ أنكرها القرآن وظواهرَ لغوية لا ترتقي إلى قوة بيانه.

خرج الإسلام من نقطة ارتكازه الأولى -المدينة المنورة- ليشع نورُه على كافة أرض العرب، ابتداء من مكة المكرمة والطائف وما حولهما، إلى أن وصل اليمن وعُمان واليمامة والبحرين، وكانت هذه الأخيرة من "**مملكة فارس**"[99]، وهذا يعني أن أهلها كانوا من العرب والفرس، فأسلم "**جميع العرب هناك وبعض الفرس**"[100].

---

[97] عبّودي: **مصدر سابق**، ص 340.
[98] التونجي: **مصدر سابق**، ص45.
[99] البلاذري: الإمام أبي الحسن: **فتوح البلدان**، ط؟، 1983، دار الكتب للملايين، بيروت/ لبنان، ص89.
[100] البلاذري: **نفس المصدر السابق**، نفس الصفحة.

وبعد حروب الردة فتح أبو بكر الصديق الشام **"سنة ثلاث عشر"**[101]: الأردن ودمشق وفلسطين وكل بلاد شمال الجزيرة العربية، التي دان معظمُها بدين الإسلام وكانوا قبله على النصرانية. وكانت من بينهم قبائل من جنوب الجزيرة كالغساسنة والمناذرة ولخم وتنوخ وأياد وغيرهم. وجميعهم -وإن كان معظمهم من أصل يمني- يلهجون بلهجات اللغات الشمالية التي كانت سائدة وقتذاك كالنبطية والآرامية والسريانية، وذلك بحكم اختلاطهم بتلك الجماعات منذ زمن طويل.

وعندما هلّت عليهم اللغة العربية الحديثة متمثلة في آيات القرآن الكريم وخطابات الفاتحين عانقوها بحرارة المسلم المؤمن بدين الله، وبحماسة العربي المنتمي لهذه الأمة العريقة. أما المسلمون الأعاجم فتعاطوها بشيء من التأثير اللغوي المتأصل فيهم. وهكذا كلما اتسعت رقعة الفتوحات الإسلامية اتسعت معها شقة المخالفة في اللغة خصوصاً على صعيد التعامل اليومي والتخاطب بين المسلمين -عرباً كانوا أم أعاجم-.

من هنا بدأ التفكير في تقييد هذه اللغة ووضع ضوابط لها تضمن القراءة السليمة لكتاب الله العزيز وأحاديث نبيه الكريم. فكان ذلك على مراحل:

1- تقييد الكتابة العربية بعلامات الضبط في عهد الخليفة علي بن أبي طالب، حيث وضع أبو الأسود الدؤلي نقطاً على أواخر الكلمات تمثل حركات الإعراب. فكانت حجر الأساس لعلم النحو. رَسمَ ذلك على المصحف الإمام الذي كُتب في عهد الخليفة عثمان بن عفّان.

2- تقييد متشابهات الحروف بنقط الإعجام في عهد عبد الملك بن مروان.

3- نبذ المخارج الصوتية متقاربة النطق، مثل: (هُمخُع، ضمَعنَج، ضقَعهَج، شعفج..). وتنقيح الخماسيات من مثل هذه الشوائب، مثل: (سفرجل، فرزدق، شمردل..).

4- اعتماد الكلمات الأعجمية التي اعتبرها البعض دخيلة، مثل: (استبره) الفارسية، التي رأى فيها العرب ثقلا في الهاء فاستبدلوها بقاف: (استبرق)، فنزل بها القرآن الكريم.

5- كما اهتموا بالأحكام النحوية التي وضع أسسها الأولى أبو الأسود الدؤلي وطوّرها الخليل بن أحمد الفراهيدي، فصار علم النحو والصرف والبلاغة العربي من العلوم الأساسية المساعدة على تعلّم اللسان العربي.

---

[101] البلاذري: **نفس المصدر السابق**، ص116.

6- اهتم العرب المسلمون بتجويد وتحسين قراءة القرآن الكريم، فقيّدوا مخارجه الصوتية بالقواعد، مثل: (الغنّة، والإخفاء، والإدغام، والتخفيف، والتشديد، والقلقلة..)، فساعد ذلك على علوم الإلقاء وحسن الأداء اللغوي.

7- كما اهتموا بتجويد وتحسين الكتابة العربية، فقيّدوها بالقواعد المانعة للتحريف، واشتقّوا من الخط الكوفي أنواعاً أخرى عديدة. فصارت زخارف الخط العربي قبلة دارسي الفن الإسلامي المعروف عالمياً بالـ(أرابيسك).

وأخيرا نقول: من خلال تتبعنا لهذه الرحلة الطويلة التي قطعتها اللغة العربية، نستخلص أنها لم تبدأ مسيرتها تلك منذ العصر الجاهلي أو مع قبيلة قريش كما يظن البعض. ولكنها -على العكس من ذلك تماماً- انتهت في العصر الجاهلي إلى قبيلة قريش. ومن ثم بدأت تشهد عهدها الجديد الذي ترسّخ مع نزول القرآن الكريم بها.

فبالرغم من أن أحداً لا يستطيع تحديد تاريخ بداية تشكّل اللغة العربية الأولى، هل كانت على لسان آدم أو إدريس أو نوح عليهم السلام، أو سام بن نوح أو إسماعيل بن إبراهيم أو يعرُب بن قحطان، بالرغم من كل ذلك، إلاّ أن الوثائق والنقوش التي تركها السومريون والأكّديون وعموم الكنعانيين تؤكد أن اللغة العربية المدوّنة بدأت تُعرف منذ الألف الرابع قبل الميلاد، وليس منذ القرن الخامس بعد الميلاد كما يقول بعض المتجنّين على التاريخ العربي.

الفصل الثالث:

الكتابة عند الشعوب القديمة

الكتابة العربية من السومريين إلى المسلمين

تمهيد:

نظراً لأهمية الكتابة في تنظيم حياة الشعوب وبناء الحضارات، أحاطها أجداد العرب بعناية شديدة، فاخترعوا لها الوسائل العديدة لتطويرها، كأدوات الكتابة والسطوح الحجرية والطينية وورق البردي ورقاق الحيوانات.. إلى جانب الأفكار الراقية والمتطورة باستمرار في مجال التعبير عن المعاني والدلالات. فظهرت (الحروف المسمارية أو الإسفينية Cuneiform) في بلاد الرافدين، وانتشرت بين شعوب تلك الفترة. وأبدع قدماء المصريين في كتابتهم التي أطلق عليها الإغريق اسم النقوش المقدسة (الهيروغليفية Hieroglyphic) التي تفرعت منها كتابات أخرى أقل تعقيد كالهيرطقية (كتابة الكهنة): Hieratic، والديموطقية (كتابة عامة الشعب): Demotic. وفي جميع الأحوال شهدت الكتابة في الشرق العربي عدة مراحل تطوير وتحسين بهدف تحقيق السهولة التامة في الكتابة والقراءة، عُرفت تلك الأطوار بالكتابة التصويرية، والرمزية، والمقطعية، والصوتية، وأخيراً الكتابة الهجائية، فبات الفرق واضحاً بين الحروف الصائتة والحروف الساكنة، واكتسبت الكتابة قدرة فائقة في تدوين لغات تلكم الشعوب صنّاع الحضارة الشرقية. وقد عُرف العصر التاريخي بعصر الكتابة والتدوين تمييزاً له عن العصور القديمة السابقة. وأبرز حدث شهدته شبه الجزيرة العربية -في هذا الخصوص- ذاك الذي قام به الكنعانيون (الفينيقيون)، حين طوّروا الحروف الأبجدية المسمارية التي اخترعها الأوغاريتيون، فظهرت منها أول أبجدية منفصلة الحروف، ذات الرموز المجرّدة والسهلة في مجالي الكتابة والفهم، استعاض بها الكَتبة عن تلك اللوغوغرامات المسمارية المعقّدة والرموز الهيروغليفية المركّبة. فاستحسنتها معظم شعوب المنطقة أخذاً عن الفينيقيين في الغرب وعن الآراميين في الشرق. فانتشرت الحروف العروبية في جميع أنحاء العالم بواسطة النقل المباشر أو التقليد أو الاشتقاق، خصوصاً عندما أخذها الإغريق ونقلوها إلى الرومان وعمّت كل الشعوب الأوروبية، وكُتبت بها اللغات اللاتينية وغيرها، ولا زالت إلى الآن.

ومع بداية الإسلام اعتنى الرسول الكريم (صلوات الله وسلامه عليه) بالكتابة، وحرّض صحبه على ممارستها وتعليمها للناشئة. وقد قيل أنه كان يُطلق سراح أسرى موقعة بدر من المكّيين الذين يعرفون الكتابة إذا علّمها لعشرة من صبيان المسلمين. فكان ذلك دافعاً قوياً جعل المسلمين

يهتمون بالكتابة ويتفننون في زخرفتها، في وقت كانوا فيه قريبين من الوثنية وما انجرّ عنها من فنون الرسم والنحت، فنبذها المسلمون، منكبّين فقط على تطوير فن الكتابة دون غيره.

أولاً= أطوار الكتابات القديمة:

تمكّن دارسو الكتابات الأولى من وضع تصنيفات ذكية لمراحل تلك الكتابات، محاولةً منهم لتتبع الأطوار التي مرت بها وتطورت من خلالها. وبفضل هذا التصنيف ظهرت قدرة الأولين الفائقة على التطور ومواكبة مراحل الحضارة، وميولهم الشديد للابتكار والتجديد والتخلص من التعقيد والتركيب واللجوء للتبسيط والتفكيك والتسهيل، حسبما تقتضيه الحياة وطرق العيش وتطور اللغات. فمرّت الكتابة عندهم بخمسة أطوار رئيسية. وهذه الأطوار الخمس لا تغدو كونها أنواعاً معيّنة من الكتابات، ولم تكن حكراً على قوم معيّن أو حضارة معيّنة، وإنما وُضعت من قبل الدارسين المعاصرين كتصنيف لطرق الكتابات التي مارستها الشعوب القديمة، وتبيان مراحل تطور الفكر الإنساني، وتأثير ذلك على أساليب الكتابة والتدوين.

وفيما يلي مختصرات عن تلك الأطوار:

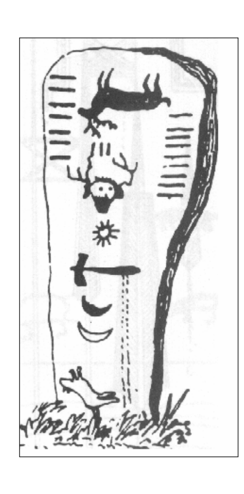
1- الكتابة التصويرية (Pictographic):

وهي كتابة موغلة في البساطة، إذ ارتبطت بوجود المجتمعات القبلية الصغيرة البسيطة ذات المتطلبات غير المعقدة. لذا فهي تتمثل في صور بسيطة تُعبّر عن المعنى المحدد للأشياء المصورة، **"إلاّ أن هذه الكتابة لم تكن ثابتة واضحة القواعد بل كانت تُخترع حسباً للظروف والأحداث، وتخضع للاستعدادات الفنية المختلفة لدى كاتبها"**[102]. فإذا أراد الإنسان أن يُرسل إلى صاحبه رسالة يخبره فيها أنه ذهب لصيد السمك، **"يرسم صورة رجل بيده قصبة في رأسها شص متجهاً نحو بحيرة سمك"**[103]. إذَنْ، فلا حاجة للمرسل إليه أن يكون عارفَ القراءة لفهم تلك الرسالة، بل كثيراً ما كانت مثلُ تلك الرسائل تُفهم بأشكال مختلفة من قبل قراء مختلفين مهما اختلفت لغاتهم. وقد وُجدت هذه الكتابات على جدران كهوف تعود إلى العصور الحجرية القديمة، إذ يبدو أن الإنسان القديم قد تعلّم فن الرسم قبل أن يرتاد مجال الخط، أو أنه اهتدى إلى القراءة قبل أن يتعلّم فن الكتابة. فهو إلى حد الآن لم يتعلّم كيف يعبّر عن مخارج صوته بصورة دقيقة، كما أن نموذج الرسالة السابق ذكرها،

---

[102] حاتم، د. عماد: **في فقه اللغة وتاريخ الكتابة**، ط1، 1982، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس/ ليبيا، ص175.
[103] زين الدين، مهندس ناجي: **مصور الخط العربي**، ط2، 1974، مكتبة النهضة، بغداد/ العراق، ص295.

لا يستطيع القارئ تحديد زمن وقوع فعلها، هل هو في الماضي أو في الحاضر أو في المستقبل، وغير ذلك من النواقص التي رأى الإنسان القديم ضرورة سد فراغاتها بما هو مناسب.



تمثل الصورة مدوّنة بيكتوغرافية، وُضعت كشاهد فوق قبر قائد من الهنود الحمر، تقول: أن القائد واسمه (الوعل)، كان قد خاض سبع حملات وتسع معارك، ولكنه قُتل بضربة فأس في معركتين دامت ليلتين[104].

2- الكتابة الرمزية (Logographic):

فعلاً تطورت المرحلة السابقة، وذلك عندما صارت تلك الرسوم تعني كلاماً، واتخذت صبغة الثبات سواء من ناحية معناها أو من ناحية شكلها التصويري، وصار كل رمز منها يعني كلمة منفصلةً. وهذا يعني أن شكلاً جديداً من أشكال الكتابة قد وُلد، اصطلح على تسميته بالكتابة الرمزية، أو الكتابة (اللوغوغرافية)، من اليونانية logos أي كلمة أو لغة، وgraph أي كَتب[105].

"ويروي بعض المؤرخين أن هناك أصلاً واحداً للكتابة اللوغوغرافية الرمزية، أو أن هذا الأصل هو السومري الذي أخذت عنه كل من مصر والصين كتابتهما القديمة. ويستشهدون على ذلك بأقدمية الكتابة السومرية على سواها وبالتشابه الموجود بين رموز المصرية والصينية"[106]. ولعلّ أفضل نموذج للكتابة الرمزية يكون لوحة (نعرمر) المصرية التي يعود تاريخها إلى الألف الثالث قبل الميلاد، أو نهاية الألف الرابع قبل الميلاد.



تمثل الصورة لوحة أول فرعون مصري، موحّد الدلتا والصعيد، وهو (نعرمر)[107]. وتجسّد اللوحة انتصار هذا الفرعون على إحدى القبائل الليبية القديمة (التحنو).

---

[104] حاتم: **مصدر سابق**، ص166.

[105] حاتم: **نفس المصدر السابق**، ص175.

[106] حاتم: **نفس المصدر السابق**، نفس الصفحة.

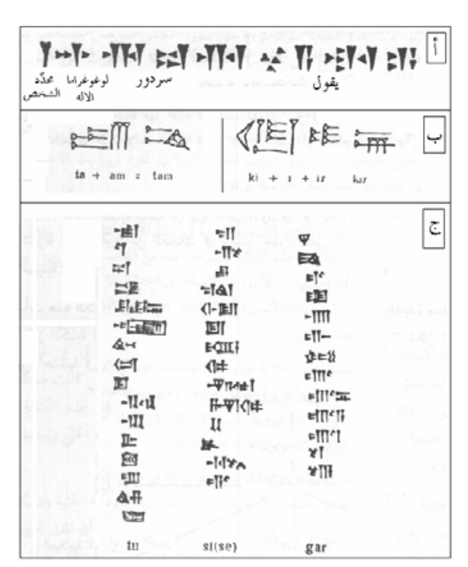
[107] توجد هذه اللوحة في العديد من المصادر، مثل: هورنونج، إريك: **ديانة مصر الفرعونية**، ترجمة: د. محمود ماهر طه ومصطفى أبو الخير، ط؟، 1995، مكتبة مدبولي، القاهرة/ مصر، ص105. كذلك: حاتم: **مصدر سابق**، ص179. وغيرهما.

أما السومريون فاتخذوا رموزاً مجرّدةً خالية من اللمسات الفنية بالمفهوم الفني المعاصر للرسم، فصورة الشمس تُعبّر عن النهار أو الضياء، والمشعل يعني النار، والمثلثات ترمز إلى الجبال، وهكذا.. ولا زال هذا الأسلوب مستعملاً عندنا اليوم، مثل إشارات المرور وما شابهها، فصورة الطفل بيده حقيبة تشير إلى المدرسة، وصورة الجمجمة تنبه للخطر، وصورة الهاتف تدل على مكان مركز بريد، وهكذا..

3- الكتابة المقطعية (Syllabic):

بدأت صنعة الكتابة تتحول من أيدي المتخصصين إلى أيدي الشعب وتنتشر بين أفراده. إلاّ أن طريقة الكتابة الأولى كانت العقبة الرئيسية أمام تحقيق ذلك، فدعت الحاجة إلى دخول مرحلة جديدة في عالم الكتابة، حيث استخدمت طريقة جديدةٌ للتعبير عن معاني الكلمات. فكانت الكتابةُ المقطعية مرحلةً أخرى متطورة عن سابقتها. فبدلاً من الصور والرموز التي تُعطي معنى محدداً لمسميات الأشياء، بدأت تتحلل إلى مقاطع، أي تتجزأ إلى رموز مُقطّعة، أي أن الرمز الواحد يُعبّر عن مقطع من الكلمة لا عن الكلمة كلها. مثلاً: إذا أراد الإنسان كتابة كلمة تبدأ بالمقطع (يد) كما في: يدخل، يدبر، يدحر.. فإنه يبدأ برسم صورة اليد ويعتبرها مقطعاً هجائياً لا يراد به نفس اليد وإنما ليُعبّر عن صوت الياء والدال غير المعروفتين بعد.

"وقد ترسّخت الكتابة اللوغوغرافية المقطعية السومرية في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، ولعل السبب الأساسي في الانتقال إلى هذه الكتابة كان ضرورة تدوين أسماء الأعلام"[108]. ومن هنا بُدئ في تهجئة كلمات لا علاقة لها بالصورة التي تمثلها، حيث تقلص عدد الرموز، وسهُلت الكتابة، فتعلّمها الناس وشاعت بينهم.



تمثل الصورة استخدام الأشكال الرمزية في كتابة أوراتو (أ)، وفي الكتابة الآشورية البابلية المسمارية (ب)، ونموذج عن الجمع بين الرموز المقطعية والمحدّدات اللوغوغرافية (أ)، وطرق التعبير عن المقاطع المعقدة (ساكن + صوتي + ساكن) بمساعدة رمزين مقطعين أو ثلاثة عندما يكون الساكن طويلا (ب). وطرق مختلفة للتعبير عن المقاطع المتشابهة وعن الكلمات وحيدة المقطع والمقابلة لفظياً لتلك المقاطع (ج)[109].

---

[108] حاتم: **نفس المصدر السابق**، ص201.
[109] حاتم: **نفس المصدر السابق**، ص205

4- الكتابة الصوتية (Phonographic):

ظهرت الكتابة الصوتية في مستهلّ الألف الأول قبل الميلاد[110]. وسبب ذلك يعود إلى أن الانتقال إلى الكتابة الحرفية الصوتية يفترض مرحلةً أعلى من تحلل الكلام إلى أصوات، وهي مرحلة متطورة عن سابقتها، حيث بُدئ في الاتجاه نحو تهجئة الحروف وتقليص عدد الرموز.

إن اختراع هذه الطريقة أدّى إلى بعد الشبه بين أشكال الكتابة والأشكال التي تمثلها في الأصول، فآلت إلى علامات. وفيها لجأ الكاتب إلى استخدام صور أشياء يتألف من هجائها الأول لفظ الكلمة المعنية، وهي اتخاذ الصور كرمز للهجاء الأول من اسم ما تمثله الصورة[111]، أي أن صورة الطير ترمز إلى حرف (الطاء) ولا تعني الطير نفسه كما كان في الكتابة التصويرية، وصورة الغزال ترمز إلى حرف (الغين)، وصورة الكلب ترمز إلى حرف (الكاف).. وهكذا، على نحو ما يقرؤه الصغار اليوم عند تلقيهم الدروس الأولى:

أ= أرنب، **ب**= باب، **ت**= تفاحة.. إلخ. وقد اعتبرت هذه الطريقة محاولةً أولى لإرساء قواعد الكتابة الهجائية أو الأبجدية.



تمثل الصورة اسم (كليوباترا) و(بطليموس) بالطريقة اللفظية-الصوتية (تحت تأثير اليونانية)، وهي من المدوّنات المصرية التي فك رموزها شامبليون[112].

5- الكتابة الأبجدية (Alphabetic):

إن الشعوب العروبية (العربية القديمة) التي واكبت مسيرة الكتابة منذ مراحلها المعقدة الأولى وحتى مراحلها الميسّرة الأخيرة، هي التي توصلت إلى اختراع الكتابة الهجائية وحافظت على تثبيتها حتى يومنا هذا. فمنذ أن ابتدع السومريون وقدماء المصريين الكتابة التصويرية الأولى، وذلك في الفترة الواقعة بين الألف الرابع والألف الثالث قبل الميلاد، منذ ذلك الحين والعروبيون (العرب

---

110 حاتم: **نفس المصدر السابق**، ص213.

111 الصويعي، عبد العزيز سعيد: **الحرف العربي، تحفة التاريخ وعقدة التقنية**، ط1، 1989، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس/ ليبيا، ص31.

112 حاتم: **مصدر سابق**، ص216. وغيره كثير.

القدامى) يحاولون تقليص رموزهم الكتابية، لتكون ليس في متناول الكَتبة المتخصصين فحسب، وإنما في متناول كافة أفراد الشعب، حيث بدأ نظام الدولة يتسع ليشمل كافة المجالات بمشاركة جميع فئات الشعب. ومن بين مسماريات بلاد الرافدين وهيروغليفيات وادي النيل، تمكّن الكنعانيون (أوغاريتيون وفينيقيون) من اختراع أول أبجدية في التاريخ منذ خواتم الألف الثانية قبل الميلاد. وتعتمد الكتابة الأبجدية على صور مجرّدة للأشياء، يمثل أول حرف فيها الحرف الأبجدي المعيّن، فاختاروا صورة رأس الثور، واسمه عندهم (ألف) ليعبّر عن حرف (أ)، وصورة البيت، واسمه عندهم (بيتا) ليُعبّر عن حرف (ب).. وهكذا. وهذا يذكّرنا بالكتابة الصوتية سالفة الذكر، إذ يُعتبر هذا النوع من الكتابة مرحلةً متطورةً عنها وقريبةً منها، ولكنها وضعت حدّا لجميع مشاكل الكتابة التي أقلقت شعوب المنطقة على مدى الثلاثة آلاف سنة السابقة لاختراع الكتابة الأبجدية.



اللفظ	معنى الحرف	تسمية الحرف	شكل الحرف	اللفظ	معنى الحرف	تسمية الحرف	شكل الحرف
ل	ابرة النحل	لاميد	𐤋	أ	ثور	الف	𐤀
م	ماء	ميم	𐤌	ب	بيت	بيت	𐤁
ن	سمك	نون	𐤍	ج	جمل	جيميل	𐤂
س	دعامة (ساموك)	سامك	𐤎	د	باب	داليت	𐤃
ع	عين	عين	𐤏	هـ	[المعنى غير واضح]	هي	𐤄
ف	فم	في	𐤐	و	مسمار	واو	𐤅
ص	[المعنى غير واضح]	صادي	𐤑	ز	سلاح	زين	𐤆
ق	قرد	قوف	𐤒	ح	جدار	حيث	𐤇
ر	رأس	ريش	𐤓	ط	عجل	طيث	𐤈
ش	سن	شين	𐤔	ي	يد	يود	𐤉
ت	اشارة	تاو	𐤕	ك	كف	كاف	𐤊

تمثل الصورة الـ22 حرفاً أبجدياً في الكتابة الفينيقية.

ثانياً= كتابة بلاد ما بين النهرين:

1- فك رموز الكتابة المسمارية:

منذ الألف الرابع قبل الميلاد بدأ نوع جديد من الكتابة يتشكل في بلاد ما بين النهرين (Mesopotamia)، عند السومريين الذين انتقلوا من الرموز البيكتوغرافية إلى طريقة ضغط تلك الرموز ذاتها على ألواح الطين الطري ثم الدفع بها إلى النار أو تجفيفها بواسطة تعريضها لأشعة الشمس، فتظهر تلك الرموز على هيئة أوتاد أو مسامير أو أسافين، أطلق عليها العلماء تسمية (الكتابة المسمارية Cuneiform writing). وقد حاول العديد من العلماء الغربيين معرفة أسرار تلك الكتابة، إلاّ أنهم أعلنوا -بعد أن أنفقوا وقتاً طويلاً وجهداً كبيراً في البحث- أنه لن يستطيع أحد الوصول يوماً إلى حل رموز لغة مجهولة دُوّنت بكتابة لا يعرف قواعدها أحد. إلى أن قام شاب ألماني يدعى (جورج غروتفند George Grotfend) سنة 1802، ثم ضابط مستشرق إنكليزي يدعى (هنري رولينسون Henry Rawlinson) سنة 1835 أو سنة 1846 بالتوصل لفك رموز الكتابة المسمارية، فكان ذلك على لوح يعود إلى الملك العيلامي (داريوس) الذي حكم بين سنتي 522

و486 ق.م. ومن ثم توصل الإنكليزي رولينسون إلى قراءة 200 نص بابلي دُوّن بنفس الكتابة[113].
أما الشاب غروتفند -بعد أن توصل إلى كلمة (ملك)- واتته فكرة: "**ففي اللغة الفارسية القديمة كان هجاء اسم (دارا) مختلفا، إذ كانوا ينطقونه (داراهيوس Darhius)، وما لبث أن نسخ العلامات السبع ووضع تحتها حروف الاسم هكذا:**

لقد أصبح يعرف الآن سبعة أحرف يستطيع أن يبدأ بها العمل. ثم لاحظ أن أربعةً من هذه الأحرف وردت في مجموعة أخرى بترتيب آخر، فنسخ الكلمة المسمارية ووضع تحت حروفها ما يقابلها، غير أن الحرف الأول من الكلمة بقي غير معروف:

ولم يعد هناك مجال لأي شك، فلا بد أن ذلك الحرف المجهول هو الكاف (K) أو الخاء (Kh)، لأن الصيغة القديمة لاسم (أخشويرش Xerxes) هو (خشاراسا Khsherse)[114].

2- الكتابة عند السومريين:

إن الكتابة التي فك رموزها الألماني غروتفند والإنكليزي رولينسون هي -في الواقع- كتابة تكاد تميل إلى النوع الأبجدي الذي يمثل فيه الرمزُ الواحدُ حرفاً قائماً بذاته، وهذا ما سهّل على العلماء قراءة تلك النصوص المسمارية. أما في بادئ الأمر، فقد كان الكتبةُ السومريون يستخدمون -في رسم الرموز الكتابية- خطوطاً مقوسّة ومستقيمة يعبّرون بها عن أشياء معيّنة، أي أنها كانت كتابة تصويرية (بيكتوغرافية). ورغم تقلّبها على المراحل والأطوار سالفة الذكر، إلاّ أن هناك شيئاً واحداً

---

[113] أنظر: موقع متحف جامعة بنسلفانيا الأمريكية (www.upenn.edu/nuseum). كذلك موقع موسوعة هوتشينسون حول الحروف المسمارية (http://encyclopedia.farlex.com).
[114] روجرز، فرانسيس: **قصة الكتابة والطباعة**، ترجمة: أحمد حسين الصاوي، ط؟، 1969، مؤسسة فركلين للطباعة والنشر، القاهرة-نيورك، ص38.

في تلك الكتابة لم يتغيّر طوال عدّة قرون، وهو استخدام ألواح الطين دون سواها في عملية التدوين، ويرجع ذلك -ببساطة- إلى وفرة الطين بالذات دون غيره من المواد الأخرى التي كان يمكن استخدامها في الكتابة. فقد حبا الله تلك المنطقة بكميات هائلة من الطين، وهناك بنى الناسُ بيوتهم وأكواخهم ومعابدهم وأسوار مدنهم من الطوب المحروق المصنوع من الطين، ومنه صُنعت ألواحُ ورُقم الكتابة أيضاً.

قبل أن تتخذ الكتابةُ السومريةُ شكلها المسماري الذي اشتهرت به، كان يُخدش لوح الطين الطريّ بأداة حادة وتُرسم عليه علامات ورموز تمثل شكل الكتابة. إلاّ أن السومريين ملّوا تلك الطريقة وحاولوا تبسيطها، فوجدوا أن إحداث نقوش غائرة في ألواح الطين بالضغط على القلم عند الكتابة أيسر من رسم الأشكال والعلامات الكتابية بخدش سطح اللوح. لذا بدأوا يبرون أقلام البوص[115] بطريقة جديدة تحدد للخطوط المحفورة اتجاهات معيّنة، فجعلوا سن القلم مثلث الشكل بحيث يكون أحد طرفي الخط الذي يحفره أعرض من الطرف الآخر. ومن هنا اتخذت أشكال العلامات الكتابية الطابع الذي اصطلح على تسميته بالشكل المسماري، أي على هيئة مسمار مستطيل له ثلاثة أطراف مدببه[116]. **"وكانت الكتابةُ السومريةُ قد بلغت هذه المرحلة بالفعل قبل عام 2500 ق.م. وهو العام الذي نُحت فيه تمثال حجري لكاتب مشهور يُدعى (دودو)، وقد وُجد هذا التمثال حديثاً في أطلال مدينة (لجش) موطن ذاك الكاتب"**[117].

	MEANING	OUTLINE CHARACTER, B. C. 3500	ARCHAIC CUNEIFORM, B. C. 2500	ASSYRIAN, B. C. 700	LATE BABYLONIAN, B. C. 500
1.	The sun				
2.	God, heaven				
3.	Mountain				
4.	Man				
5.	Ox				
6.	Fish				

والواقع الذي لا مفرّ منه، هو أن المؤرّخين لا يستطيعون إرجاع اختراع هذه الكتابة إلى السومريين بالطريقة الدقيقة. على الرغم من ذلك فأقدم كتابات كُشف عنها حتى الآن كانت قد كُتبت في حدود سنة 3000 ق.م. تقريباً، يُرجّح أنها كُتبت باللغة السومرية. وسواء كان السومريون اخترعوا تلك الكتابة أو غيرهم فالمؤكد أنهم جعلوا منها -في ذاك التاريخ المبكّر- طريقة ناجحة في الكتابة والتدوين.

---

[115] قلم البوص (boss) أو الوثار: أداة ناعمة تستخدم للصقل في صناعة الخزف والزجاج. أنظر: البعلبكي، منير: **المورد، إنكليزي/عربي**، طبعة سنة 1985.

[116] سُميت هذه الكتابة المسمارية لاتخاذها شكل المسمار أو الإسفين أو الوتد، وهي ترجمة حرفية لكلمة (Cuneiform) الإنكليزية.

[117] روجرز: **مصدر سابق**، ص27-28.

تتمثل الصورة مراحل انتقال الكتابة عند السومريين من الرمز المرسوم بطريقة الخدش (التصويرية)، إلى طريقة الضغط (المسمارية)، وكيفية استخدامه من قبل الآشوريين والبابليين: 1-صورة الشمس، 2-صورة النجم (الرب، السماء)، 3-صورة الجبل، 4-صورة الإنسان (الجزء العلوي)، 5-صورة رأس الثور، 6-صورة السمكة.

3- استخدام الكتابة المسمارية من قبل شعوب غير السومريين:

بعد أن تخلّصت الكتابة السومرية من طريقة خدش الطين الطريّ، وآلت رموزها إلى أشكال مسمارية مضغوطة، استعارتها الأقوام المجاورة لسومر، بعد أن أدركوا تدريجياً قيمتها وفائدتها العملية، فاقتبسوها وكيّفوها في كتابة لغاتهم، **"وأصبح ذلك الخط في الألف الثاني قبل الميلاد شائع الاستعمال في جميع الشرق الأدنى"**[118]. ربما حصل ذلك منذ أن بنى الأكّديون مدينتهم الجديدة وفرضوا لغتهم العروبية (العربية القديمة) على المنطقة. ثم أصبحت بابل مدينة كبيرة ومزدهرة، وكان كتبتها مثقلين بالعمل، وهم يمثلون الطبقة المتعلّمة، بحيث يلجأ لهم عامة الناس لحل مشاكلهم القانونية، خصوصاً في عهد الملك البابلي (حامورابي) أول مشرّع قانوني. ففي عهده نُقش تشريعه المشهور بالخط المسماري على عمود اسطواني طويل من الديوريت (وهو حجر شديد الصلابة، أي أنه ليس من الطين المشوي)، وكان ذلك في سنة 1792 ق.م. (يوجد هذا الأثر في متحف اللوفر بباريس)[119]. وعندما سقطت بابل في أيدي العيلاميين، نقلوا عمود حامورابي إلى وطنهم عيلام (جنوب غربي إيران)، وكشطوا منه أربعين مادة بالأزميل والمطرقة[120]، ربما رأوها قاسية على ملوكهم. ويبدو أن العيلاميين استعملوا كتابة مرسومة بواسطة خدش ألواح الطين كما فعل السومريون، **"وفي منتصف الألف الثالث ق.م. اتخذت الكتابة العيلامية شكل الكتابة الإسفينية وذلك بتأثير من الأكاديين"**[121]. حتى أن فك الرموز المسمارية لم يكن في بابل ولا في آشور بل كان في عاصمة العيلاميين، كما سبق الذكر. ولم تقتصر الكتابة المسمارية على اللغة الأكّدية والعيلامية فحسب، وإنما تعدّتها إلى لغات شعوب مجاورة أخرى كالحورية واللوفية بالإضافة للحثية نفسها، وذلك في بداية الألف الثاني ق.م.[122].

li -ša-num ak-ka-di-tum
lišānum akkadītum
Akkadian language

---

[118] كريمر، صمويل: **من ألواح سومر**، ترجمة: طه باقر، ط؟،؟، مكتبة المثنى، بغداد/ العراق، ومؤسسة الخانجي، القاهرة/ مصر، ص405.
[119] روجرز: **مصدر سابق**، ص32.
[120] روجرو: **نفس المصدر السابق**، ص35.
[121] حاتم: **مصدر سابق**، ص207.
[122] حاتم: **نفس المصدر السابق**، نفس الصفحة.

تمثل الصورة كلمة (اللغة الأكّدية)= (ليشانُم أكاديئُم)= (اللسان الأكّدي)= (Akkadian Language)، بالخط المسماري.

<u>ثالثاً= كتابات بلاد الشام:</u>

1- الكتابة المسمارية عند الأوغاريتيين:

'a	b	g	ḫ	d	h
w	z	ḥ	ṭ	y	k
š	l	m	ḏ	n	ẓ
s	'	p	ṣ	q	r
ṯ	ġ	t	'i	'u	s₂

أوغاريت مملكة أسسها العموريون (الأموريون) في شمال سوريا حوالي 1900 ق.م.[123]. وقد استخدم الأوغاريتيون كتابة مسمارية في مظهرها، **"وقد تم حل رموز هذه الكتابة عام 1930، وتبين أنها أبجدية أصلية ترتكز على مبدأ الأبجدية الفينيقية عينها، وإنما بصورة أحرف مسمارية"**[124]. حيث كانت تحتوي على 30 رمزاً، **"من بينها 22 حرفا يتطابق كليا مع الأبجدية الفينيقية"**[125]. **"وقد بُدئ بنسيان هذه الكتابة منذ القرن الثاني عشر ق.م. بعد تدمير المدينة من قبل القبائل الإيجية، ولم يلاحظ تأثيرها على غيرها من الكتابات"**[126].

تمثل الصورة الكتابة الأبجدية المسمارية الأوغاريتية ذات الثلاثين رمزاً.

2- الأبجدية الفينيقية تبحر إلى العالم الخارجي:

سئم الكتّاب الأوائل الرموز المسمارية وكثرة تراكيبها، وأتعبتهم طريقة الضغط على ألواح الطين، فابتكر الكنعانيون الفينيقيون طريقة الألواح المغطاة بالشمع، والكتابة عليها، وتصحيح الأخطاء الواردة فيها بأقلام معدنية خاصة، لا تشبه طريقة الألواح الطينية السابقة. مما دعاهم للاستفادة من الشعوب المجاورة لهم كالبابليين والآشوريين في الشرق وقدماء المصريين في الغرب،

---

[123] عبّودي: <u>**مصدر سابق**</u>، ص165.
[124] عبّودي: <u>**نفس المصدر السابق**</u>، ص166.
[125] حاتم: <u>**مصدر سابق**</u>، ص224.
[126] حاتم: <u>**نفس المصدر السابق**</u>، نفس الصفحة.

وابتكروا للغتهم أبجدية خاصة، ربما أخذوها من المسمارية الأوغاريتية، أو اشتقوها من الهيراطقية المصرية، أو أنهم أخذوا من هذه وتلك. فإلى جانب النظرية القائلة بأن الفينيقيين أخذوا أبجديتهم من الأبجدية المسمارية الأوغاريتية، فالبعض يقول -أيضاً- أنهم استفادوا كثيرا من أشكال الأبجدية السينائية، وهي كتابة اختلطت بين ما كان الكنعانيون يستخدمونه في سيناء عندما كانوا يشتغلون لحساب فراعنة مصر في مناجم النحاس هناك، ورموز الكتابة المصرية القديمة.

وأقدم آثار وجدت للأبجدية الفينيقية يعود إلى ما بين القرنين الحادي عشر والعاشر قبل الميلاد، أي في الفترة التي كانت فيها مدائنهم **"صور وصيدا وجبيل تموج بالحركة والنشاط. فالصنّاع يعملون بهمّة في إنتاج كميات كبيرة من عقود الخرز والحليّ وأواني النحاس المطروق وكثير غيرها من السلع التجارية التي اشتهروا بها"**[127]. ولا بد أن هذه الحركة الصناعية والتجارية التي نشّطها الفينيقيون في المنطقة، كانت الدافع الرئيسي لاختراع أول أبجدية في التاريخ، وذلك لحاجتهم الشديدة للكتابة والتدوين وتسجيل البضاعة المصنّعة والسلع الصادرة والواردة، وغيرها من الأمور الإدارية والمالية التي يمارسها الصّانع على عتبة المصنع والتاجر على أرصفة الموانئ وفي الأسواق، كما هو الحال عندنا اليوم.

اقتبس الفينيقيون أحرفهم من رسوم الأشياء كما فعل أصحاب الكتابة الصوتية قبلهم، ولكنهم ابتعدوا عن رسم التفاصيل التي تميز الأشكال، أي أنهم جرّدوا الرسم، وذلك كما يفعل التشكيليون في عصرنا الحاضر حين يجرّدون شكل الأشياء الحقيقية ويفقدونها صبغتها التقليدية خدمة لموضوع اللوحة المراد إنجازها. أما الفينيقيون فجرّدوا الرسم بخطوط بسيطة وأعطوها اسماً، أي اسم الشكل المرسوم، فكانت أبجديتهم تحتوي على 22 رمزاً أو حرفاً. وأبحروا بها إلى حوض البحر المتوسط، فتعرّف عليها الإغريق. ويقول المؤرخ اليوناني (هيرودوتس) في الحرف المستعمل في بلاد اليونان: **"لقد أدخل الفينيقيون إلى بلاد اليونان مجموعة**

Letter Name	Proto-Sinaitic	Early Phoenician	Greek	Phonetic Value	Letter Meaning
'aleph	[illegible]	𐤀	A	[']	ox
beth	[illegible]	𐤁	B	[b]	house
gimmel	[illegible]	𐤂	Γ	[g]	throwstick
daleth	[illegible]	𐤃	Δ	[d]	door
he	[illegible]	𐤄	E	[h]	
waw	[illegible]	𐤅	Ϝ¹ Y	[w]	hook/peg
zayin	[illegible]	𐤆	Z	[z]	
heth	[illegible]	𐤇	H	[ḥ]	fence
teth		𐤈	Θ	[ṭ]	
yodh	[illegible]	𐤉	I	[y]	arm/hand
kaph	[illegible]	𐤊	K	[k]	palm of hand
lamedh	[illegible]	𐤋	Λ	[l]	goad/crook
mem	[illegible]	𐤌	M	[m]	water
nun	[illegible]	𐤍	N	[n]	snake
samekh		𐤎	Ξ	[s]	
ʿayin	[illegible]	𐤏	O	[ʿ]	eye
pe		𐤐	Π	[p]	
tsade	[illegible]	𐤑	M²	[ṣ]	
qoph	[illegible]	𐤒	Ϙ³	[q]	
reš	[illegible]	𐤓	P	[r]	head
šin	[illegible]	𐤔	Σ	[š]	
taw	[illegible]	𐤕	T	[t]	mark (?)

[127] روجرز: <u>**مصدر سابق**</u>، ص78.

كبيرة من مختلف الفنون، وكان من بينها فن الكتابة، وهو -على حد علمي- ما لم يكن يعرفه الإغريق من قبل"[128].

تمثل الصورة الكتابة الفينيقية تتوسط الكتابتين السينائية والإغريقية. وهذه أسماؤها بالترتيب: (**ألف**): رأس ثور. (**بيتا**): بيت. (**جميل**): سنام الجمل. (**داليت**): دلو. (**هي**): شبكة. (**واو**): مسمار، وتد. (**زين**): سلاح. (**حيط**): حائط. (**طيط**): حنش. (**يود**): يد. (**كاف**): كف يد. (**لاميد**): إبرة النحل. (**ميم**): ماء. (**نون**): سمك، حوت. (**سين**): سامك. (**عين**): عين. (**في**): باء مثلثة: فم. (**صادي**): صدّيق. (**قوف**): قرد أو سم خياط. (**ريش**): رأس. (**شين**): سن. (**تاو**): إشارة أو علامة.

وكما هو معلوم أن اللغة الفينيقية كانت تعتمد على الصوامت وتُهمل الصوائت. غير أن الإغريق لم يستطيعوا الاستغناء عن الحروف الصائتة التي في لغتهم، فاستخدموا لذلك بعض الحروف الفينيقية الصامتة التي لم تكن لهم حاجة بها. **"وعندما زادت حاجتهم إلى حروف الحركة، أضافوا عدداً ابتكروه منها.."**[129].

3- الأبجدية الآرامية تجتاح الشرق الأدنى:

الشائع أن الآراميين استعملوا الكتابة الفينيقية وحوّروا من أشكال بعض حروفها. ولكن البعض يرى أن الآراميين أخذوا عن **"أشقائهم الفينيقيين كتابتهم من دون إضافة إليها"**[130]. ويقول رأي آخر أن الكتابة السينائية هي **"الأرومة التي منها اشتق الآرامي والسبئي"**[131]. ورغم تباين هذه الاستنتاجات، إلا أنها تصب في نهر واحد، وتثبت أن الآراميين استعملوا الأبجدية الفينيقية سواء كان ذلك بواسطة التقليد المباشر أو عن طريق الكنعانيين الذين استأجرهم فرعون مصر لاستخراج المعادن من صحراء سيناء. فالآراميون شعب مثقف شغوف بالكتابة والتدوين، حتى أن لغتهم امتدت في كل بلاد المعمورة، وهي -من حيث الانتشار- تعد قبل ميلاد المسيح **"كاللغة الإنكليزية اليوم"**[132]. وتعود أقدم نصوص



[128] روجرز: **نفس المصدر السابق**، ص101.
[129] روجرز: **نفس المصدر السابق**، نفس الصفحة.
[130] هبّو: **مصدر سابق**، ص82.
[131] زين الدين: **مصدر سابق**، ص300.
[132] التونجي: **مصدر سابق**، ص32.

الآرامية إلى "**القرنين الثامن والتاسع ق.م.**"[133]. ومنذ ذاك التاريخ بدأت الكتابة الآرامية تتخلّص -شيئاً فشيئاً- من الصور الفينيقية لتستقل بشخصيتها المميزة. ويلاحظ في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الثاني قبل الميلاد انقسامٌ في شكل الكتابة الآرامية، "**فظهر الخط الآرامي المربّع الذي تميزت به العبرية، كما ظهر الخط النبطي، والخط التدمري**"[134].

تمثل الصورة نموذجاً من الكتابة الآرامية الأولى التي يعود تاريخها إلى سنة 800 ق.م. وهو (نقش ذكير) الذي عُثر عليه في حماه بسوريا.

4- الأبجدية النبطية:

اتخذ العربُ الأنباطُ الكتابة الآرامية في معاملاتهم الرسمية، -مثلهم في ذلك- مثل التدمريين الذين استخدموا الحروف الآرامية كما هي. إلاّ أن الأنباط أدخلوا تطويراً فريداً على تلك الحروف الآرامية. فبين القرنين الثاني والثالث الميلاديين بدأ الخط النبطي "**يميل إلى ربط الحروف وتعليقها ببعضها والابتعاد عن الطريقة السائدة التي تفصل بين حروف الكلمة الواحدة**"[135]. وهذا يعني أن الكتابة دخلت مرحلة جديدةً، فبعدما تعاملت شعوب تلك المنطقة مع الحروف الهجائية الفينيقية وهي منفصلة، بدأ الأنباط يتّجهون إلى الربط والاتصال. وربما كانت تلك الفكرة مقتبسة من الآراميين الذين فصلوا بين الكلمات بفراغات بسيطة أو نقط أو خطوط، أو أن هذه الفكرة أوحت للأنباط بأن يجعلوا الكلمة كتلة واحدة متماسكة حتى تنفصل عمّا قبلها وما بعدها من كلمات، أو أن طريقة الكتابة بالمداد أجبرتهم على ذلك، فنقلوا فكرتهم تلك إلى صفحات الصخور ومشاهد القبور أيضا.

محاولة الأنباط في ربط الحروف واتصالها.

[133] حاتم: **مصدر سابق**، ص238.

[134] هبّو: **مصدر سابق**، ص83.

[135] هبّو: **نفس المصدر السابق**، ص84.

رابعاً= كتابات عرب الجنوب:

1- خط المُسند اليمني:

يعتقد الكثيرُ أن عربَ اليمن كتبوا بحروف لا علاقة لها بالكتابات السابقة. وهي حروف خط المُسند، وسمي كذلك لأن البعضَ يُسنده إلى هود (عليه السلام)، أو أن حروفه مُسندةٌ إلى بعضها البعض، وهذا ما أعطاه خصوصيةَ ميزته عن غيره. ويسمى أحياناً بالخط السباعي أو الحميري، وأحياناً أخرى بالكتابة المعينية أو الجنوبية. والمتفق عليه أن قلم المُسند **"كان هو القلم العربي الأصيل الأول عند العرب، وكتب به أهل جزيرة العرب"**[136]. وكان ذلك في فترة سابقة لميلاد المسيح عليه السلام بعدة قرون.

تمتاز حروفُ خطّ المُسند بانتصابها عمودياً، وثباتها على محور أفقي موحّد ومحكم، وتوازن أطوالها، ولا توجد عليها إضافات كالنقط والحركات، علاوة على اعتمادها على المذنّبات كالتي آلفناها في حروف الخط الكوفي، أو التي نلاحظها على بعض الحروف المطبعية اللاتينية. وظاهرة المذنبات هذه ظهرت أول مرّة على الرمز المسماري بمذنباته الثلاثية، وهذا ما جعل البعض يعتقد في اشتقاق المُسند من الرمز المسماري، أو هو مرحلة متطورة عنه، فمثلاً حرف الراء يشبه كثيراً أجزاءَ الرمز المسماري المكوّن من مسمارين متعاكسين.

تمثل الصورة حروف خط المُسند.

أما التشابه بين حروف خط المُسند (الجنوبي) وحروف الأبجدية الفينيقية (الشمالية)، فقد وجدنا أن ثلثها تقريباً يكاد يكون واحداً في الكتابتين، مع اختلافات طفيفة لا تخرج عن إطار الطرق الفنية في كتابة أو رسم أو نقش تلك الحروف. مع العلم أن العربَ الجنوبيين أضافوا لكتابتهم ستة حروف معجمة، وهي (ض، ظ، غ، ث،خ، ذ)، مع اختلاف طفيف في نطق بعض المخارج، مثل الجيم المعطشة وغير المعطّشة، والسين المهملة والشين المعجمة، والقاف والهمزة، وغيرها من الآثار الباقية إلى الآن في لهجات كل العرب تقريبا.

---

[136] علي، جواد: **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج8، ط2، 1978، دار العلم للملايين، بيروت/ لبنان، ص155.

2- فروع المُسند:

بسط اليمنيون نفوذهم السياسي على بعض الشعوب العربية في شمال الجزيرة ونقلوا إليها خطّهم. فقد عثر المستكشفون في أعالي الحجاز على خطوط تشبه خط المُسند. فرأى الباحثون أن تلك الخطوط هي **"من صلب ذلك القلم ومن فروعه للشبه المذكور، لأنها متأخرة بالنسبة له"**[137]. ومن أشهر تلك الكتابات:

<u>**أ- الكتابة اللحيانية**</u>: وتُنسب إلى لحيان، وموطنُها منطقة العلا وما جاورها من بقاع. **"وقد كُتبت معظم آثارها الكتابية ما بين 400-200 قبل الميلاد، ولعل بعضها كُتب قبل ذلك بمائتي عام"**[138].

ሀ	ሁ	ሂ	ሃ	ሄ	ህ	ሆ	ከ	ኩ	ኪ	ካ	ኬ	ክ	ኮ
ለ	ሉ	ሊ	ላ	ሌ	ል	ሎ	ወ	ዉ	ዊ	ዋ	ዌ	ው	ዎ
ሐ	ሑ	ሒ	ሓ	ሔ	ሕ	ሖ	ዐ	ዑ	ዒ	ዓ	ዔ	ዕ	ዖ
መ	ሙ	ሚ	ማ	ሜ	ም	ሞ	ዘ	ዙ	ዚ	ዛ	ዜ	ዝ	ዞ
ሠ	ሡ	ሢ	ሣ	ሤ	ሥ	ሦ	የ	ዩ	ዪ	ያ	ዬ	ይ	ዮ
ረ	ሩ	ሪ	ራ	ሬ	ር	ሮ	ደ	ዱ	ዲ	ዳ	ዴ	ድ	ዶ
ሰ	ሱ	ሲ	ሳ	ሴ	ስ	ሶ	ገ	ጉ	ጊ	ጋ	ጌ	ግ	ጎ
ቀ	ቁ	ቂ	ቃ	ቄ	ቅ	ቆ	ጠ	ጡ	ጢ	ጣ	ጤ	ጥ	ጦ
በ	ቡ	ቢ	ባ	ቤ	ብ	ቦ	ጰ	ጱ	ጲ	ጳ	ጴ	ጵ	ጶ
ተ	ቱ	ቲ	ታ	ቴ	ት	ቶ	ጸ	ጹ	ጺ	ጻ	ጼ	ጽ	ጾ
ኀ	ኁ	ኂ	ኃ	ኄ	ኅ	ኆ	ፀ	ፁ	ፂ	ፃ	ፄ	ፅ	ፆ
ነ	ኑ	ኒ	ና	ኔ	ን	ኖ	ፈ	ፉ	ፊ	ፋ	ፌ	ፍ	ፎ
አ	ኡ	ኢ	ኣ	ኤ	እ	ኦ	ፐ	ፑ	ፒ	ፓ	ፔ	ፕ	ፖ

<u>**ب- الكتابة الثمودية**</u>: وتُنسب إلى قبيلة ثمود، وموطنها بين نجد والحجاز وسيناء وحوران وأماكن من لحيان. **"وتُعد ما يقارب 1700 أثر كتابي، يعود تاريخها إلى القرن الثالث الميلادي، وثمة عدد كبير منها يعود تاريخه إلى ما قبل ذلك بقرون"**[139].

<u>**ج- الكتابة الصفوية**</u>: وتُنسب إلى أرض الصفا، وموطنها في حوران، كما وُجدت آثار لها في شمال سوريا وعلى نهر الفرات. **"ويعود تاريخها إلى الحقبة الواقعة بين القرنين الأول والرابع الميلاديين"**[140].

<u>**د- الكتابة الأثيوبية**</u>: كتب الأثيوبيون لغتهم (الأمهرية) بقلم بُني أساساً على المُسند **"فكانت حروفها مطابقة لليمنية، وتُكتب مثلها من دون حركات حتى منتصف القرن الرابع الميلادي"**[141]. إذ

---

[137] علي: <u>**مصدر سابق**</u>، ص153.
[138] هبّو: <u>**مصدر سابق**</u>، ص90.
[139] هبّو: <u>**نفس المصدر السابق**</u>، نفس الصفحة والصفحة التي تليها.
[140] هبّو: <u>**نفس المصدر السابق**</u>، ص91.
[141] هبّو: <u>**نفس المصدر السابق**</u>، ص92.

يبدو أن الأثيوبيين أضافوا على كتابتهم تلك بعض الأشكال والحركات للتعبير عن الصوتيات التي في لغتهم. إلاّ أن تلك الحركات لا تشبه الحركات الإعرابية في الكتابة العربية بقدر ما تشبه الحروف الصوتية في الكتابات الأوروبية تقريبا. (وسنلاحظ تأثير الكتابات سابقة الذكر على الكتابة الليبية القديمة في إبّانه).

تمثل الصورة الحروف الأثيوبية الحديثة المبنية على المُسند اليمني.

3- نهاية خط المُسند وظهور الحرف العربي:

بقي خط المُسند مستعملاً في الديار التي ذُكرت ردحاً من الزمن. فلما جاء الإسلام كان بعض أهل مكّة يكتب بخط عُرف بالقلم المكّي، فكتبوا به الوحي لنزوله بينهم، وصار القلم المكّي الخط الرسمي للمسلمين، ثم عُرف في المدينة القلم المدني. **"وحُكم على المُسند بالموت عندئذ، فمات ونسيه العرب"**[142]. وفي المقابل كان العربُ يسمّون خطّهم بـ(الجزم)، **"وذكروا أنه إنما سُمي جزماً لأنه جُزم من المُسند، أي قُطع منه"**[143]. بذا تكون الكتابةُ العربيةُ مجزومةً ومقطوعةً من المُسند الحميري. وقد أكّد الألوسي في (بلوغ الأرب) أن العربَ سمّوا خطّهم بالجزم **"لأن الخط الكوفي كان أولاً يسمى الجزم قبل وجود الكوفة"**[144]. إلاّ أن هناك آراءً أخرى تقول بأن الخط العربي (الكوفي) إنما أشتق من آخر صورة من صور الخط النبطي، معتمدين في ذلك على أن حروف الخط النبطي متصلة، كما سبق الذكر، أما حروف المُسند فمنفصلة. وقد كُتب مُصحف الإمام في عهد الخليفة عثمان بن عفّان بالخط الكوفي، وذلك قبل أن تضاف عليه نُقط الدُؤلي النحوية في عهد الخليفة علي ابن أبي طالب، ونقط الإعجام في العهد الأموي.

تمثل الصورة سطرين من مصحف مجرّد النقط، نصه:

(وَأنتَ خَيرُ الرّحِمينَ فاتَّخَذتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أنْسَوْكُمْ ذِكْرِي) المؤمنون 109-110.

---

[142] علي: **مصدر سابق**، ص153.

[143] علي: **نفس المصدر السابق**، 152.

[144] ابن النديم: **الفهرست**، ط؟، 1978، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت/ لبنان، ص7.

تمثل الصورة نموذجاً من مصحف عليه نُقط الإعراب التي وضعها أبو الأسود الدؤلي. ونصه

(.. من السماءِ فيهِ ظلماتٌ ورعدٌ وبرقٌ يجعلو..)

خامساً= الكتابة عند قدماء المصريين:

1- فكُ رموز الكتابة المصرية القديمة:

كان المصريون القدامى ينقشون رموزهم الكتابية على صفحات الحجارة بطريقة بدائية. وكانت الجوانب الدينية عندهم مقدّسة جداً، ولهم اعتقاد كبير في أن سحر الكلمة المكتوبة لها قدرة على جلب الحظ وطرد النحس، فيقومون بنقش تعاويذ وطلاسم على حبّات العقود لتقيهم من شرور الدنيا، وأدعية على قبور ملوكهم تضمن لهم السعادة في الحياة الثانية.. وغيرها من الاعتقادات التي كانت الدافع الرئيسي وراء اهتمام قدماء المصريين بالكتابة.

لهذا السبب كانت كتابتهم بسيطة، تعتمد على الرمز والصورة الرمزية، **"فإذا أراد كاتب مثلا أن يُعبّر عن الحزن رسم عينا تدمع. وكان يُعبّر عن الشمس والنهار برسم دائرة تتوسطها نقطة، فإذا أضيف إلى هذه الدائرة ثلاثة خطوط أصبح الشكل يعبّر عن الضوء، وهكذا.."**[145]. لذا يمكننا تصنيف هذه الكتابة ضمن الكتابة التصويرية (البيكتوغرافية). كما عُرف عنهم ما سُمّي بالرموز السرية، **"وهي تُظهر العلاقة بين الرمز وما يُقصد به، فصوّروا العدالة بريش النعام، واليقظة بالأسد، لأنهم كانوا يتصوّرون ريش النعام متعادلا في الطول، وأن الأسد ينام مفتوح العينين. أما الملك فرمزوا إليه بالنحلة، لأن للنحل ملكاً"**[146]. تلك هي بداية الكتابة المصرية القديمة التي أطلق عليها الإغريق اسم الكتابة المقدّسة (الهيروغليفية). وقد تقلّبت هذه الكتابة على الأطوار الخمسة المذكورة آنفاً، فوصلت إلى مستوى الأبجدية المنفصلة التي ترمز فيها صور الأشياء إلى المخارج الصوتية، وكان لها دورُها في

---

[145] روجرز: **مصدر سابق**، ص43.
[146] حاتم: **مصدر سابق**، ص190.

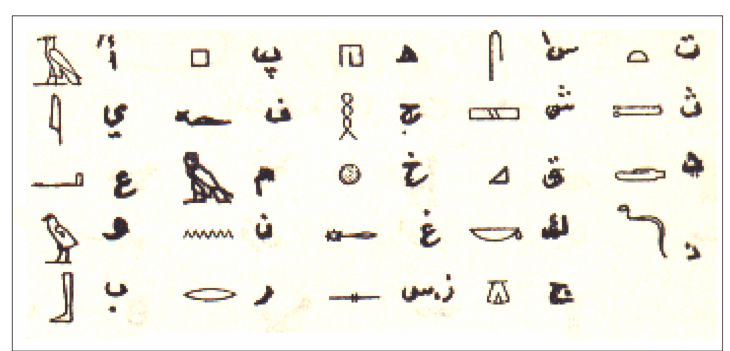
المساهمة في إنجاز الأبجدية العالمية التي وضعها الكنعانيون في الشام، ربما كان ذلك عندما تواجدوا في سيناء بحثاً عن المعادن لصالح فراعنة مصر.

ويعود فك الرموز الهيروغليفية إلى زمن الحملة الفرنسية، حيث عثر أحد الجنود قرب مدينة رشيد **"على لوحة ضخمة مدفونة من حجر البازلت الأسود"**[147]. ومن خلال هذه اللوحة تمكّن (جون فرانسوا شامبليون Jean Francois Champollion) من التعرف على اسمي: (كليوباترا) و(بطليموس)[148]. وقد ساعده على ذلك أن اللوحة كانت مكتوبة بثلاث لغات كان آخرها اللغة اليونانية. بذا كان له قصب السبق في اكتشاف أسرار الكتابة المصرية القديمة، علِم المؤرخون -على إثره- قدراً كبيراً من تاريخ فراعنة وادي النيل.

تمثل الصورة حروفاً أبجدية مصرية مستوحاة من الكتابة الهيروغليفية الأولى.

2- الكتابة السينائية:

تُعتبر الصناعة في كل الأزمان من أهم مرتكزات الحضارة الإنسانية. والمجتمعات المتحضرة تبحث دائماً عن المادة الخام التي تثري صناعتها. وفي زمن من الأزمان انتشر في مصر استخدام معدن النحاس انتشاراً واسعاً، **"يُفترض معه ضرورة حدوث اتصالات أو تقارب -سواء عن طريق التجارة أو عن طريق التوسع- مع مناطق شبه جزيرة سيناء والصحراء الشرقية، حيث توجد المناجم الغنية بمعدن النحاس"**[149]. لذا كان بعضُ الكنعانيين يعملون في مناجم الفيروز والنحاس لحساب فراعنة مصر بمنطقة (سرابيط الخادم) في شبه جزيرة سيناء. وقد تم العثور في هذه المنطقة على **"50 رقيماً يعود تاريخها إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد"**[150]. وهي عبارة عن منحوتات **"كانت رموزها صلة الوصل بين الهيروغليفية المصرية والحروف الفينيقية"**[151]. وقد أفتُرض أن تلك المنحوتات قد



[147] روجرز: **مصدر سابق**، ص62.
[148] للاطلاع على مفتاح حل الرموز الهيروغليفية، يُرجع إلى الصورة الواردة في الفقرة الخاصة بالكتابة الصوتية في بداية هذا الفصل.
[149] ألدريد، سيريل: **الحضارة المصرية**، ترجمة وتحقيق: مختار السويفي، ط1، 1989، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة/ مصر، ص59.
[150] هبّو: **مصدر سابق**، ص68. وحاتم: **مصدر سابق**، ص232.
[151] حاتم: **نفس المصدر السابق**، ص232.

أنجزها (الساميون) الذين كانوا يعملون في تلك المناجم، وأنها **"كانت مكتوبة بإحدى اللغات السامية الغربية ذات الطابع الحرفي اللفظي الساكن"**[152].

رأى العلماءُ أن أشكال هذه الكتابة التي اصطلح على تسميتها بالكتابة السينائية، نسبةً إلى سيناء، تشبه -في رسمها- الأشكال الهيروغليفية. وهذا يعني أن الكنعانيين رسموا شكل الحرف بتصوير الشيء الذي يمثله كما هو في الواقع، أو قريباً منه، متخذين من الكتّاب المصريين قدوة لهم، واكتفوا بدلالة الشكل على الصوت الأول من اسمه. مثلا: **"رسموا رأس الثور المسمى بلغتهم السامية (ألف) ولفظوه (أ)، ورسموا صورة البيت كما كان المصريون يفعلون، واسمه عندهم (بيت) ولفظوه (ب)[153]"**.. وهكذا.

تمثل الصورة أشكال حرفي الألف والباء في الكتابة الهيروغليفية والسينائية والفينيقية وأوجه الشبه بينها، كما تُظهر طريقة اشتقاق الكتابات الثلاث وتأثر بعضها ببعض.

3- الكتابةُ المصريةُ القديمةُ جزءٌ من الحركة الثقافية العروبية:

لم تكن ثقافة قدماء المصريين ذات طابع خاص منفصل عن بقية الشعوب من حولهم، كما يروّج البعض، فإلى جانب العلاقة المذكورة آنفا بين الكتابتين الهيروغليفية والفينيقية التي تشكلت في صحراء سيناء، فهناك إشارات أخرى تشير إلى العلاقة بين كتابة قدماء المصريين وحروف خط المُسند اليمني. ولا بد أن الأنباط الذين وصلوا بنفوذهم السياسي والتجاري إلى صحراء سيناء، كانت لهم أيضاً تأثيرات ثقافية مع سكان نهر النيل. ويقال أن اللغة والكتابة

	هيروغليفي	سينائي	فينيقي
حرف (أ)	نسر	رأس ثور	رأس ثور
حرف (ب)	كرسي	بيت	بيت

النبطيتين كانتا المرحلة الحاسمة التي ظهرت من خلالها اللغة والكتابة العربيتين في العصر الجاهلي السابق للإسلام. إلى جانب كل ذلك كان الحثيون القادمون من آسيا الصغرى قد تأثروا -هم أيضاً- بالثقافة المصرية القديمة، فاستخدموا كتابة مستوحاة من الهيروغليفية المصرية إلى جانب الكتابة

[152] حاتم: **نفس المصدر السابق**، نفس الصفحة.
[153] هبّو: **مصدر سابق**، نفس الصفحة.

المسمارية المجلوبة إليهم من بابل وآشور، فصارت الهيروغليفية الحثّية خليطاً بين كتابة وادي النيل في الغرب ودجلة والفرات في الشرق. وبالتالي، فإن الحضارة العروبية (العربية القديمة) كانت تُشكّل القاسم المشترك بين شعوب المنطقة شرقاً وغرباً دون فواصل تبعدها عن بعضها البعض أو خصوصيات معيّنة تميز هذه عن تلك. ولا بد أيضاً أن قدماء الليبيين، أو ما يعرفون بسكان الشمال الأفريقي، لم يكونوا بعيدين عن تلك الحركة الثقافية والحضارية التي كانت تموج بها بلاد ما بين النهرين وسوريا ومصر، كما سنرى.

الباب الثاني

اللغة الليبية القديمة

الفصل الأول:

مُعجم الأعلام الليبية القديمة

أشخاص، قبائل، مدن، أقاليم، أماكن

الفصل الثاني:

خصائص اللغة (اللهجات) الليبية القديمة

ما يشبه القواعد النحوية والصرفية

الفصل الثالث:

معاجم اللغة الليبية القديمة

المعاجم العربية- الأمازيغية

الفصل الأول:

مُعجَمُ الأعلام الليبيـة القديمـة

أشخاص، قبائل، مدن، أقاليم، أماكن

تمهيد:

لم يترك لنا قدماءُ الليبيين آثاراً كتابيةً كافيةً لترشدنا إلى لغتهم القديمة. فمعظم الوثائق التي تحدثتْ عنهم كانت إما بلغة غير مفهومة، كالرسوم الكهفية التي لم تصل إلى مرحلة النضج اللغوي وتحلل الرموز إلى كلام. وإما باللغة المصرية القديمة عندما تهافت الليبيون على مصر ناقلين معهم عقائدهم وأفكارهم التي مكّنتهم من سرعة التأقلم مع الثقافة المصرية قروناً طويلةً من الزمن. وإما باللغة البونيقية بعد استقرار الفينيقيين بالشمال الأفريقي فتأثر قدماء الليبيين بثقافتهم القرطاجية المشهورة. إلى جانب بعض المؤثرات الطفيفة الأخرى التي لا بد أنها دخلت على اللغة الليبية القديمة من الإغريق (في منطقة برقة)، ثم من الرومان بعد ذلك. وفي المقابل قد لا تخلو الآثار الكتابية الإغريقية والرومانية من أي أثر لغوي ليبي محتمل.

ونظراً لقلة الوثائق المكتوبة باللغة الليبية القديمة، والتي لا تتعدّى نصوصاً قصيرةً على مشاهد القبور عادة، فإننا وجدنا أنفسنا مضطرين -في هذا الفصل- للبحث عن أسماء أعلام ليبية قديمة، علّها تعطينا فكرةً عن اللغة التي بُنيت منها هذه الأسماء، لإيماننا بأن أسماءَ الأعلام تدخل ضمن التركيبة اللغوية العامة لأي أمة من الأمم.

عند قراءة التاريخ القديم، في ليبيا أو في غيرها من أقطار الوطن العربي، ترد أسماءُ بعض المدن والأماكن والقبائل والأشخاص، يتبادر للذهن -عند الوهلة الأولى- أن كثيراً منها لا علاقة له باللغة العربية الحديثة. وذلك لعدة أسباب، أهمها:

1- أنها أسماءٌ قديمةٌ بادت مع أصحابها قبل أن تصل إلى مرحلة تدوين العرب لتاريخهم، أو أنها تُركت من قبل مستخدميها، فصارت من المُهمل المهجور، وبقيت فقط منقوشةً على الصخر أو ورق البردي.

2- بقاءُ شيء منها في بعض اللهجات الحيّة حتى الآن، أو آلت إلى صورة وصلت إلينا مغايرة لأصلها، أو أنها صارت تعني مدلولا بعيداً -أو قريباً- من مدلولها الأصلي.

3- أن بعض المفردات اتخذت معنىً معيناً في هذه المنطقة يخالف المعنى المتّخذ في منطقة أخرى، فظهرت كما لو كانت غريبة.

4- نقلُها من قبل مؤرخين وعلماء لا علاقة لهم باللغة العربية، فمثّلوا المخارج الصوتية التي ليست في لغتهم برموز غريبة يصعب قراءتها.

وقد اهتم علماءُ اللغة والمؤرخون العرب بمثل هذه الأسماء، وقابلوها بالعربية الحديثة. وقد حاولنا -هنا- أن نسير على خطاهم، فأدلينا دلونا في هذا البئر العميق علّنا نحصل منه على ما يطفئ جزءاً من عطشنا ويحقق شيئاً من رغبتنا في معرفة تاريخ اللغة الليبية القديمة.

لنتابع هذه العينات، التي لم نلتزم فيها بالترتيب الأبجدي، بقدر التزامنا بقيمة المصطلح من حيث الأهمية التاريخية:

أولا= أسماء أماكن وقبائل:

1- ليبيا.. (الليبو والريبو):

يقول البعض أن الليبيين هم أبناء (لهابيم) الذي تذكره التوراة بأكثر من نسب. كما يختلف إملاؤه في التوراة، فيظهر أحيانا هكذا: (لوهبيم). ويبدو أن من هذا الأخير جاء اسمُ (لوبيا) و(اللوبيون). وذكر الدكتور خشيم مؤخراً[154] أن الاسم (لوبيا) أصح نطقاً من (ليبيا)، لأن حرف (i) في (Libya) نحن ننطقه (ou)= (لوبيا)، وهو مثل حرف (y) في (Syria) فننطقه (سوريا) وليس (سيريا). غير أن عبّودي أورد في معجمه مصطلح (اللوبيون) ربما بباء مثلثة مهموسة تشبه الفاء، وترجمها بالفرنسية هكذا (Louvites)، وقال أنهم شعب هند/ أوروبي تغلغل خلال الألف الثالث قبل الميلاد في منطقة آسيا الصغرى قادماً على الأرجح من أوروبا[155]. وربما كان المقصود (اللوفيين)[156] وليس (الليبيين).

ويقول البعضُ الآخر أن الاسم أطلقه المصريون على القبائل البدوية التي كانت تعيش غرب واديهم، هكذا: (ريبو)، والراء في اللغة المصرية القديمة تتعاقب مع اللام (ليبو). وهذا ما دفع الدكتور خشيم إلى دراسة هذا المصطلح حتى صيّره هكذا: ريبو = عريبو، خصوصاً وأن شامبليون الذي فك الرموز الهيروغليفية، ترجم كلمة (ريبو) إلى (بدو). فلماذا لا يكون (الليبيون) هم (الريبيون) أو (العريبيون) أو (الأعراب) أو (العرب) بالمعنى الشامل؟

---

[154] لقاءات كثيرة أهمها - في هذا الصدد- لقاء يوم الثلاثاء الموافق 2008/08/03 بمكتبه بمجمع اللغة العربية بطرابلس.

[155] عبّودي، هنري س.: **معجم الحضارات السامية**، ط2، 1991، جروس برس، طرابلس/ لبنان، ص747.

[156] اللوفيون والباليون شعوب من الأناضول تربطهم صلة قرابة مع الحثيين الأكثر شهرة في المنطقة. أنظر: زودن، ف. فون: **مدخل إلى حضارات الشرق القديم**، ترجمة: د. فاروق إسماعيل، ط1، 2003، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق/ سوريا، ص36.

وفي الرّيبو (Rbw) أو الليبو يقول (زودن) أن الشعوب التي كانت بين آسيا الصغرى ومصر مروراً بسوريا لا يميزون بين حرفي الراء واللام، لاسيما في بداية الكلمة[157]، أي أنهم كانوا من (اللثويين). لذا استبدل هذا الاسم بـ(الليبو) إلى أن شاع وتغلب على سابقه. ويبدو أن ذلك كان سابقاً لتدوين التوراة، فذكر اليهودُ أن جد هؤلاء القوم هو (لهوبيم، Lehubim) أو (لوبيم)، تماما كما فعلوا مع (مصرييم) جد المصريين، و(فلشتيم) جد الفلسطينيين.. ومن ثم استخدم الكتّاب الكلاسيكيون هذا المصطلح، هكذا: (ليبيا)= المكان، و(ليبيون)= السكان. وأما (ريبو) فقد يكون الأصل (عريبو)[158] وفيه حرف العين مبدل بحرف الألف، ويدعّم ذلك الدكتور عامر سليمان في أن الأكّديين استبدلوا الحروف الحلقية (ع غ ح) بكسرة ممالة لعدم وجود رموز مسمارية تعبّر عن تلك الحروف التي لا يستخدمها السومريون[159]، مثلا: كلمة (غرابُم)= الغرب، صارت (إريبُم) ←(إريبُ) ←(إريبو) وتعني الغرب أيضا. وهذا ينطبق أيضاً على (ليبيا) الواقعة غرب النيل.

ويقول الأستاذ بريستيد (J. H. Breasted): "**إن (Libu) أو (R'bw) أو (Ribu) أو (Labu) قبيلة من قدماء الليبيين، ذُكرت لأول مرة في نصوص المملكة الحديثة خصوصاً في عصر الرعامسة Ramesside وقد سجلت مدونات مرنبتاح بالكرنك كيف كان المصريون يصدّون هجمات الليبيين**"[160]. غير أن آخرين شرحوا اسم الـ(ريبو) أو الـ(ليبو) استناداً على ما أورده (دايوب Diop) من أن أناساً يعيشون حالياً في السينيغال يدعون (ليبو) وتعني (صيادو السمك Fishermen)، فقاموا بتفصيله هكذا: (ر R) أو (ل L)= حرف جر بمعنى (إلى، ضد، عند)، و(بو Bo)= في القبطية تعني (قناة أو جدول)، أي (ل_بو L_Bou) تعني (عند الجدول)، أي (أناس يعيشون على ساحل البحر، الماء)[161]، وربما كان ذلك سبباً من أسباب تسمية بعض الليبيين بشعوب البحر. ومن جانب آخر فإن اسم مدينة لبدة (Leptis) كان يُكتب في البونيقية (LBKY) ومنه أيضاً جاء اللفظ (LBT) و(LBY)، وهو نفس أصل السكّان[162]، أي (ليبيون).

---

[157] زودن، ف. فون: **نفس المصدر السابق**، ص23.

[158] خشيم، د. علي فهمي: **آلهة مصر العربية**، ج1، ط1، 1990، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة/ ليبيا، ودار الآفاق الجديدة، الدار البيضاء/ المغرب، ص ص73-84.

[159] سليمان، د. عامر: **اللغة الأكدية (البابلية-الآشورية)**، ط2، 2005، الدار العربية للموسوعات، بيروت/ لبنان، ص193.

[160] Breasted, J.H.: **Ancient records of Egypt**, part three, Chicago 1906, (en.wikipedia.org) قام الباحث بتعريبه.

[161] Jess,Friedrike: **Traceless migration?-The archaeological visibility of pastrol nomads in the south Libyan desert**. (Egyptsearch.com). قام الباحث بتعريبه.

[162] أنظر: كامب، ج.: **البربر الذاكرة والهوية**، ترجمة: جاد الله عزّوز الطلحي، ط1، 2005، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس/ ليبيا، ص 118.

2- أمنت (مكان جغرافي):

أمنت اسم أطلقه المصريون على (ليبيا) أيضا (Amentt): وتعني (المكان الخفي، وجهة الغرب، وأرض الأموات)[163]، وكلها في جهة اليمين من موقع وادي النيل. فقد اعتقد قدماء المصريين أن الشمسَ عندما تغيب في جهة اليمين (الغرب) فإنها تموت هناك، ثم تحيى في اليوم التالي وتشرق من جهة اليسار (الشرق). ومن ثم كان اعتقادهم بالحياة الثانية. لهذا السبب أطلقوا على القادمين من تلك الجهة اسم (إمنت) أو (يمنت) القريبتين من اللفظين العربيين: (اليمين) و(الموت) في آن واحد. وربما يتفق ذلك مع ما أطلقه عرب الجاهلية على جنوب الجزيرة (اليمن) عندما كانوا يتيامنون إليها شتاءً ويتشاءمون إلى الشام صيفاً، أي (اليمين والشمال) أيضاً. إضافة إلى توافق المصطلح (غرابم)= (عرابو) مع مصطلحنا سابق الشرح: (إيريبو)= (ريبو) أو (ليبو)، كما أسلفنا. حيث أورد الدكتور سليمان عامر مصطلح (غرابـ م) الأكّدي الذي تحول في المسمارية السومرية إلى (إريبـ م)= الغرب، كما سبق الذكر.

3- التمحو، والتحنو (قبائل):

وفي التمحو (Temhu) تحكي إحدى أساطير الخلق المصرية أن إله الشمس (رع) بكى، فخلق الجنسَ البشري من دموعه المتساقطة، فكانوا أربعة أقسام:

1-(ر م ث)= البشر الحقيقيون، وهم المصريون.
2-(ت م ح و)= الليبيون.
3-(ن ح س و)= الزنوج.
4-(أ م و)= الشرقيون من مصر[164].

والتمحو هم سكان الدلتا من الليبيين منذ الألف الرابع قبل الميلاد. أي قبل توحيد القطرين من قبل (نعرمر) بحوالي قرن من الزمان على أقل تقدير. وقد تعني أيضاً بلاد الشمال، ومن ثم صارت عَلَماً لكل الليبيين مهما كان موضع تواجدهم. أما اسم (التحنو) فيبدو أن فيه شيئا من القلب والإبدال. ويشرحهما البعض على أن (تحنو Tehenu) تعني (الإنسان الأزرق The blue

[163] أنظر: خشيم: **مصدر سابق**، ص ص310،311.

[164] خشيم، **نفس المصدر**، ص ص41-52.

people)، لأنها تُكتب عادة برموز آيدوغرافية تمثل الشرارة أو النور الأزرق المنطلق من الخزف المزجج. وأن (تمحو Tamhu) تعني (الإنسان الأحمر The red people)، ويرون أنهم من الجنس الأبيض من ذوي البشرة البيضاء، ولهم صلة عرقية بما عُرفوا بالـ(كمت) الذين أسسوا الأسرة الثانية عشر المصرية[165]، كدليل على الوجود الليبي منذ العصور القديمة في مصر.

والوثائق المصرية لا تُفرّق أحياناً بين (التمحو) و(التحنو). لذا يُمكننا حصر هذا المصطلح في الثلاثي العربي (ت ح م)، والـ(تحم) في لسان العرب يعني (الحُمرة)، فيقال: (فرسٌ متحّم اللون): كأنه شبه بالأتحمي من البرود، وهو الأحمر. وتصف موسوعة تاريخنا (التمحو) بأنهم من **"ذوي البشرة البيضاء والعيون الزرقاء والشعر الأحمر"**[166]. أما (التحنو) فيُصفون أيضا بنفس اللون الوردي الغامق كالمصريين[167]. ونفهم مما سبق أن الحُمرة كانت صفة مميزة للتمحو والتحنو على حد سواء.

4- المشواش (قبيلة):

المشوش أو المشواش، وتُرخّم أو تُختصر عند قدماء المصريين بـ(ما Ma). ويتفق كثير من المؤرخين المعاصرين، على أن المشوش قبيلة ليبية كانت تعيش في الشمال الشرقي من ليبيا الحالية، التي عُرفت فيما بعد ببرقة (Cyrenaica)[168]، وأن ديارهم امتدت غرباً إلى منطقة تونس الحالية. أما عن ملامحهم فيتضح من المشاهد المصوّرة على جدران معبد مدينة (هابو) أن المشوش كانت لهم مع التحنو خصائص مشتركة أهمها اللحية المدببة، علاوة على لبس الأشرطة المتقاطعة على الصدر والأزرار والذيل والمعطف وتزيين الرأس بالريش[169]. وكانت معاصرة للأسرتين **18** و**19**، (**1570-1185** ق.م.). لهذا السبب يمكننا اعتبار قبيلة المشوش والقبائل المتحالفة معها أساس التغلغل السلمي الليبي في مصر.

إن النقوش التي دَوّنت معارك الليبيين والمصريين كانت تركّز على ذكر الليبيين باسم (التحنو أو التمحو) وأحياناً باسم (الريبو أو الليبو)، وقليلاً ما نلاحظ عليها اسم (المشوش أو المشواش). وهذا يؤكد أن (التحنو أو التمحو) و(الليبو أو الريبو) ما هي إلاّ أسماء تطلق على عموم الليبيين وليست على قبيلة بعينها. أما (المشوش) فيبدو جلياً أنها قبيلة قائمة بذاتها ضمن بقية القبائل

---

[165] Jess, **Op.Cit.**

[166] مجموعة مؤلفين: **موسوعة تاريخنا**، الكتاب الأول (ليبيا من عصور ما قبل التاريخ إلى القرن السابع قبل الميلاد)، ؟، دار التراث، ؟، ص100.

[167] موسوعة تاريخنا: **نفس المصدر السابق**، ص98.

[168] Wikipedia, **Op. Cit**.

[169] موسوعة تاريخنا: **نفس المصدر السابق**، ص103،104.

الليبية التي تعاملت معها النقوش المصرية القديمة، مما جعل بعضَ المؤرخين يسمّون الليبيين أحياناً بالمشوش خصوصاً بعد وضوح ظهورهم في أواخر عصر الأسرتين الثامنة عشر والتاسعة عشر. فمثلاً ذكرت الوثائق المصرية الزيوت والشحوم التي كانت تستورد من ليبيا على أنها من بلاد (تحنو)، بينما ترد أحياناً أخرى على أنها **"دهن طازج من أبقار المشواش"**[170]، وهذا يعني أن قبيلة المشواش من أصل تحنوي، أي من بلاد التحنو= ليبيا التي كانت تأتي منها تلك الدّهون. وقد اشتهرت تلك الزيوت في الوثائق المصرية بالعديد من الأسماء مثل (عج تحنو عنو) للشحوم الحيوانية، و(تحنو عش) للزيوت النباتية خصوصاً من أشجار الصنوبر والسرو[171] المتوفرة في منطقة الجبل الأخضر ببرقة.

5- جبّارين (وادي):

وهم العماليق الجبابرة (الصحيح: جبّارين) الذين سكنوا جبال أكاكوس بالجنوب الليبي منذ أكثر من ستة آلاف سنة قبل الآن، عندما كان وادي الحياة (وادي الآجال سابقا) يعجّ بالبشر، إذ كان المناخ رطباً ومطيراً. ثم زحفت عليه رمال الصحراء فارتحل سكّانه إلى وادي النيل وأسسوا مع أبناء عمومتهم النازحين من صحراء شبه الجزيرة العربية السلالات المصرية الأولى. لازالت رسوم وادي جبّارين قائمة حتى الآن تروي قصة الحضارات الحجرية والصخرية بالجنوب الليبي. يقول الفرنسي (هنري لوت Henri Lhote) مكتشف تلك الرسوم، أن الأهالي هناك يطلقون على الوادي اسم (وادي جبّارين) نسبة إلى العماليق الكنعانيين الذين سكنوا المنطقة منذ العصر الحجري الحديث، وتركوا على كهوفهم عدداً ضخماً من الرسوم الصخرية[172].

6- الهقار (جبال):

كتلة جبلية تقع في قلب الصحراء الأفريقية، جنوبي الجزائر، ومنها جبال تاسيلي التي تدخل في الجنوب الليبي، ومنها جبل أكاكوس. وهذه المنطقة غنية بآلاف الصخور والأحجار المرسومة. والتسمية منقولة حرفياً عن الرحالة والمستكشفين الأجانب هكذا: Hagar الذين استبدلوا حرف الحاء بحرف (h) وحرف الجيم بحرف(g)، والأصل هو (حجار)= (أحجار)، يبدو أن السكان

---

[170] موسوعة تاريخنا: **نفس المصدر السابق**، ص103.

[171] شيمي، محمد عبد الحميد: **العطور ومعامل العطور في مصر القديمة**، ترجمة: ماهر جويجاتي، ط1، 2005، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة/ مصر، ص ص200-230.

[172] أنظر: لوت، هنري: **لوحات تسيلي**، تعريب: أنيس زكي حسن، ط1، 1968، مكتبة الفرجاني، طرابلس/ ليبيا، صفحات متفرقة.

المحليين -لا نستبعد أنهم التوارق- أطلقوه على هذه الجبال لاشتهارها بالحجارة المرسومة، حتى أن الفرنسيين يسمونها (الحجارة المكتوبة Pierres écrites).

7- جرمة (مدينة) والجرمنت (قبائل):

الجرمانتيون هم بناة الحضارة الصحراوية. وأطلال مدينتهم (جرمة) لا زالت قائمة حتى الآن، بين عدة قرى حديثة بمحاذاة وادي الحياة (وادي الآجال سابقا)، بالجنوب الليبي. ومعروف عن الجرمانتيين جنوحُهم للقتال والدفاع عن صحرائهم وملاحقة أعدائهم وحماية واحاتهم والذود عن مكتسباتهم الحضارية التي بلغت أوجّها في الألف الأول قبل الميلاد، فاشتهروا برمي النبال وركوب العربات التي تجرها الخيول الأربعة. وقد تعلّم منهم الإغريق العديد من الخصال، كما اتصلوا بالفينيقيين منذ مجيئهم الأول من الشام العربي، وتعاملوا معهم على صعيد التجارة وحراسة القوافل المرتحلة بين الشمال والجنوب.

أول من نقل أخبار الجرمنتيين هم الإغريق، وعلى رأسهم (هيرودوتس) الذي قال في إحدى إشاراته: "..**وبعد مسيرة عشرة أيام أخرى من أوجلة يوجد تل ملح آخر وينابيع وأشجار نخيل كثيرة محمّلة بالتمر، كما هي في الأماكن الأخرى، ويعيش هنا قوم كثيرون يدعون (الجرامنتس)**"[173].

واقع المكان الحالي لا يزال يؤيد وصف هيرودوتس له. حيث تنتشر الواحات المليئة بأشجار النخيل المحمّلة بأرقى وأطيب أنواع التمور. وهذا يعني أن الجرمنتيين كانوا يهتمون بشجرة النخيل ويعتمدون عليها في معيشتهم. والمعروف أن العربَ جميعاً يتّخذون من التمور غذاءً أساسياً لهم، لأن شجرتها تصمد في الصحراء كصمودهم. وهذا سر بقاء الجرمنت في صحرائهم قروناً عديدة من الزمن، وبنوا فيها حضارتهم الفريدة، فتميزوا عن سائر الأقوام بشجرة النخيل التي تجود عليهم برحيقها اللذيذ وثمرتها الطيبة، وتضفي على ديارهم ظلالها الوارفة. أصل اسم هذه المدينة: (جرمت) بجيم معطشة وتاء مطلقة. فأما الجيم فقد تستبدل بـ (غ) أحياناً وبـ(ق) أحياناً أخرى وذلك حسب اجتهاد العرب في تحويل حرف (g) اللاتينية إلى ما يقترب منها في الأصوات العربية. وهذا ما حصل مع العديد من الأسماء القديمة، مثل (أوغاريت، أوقاريت، أوجاريت) الكنعانية، و(أكاد، أجاد، أغاد) الأكّدية، وغيرها كثير من الأسماء والمسميات المنقولة أصلاً عن اللغات اللاتينية. وأما التاء فهي تاء التأنيث المعروفة قديماً (بفتحها) وحديثاً (بربطها)، وهي

---

[173] حُشيم، د.علي فهمي: **نصوص ليبية**، ط2، مزيدة ومنقحة، 1975، دار مكتبة الفكر، طرابلس/ ليبيا، ص55.

ظاهرة لا زالت تستعملها اللغات التي تكتب بالحروف العربية، كالفارسية والإردية والتركية (سابقاً)، مثل: (حريت= حرية، حكومت= حكومة، جريدت= جريدة)، حيث كانت التاء في اللغات القديمة منطوقة..

وعلى هذا الأساس يصير مصطلح: (جرمت) هو الاسم العربي لمدينة (جرمة). أما إضافة حرف (نون) على هذا المصطلح ليعبّر عن أصحابها فهي أيضاً من ظواهر اللغة العربية واللغات العروبية عامة، وهي نون الجمع، إلاّ أنه لا يبقى جامداً في العربية، بل يتحرك من مكانه بحسب تأثير النحو والصرف عليه. فإذا كان جمع المنتسب إلى (جرمة) في اللغات القديمة هكذا= جرمن، فأنه في العربية الحديثة هكذا= جرميون أو جرميين، جمع جرمي. ولكن القدماء جمعوه هكذا: (جرامنت) بنون الجمع وتاء التأنيث، وهذا ليس غريباً عن العربية، فقد تُجمعهم هكذا: (جرامنة) على وزن (غساسنة) و(مراونة) و(عمارنة)..

ولكن، لماذا (جرمة) و(الجرامنة)؟ وماذا يعني الثلاثي (جرم) في العربية؟ يقول ابن منظور في اللسان: "**الجَرْم: القطع. جرمَهُ يجرمَهُ جرماً: قطعه. وشجرة جريمة: مقطوعة. وجَرَمَ النخل والتمر يجرمه جرماً وجِراماً واجترمه: صرمه. فهو جارم، وقوم جُرْمٌ وجُرَّامٌ، وتمر جريم: مجروم. وأجرم: حان جِرامُه**"، "**والجَرام والجريم هما النوى وهما أيضاً التمر اليابس**"، "**والجرمة: القوم يجترمون النخل، أي يصرمون**"[174]، والصرام هو قطع الثمرة واجتناؤها من النخلة.

إذن فالجرمنتيون هم القوم الذين يجترمون النخيل ويصرمونه. وجرمة هي مدينة أو واحة جرم النخل والتمر. ويقابل (جرمة) جنوبي ليبيا (إسجلماسِن)[175] جنوبي المغرب الأقصى و(سجلماسة) في الجزائر، والسين في كليها مبدل من التاء، تمشيا مع ظاهرة (الوتم) اليمنية التي تبدل السين تاءً، مثل (النات)= (الناس)[176]. فتصير (سجلماس)= (تجلمت)، وبحذف تائي التأنيث تصير (جلم)= (جرم)، وهي واحة يُجلم ويُجرم فيها النخل. والـ(جلم) تعني القطع أيضاً، ونحن نسمي مقص جز الصوف (جلم)، لأنه يجلم ويجرم ويصرم ويقطع ويجني الصوف من جلد الشاة.

8- جنّولي وفرّوسي (فرق مقاتلة):

---

[174] ابن منظور، **لسان العرب المحيط**، مادة: جرم.

[175] القشاط، د. محمد سعيد: **التوارق عرب الصحراء**، ط2، 1989، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، طرابلس/ ليبيا، ص27. (واللفظ وارد في مخطوط لمحمد عبد الرحمن عبد اللطيف عن التوارق، وهو مثقف من توارق النبجر). وتسمى واحة سجلماسن الآن (تافيلالت)، أنظر: دبّوز، محمد علي: **تاريخ المغرب الكبير**، ط1، 1964، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة/ مصر، ص11.

[176] السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين: **المزهر**، ج1، ط؟، 1987، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت/ لبنان، ص222.

ذكرهما الكتّاب الكلاسيكيون على أنهما قبيلتان معاصرتان للجرمنتيين. وقد ورد إلينا الاسمان من مصادر أجنبية، عن طريق ترجمة إخواننا المصريين، وأن حرف الجيم مختلف على نطقه بين العرب أنفسهم، أي أن البعض ينطقه بجيم قاهرية غير معطّشة (Gatturi)[177] والبعض الآخر ينطقه بجيم معطشة (Jatturi). وقد انساق بعض المؤرخين المحليين وراء ما أورده العلاّمة ابن خلدون من ذكر القبائل (البربرية) فضمنّها قبيلة (جتالة) المستوحى -على ما يبدو- من الاسم القديم (جتولي). وفي اللهجة الليبية الحالية ننطق القاف جيما قاهرية غير معطشة، لذا يكتب هذا الاسم عندنا هكذا (قتّولي). أما (فَروسي) فقد وردت في المصادر اليونانية أيضا هكذا: (Pharusii)[178]، ولم يذكر ابن خلدون ولا غيره قبيلة بهذا الاسم رغم ورود الفرقتين ضمن تاريخ الجرمانتيين. وظاهرة الوزن (فعّولي) كثيرة في لهجتنا الحالية، مثل (حمّوري وخضّوري، وصغّوري وكبّوري، وحمّودي وعبّودي).. وغيرها كثير. وهذا ما يدعو إلى الافتراض بأن (قتّولي وفرّوسي) بعد إزالة تلك الظواهر المفرطة في المحلية يقابلان اللفظين العربيين (المقاتلون والفرسان). ولا يستطيع أحد إنكار صفة القتال والفروسية التي اتصف بها الجرمنتيون. ولا نعتقد أنهما قبيلتان منفصلتان عن الجرمنتيين، بل هما من الفرق القتالية ضمن النظام العسكري العام الذي أوجده الجرمنتيون في المنطقة. ويبدو أن هذه القبائل أو الفرق المقاتلة ، تمكّنت من التوغّل في اتجاه الشمال الغربي، حتى أن الجتّوليين استجاشهم (حنا بعل) في حملته المشهورة[179].

9- فزّان (إقليم):

اسم قديم للإقليم الجنوبي لليبيا. أورده الدكتور البرغوثي عن كتب الإغريق هكذا (Gamphasantes)[180]، ثم اختصر مع الزمن إلى (فزان)، وهو حوض ضخم تكثر فيه الواحات، وواحة جرمة سالفة الذكر من ضمنه. ويبدو أن الاسم مركب من مقطعين، ولا نعرف معنى المقطع الأول (Gam)، ولكننا قد نخمن بأنه يشير إلى الجمع والكثرة، ربما من (قام، يقوم= قوم)، أو (أقام، يقيم= إقامة) أو من (جام، جم= الكثرة)، وفي التارقية (كل= أهل) مثل (كل طرابلس= أهل طرابلس)، فالكاف والقاف والجيم غير المعطشة متشابهة ومتعاقبة، وكذلك اللام والميم (كل= كم = قم = جل= جم). أما المقطع الثاني (Phasantes) فربما يكون في الأصل (فز) باعتبار أن التاء للتأنيث والنون إما للجمع أو للتنوين وحرف (**s**) الأخير معروف في اللاتينية والإغريقية القديمة.

---

[177] البرغوثي، د. عبد اللطيف محمود: **التاريخ الليبي القديم**، ط1، 1971، دار صادر، بيروت/ لبنان، 140.
[178] البرغوثي: **نفس المصدر السابق**، ص139.
[179] أنظر: كامب: **مصدر سابق**، ص ص143-144.
[180] البرغوثي: **نفس المصدر السابق**، ص139.

والفزّ في العربية= ولد البقرة، والجمع= أفزاز، واشتهر بعض الليبيين قديماً برعاية نوع من الثيران تسير في مراعيها إلى الخلف بسبب ضخامة قرونها. أما إذا كانت النون مستبدلة بلام فإن (الفزل) في العربية= الصلابة، و(أرض فيزلة)= سريعة السيل إذا أصابها الغيث[181]، والصحراء الليبية كانت خصبة كثيرة الأودية في الزمن المطير، علاوة على صلابة أرضها قبل التصحر، فالحمادة مثلا أصلها قطعة صلبة من الصخر مكسوة بطبقة شبه رقيقة من الرمال المتنوعة، ويقول البعض أن الجرمانتيين منطلقين أساساً من الحمادة الحمراء، وهي كتلة صخرية تقع في الشمال الغربي من حوض فزّان.

10- قرزة (مدينة قديمة):

وأحياناً (غرزة) أو (جرزة) أو (غرزل) أو (كرزا) بحسب اللغات الواردة بها أو المترجمة عنها. وهي آثار قبور ليبية قديمة تقع بوادي زمزم في الجنوب الشرقي لمدينة طرابلس. ويذكر أن (قرزة) آلهة قديمة عبدها الليبيون القدامى. ويقول متتبعو الديانة المصرية أن الآلهة التي على هيئة بقرة التي ظهرت في لوحة (نعرمر) وُجدت قبل ذلك بثلاثة قرون في (جرزة)[182]. ويقول آخرون أن الاسم الوحيد لإله الشمس الليبي (**Gurzil**)[183]. وأن البكري ذكر لقبيلة هوارة آلهة يقال لها (كرزا) ترعى قطعانهم، وهي نفسها (قرزل). والقرزل في العربية= جمع الشيء، أو نوع من غطاء رأس الأنثى أو جمع شعرها فوق رأسها كالقُنزُعة وهي خصلة الشعر تُترك على رأس الصبي[184]. ويتفق المؤرخون على أن تلك الآلهة الليبية كانت تقبع على قمة رابية، أي كالقُنزُعة على رأس الصبي. وربما تعمد الهواريون وضع آلهتهم على قمة تلك الرابية حتى تتمكن من رعاية قطعانهم والإشراف عليها بصورة مباشرة.

11- هوارة (قبيلة):

وهي أيضا قبيلة من القبائل القديمة. ويقول الدكتور خشيم أن الهكسوس بنوا في مصر مدينتهم الجديدة (هور)، وعندما دُحروا جاء بعضُهم إلى ليبيا، وكانوا أول من أدخل الحصان إليها. وهنا أطلقوا عليهم اسماً مشتقاً من مدينتهم المصرية التي جاءوا منها: (الهواريين) أو (الهوارة). علاوة على أن (هور) أيضاً من الأسماء القديمة، مثل (أور) التي تعني المدينة أو المكان. وقد قيل أن

---

[181] إبن منظور. **اللسان**. مرجع سابق.

[182] إريك هورنونغ: **ديانة مصر الفرعونية**، ترجمة، د. محمود ماهر طه ومصطفى أبو الخير، ط؟. القاهرة/ مصر. مكتبة مدبولي. 1995. ص 102

[183] البرغوثي: **مرجع سابق**. ص 215.

[184] اللسان، وكتاب العين. مرجعان سابقان.

إبراهيم (عليه السلام) جاء من مدينة (أور) الكلدانية. ويسمي العبرانيون بيت المقدس (أور شليم) أي مدينة السلام. وربما (أور) أو (هور) تحولت إلى (حور) ثم (حارة) أي المدينة أو جزء منها. وفي اللغات العروبية القديمة يسمى الجبل (أرارات) وفي الأمازيغية (الميزابية مثلا: أورير) كما لو كانت تصغيراً لـ(أور)، حيث كانت الجبال مدناً للسكن زمن التجاء الإنسان إلى الكهوف. ومصطلح (هكسوس) تناقله المؤرخون على أنه اسم للملوك الرعاة الذين جاءوا من الجزيرة العربية إلى مصر. أما الدكتور خشيم فشرحه على أساس أن هذه الموجة البشرية التي أدخلت الحصان إلى مصر وليبيا هم (ملوك الخيل أو أصحاب الخيل) مستندا على اللفظ المصري القديم (حق، أو حك = حاكم): صاحب الحق ومُظهره، و(سوس= من ساس يسوس الخيل)[185].

12- ورفلة (منطقة):

وهي مدينة ليبية تقع شرق مدينة طرابلس. في الأصل (أورفلا)، وهي كلمة ليبية قديمة. وتتكون من شقين: الأول (أور) أي المكان، والثاني (فلا) أي ذهب واختفى. وتعني مجتمعة (المكان المنخفض)، وواقع حال المكان يؤكد انخفاضه حيث تصب فيه عدة أودية مثل وادي بني وليد وروافد وادي سوف الجين ووادي المردوم وغيرها. وسكان المكان يسمّون في -الغالب- باسمه: ورفلة، والمفرد ورفلّي، رغم أنهم من قبائل (بني وليد) التي سميت بهم المدينة. والغريب أن الكنعانيين هم أيضاً من سكان المكان المنخفض وإليه انتسبوا، لأن (الكنع) يعني (المكان المنخفض) أي السهل الضيق بين جبل لبنان والبحر المتوسط. وليس في هذا الأمر غرابة، فكثير ما تُنسب الجماعة إلى مكان تواجدها، مثل (الجبالي نسبة إلى الجبل) و(الجفاري نسبة إلى الجفارة) و(الساحلي نسبة إلى الساحل) و(الشطّي نسبة إلى الشاطئ)..

13- البُتر والبرانس (قبائل قديمة):

قسّم الليبيون القدامى أنفسهم إلى طائفتين (بتر وبرانس). تماماً مثلما قسّم العرب أنفسهم إلى طائفتين أيضاً (قحطانيين وعدنانيين)، ثم ظهر التمايز المشهور (يمنية وقيسية) أي جنوبيون وشماليون. والبتر (هم البدو) والبرانس (هم الحضر) أي جنوبيون وشماليون أيضاً. ورغم أنهم أرجعوا ذلك إلى أسماء أشخاص، إلا أن طبيعة اللفظين لا تشير إلى ذلك بقدر ما تشير إلى نوع اللباس الذي اشتهر به كل فريق. فالبتر اشتهروا بلباس قصير (أبتر) لا يغطى الساقين (كالجبة

[185] أنظر: خشيم: **آلهة مصر العربية**، مرجع سابق، ص85.

القصيرة والقشّابية[186] القصيرة والسروال القصير، وكذلك الجرد[187] القصير..)، ربما كان ذلك بسبب الاقتصاد في المواد التي تُصنع منها ملابسهم وندرتها باعتبارهم من البدو، إذ يكتفى البدوي -عادة- بحياة الكفاف والتقشف، كما ذكر ابن خلدون، أو مراعاة لظروف بيئية معينة. والبرانس اشتهروا بلباس (البُرنس)[188] المزركش الذي انفردوا به، ويشير ذلك إلى شيء من الترف الاقتصادي ورفاهة العيش باعتبارهم سكان الحضر. ولا تزال آثار النوعين متأصلة في لباس أبناء المغرب العربي الكبير حتى الآن.

وليس غريباً أن تُنسب المدن والأماكن إلى لباسٍ أو عادةٍ اشتهر بها سكانها وصارت مع الزمن خصوصية اجتماعية تميزهم عن غيرهم. فالأكاديون قبل دخولهم إلى بلاد ما بين النهرين بنوا مدينة في سوريا أسموها (كيش). ويذكر بعض المؤرخين أن الأكاديين نزحوا من اليمن، وكانت تشتهر بنوع من البُرد يقال لها (الأكياش اليمنية) وهي جمع (كيش)، وربما أصل الـ(كيس) منها مع إبدال الشين الشمالية بالسين الجنوبية. والتوارق أيضاً تعرضوا لمثل هذه الألقاب. فقد أطلق عليهم العرب اسم (الملثمين) لالتزامهم عادة التلثم، كما أطلق عليهم الأوروبيون اسم (الزرق) لالتزامهم لباس الأقمشة الزرقاء.

14- مدغيس (قبيلة):

وهو -في الأساس- اسم أحد الجدود الأول. فالشق الأول من هذا الاسم (مد) أو (ماد) يعني في بعض لهجات التوارق (ابن أو أبناء)، والواقع أن الأبناء امتدادٌ لآبائهم وأجدادهم. أما الشق الثاني (غيس) فهو في الأصل (قيس) بعد استبدال الغين بقاف، وهي ظاهرة لغوية عربية قديمة لا زالت في الخليج والسودان: (رغم= رقم، غلم= قلم، وغلب= قلب، قليل= غليل..). ومن الآثار القديمة لذلك: (الغرغرة= القرقرة، المغامرة= المقامرة، الغرة= القرة..). إذن، فالاسم (مدغيس)= (أبناء قيس). فقد دُكر أن قبيلتا صنهاجة وكتامة كانتا من ضمن القبائل التي استجاشها (افريقش بن قيس) اليمني لغزو أفريقيا. وقيل أن النعمان بن حمير بعث أبناءه إلى المغرب ليعمّروه. ويُذكر أحيانا (بر) الجد الأول أنه إبن ثميلا وأحيانا أخرى إبن قيس. وتلك الهجرات اليمنية كانت تحصل في أزمان متقطعة تشح فيها مياه اليمن وتتعرض سدودها للتصدع والتشقق والخراب، فينطبق عليهم في كل مرة القول المشهور

[186] القشّابية لباس صوفي مزركش للرجال.
[187] الجرد: رداء محليّ، يُصنع من الصوف، ويخص الذكور.
[188] البرنس رداء محليّ، يُصنع من الصوف أيضا، ملتصق به قلنصوة تُستعمل كغطاء للرأس، ويخص الذكور عادة.

(تفرقت أيدي سبأ). وتفرق الأيدي هنا لا يعني السير في اتجاه واحد وإنما في كل الاتجاهات، وكانت ليبيا إحداها في العديد من المرات.

15- صنهاجة وكتامة (قبيلتان):

فصنهاجة من (الصنج) والهاء فيها زائدة، وهي ظاهرة عربية قديمة، ويبدو في (صنهاجة) صيغة من صيغ الجمع مثل (جمّالة= أصحاب الجمال)، فكانت الهاء مسهّلة لتشديد النون= (صنّاجة). والصنج في العربية ضرب من الدفوف، وقد اشتهر النساء الجرمنتيات بالغناء الشجي، ويشتهر التوارق حالياً بصنوف الإيقاعات وآلاتها. وربما الأصل (صلهاجة)، لأن (الصلهج = صخرة عظيمة) والعرب يسمّون أبناءهم أسماء خشنة منها (صخر). أما (كتامة) فهي من (الكتمان والتكتم)، ويعترف بعضهم بذلك في المثل الأمازيغي المشهور عندهم: (الظل ولا الضالي)، ومعناه: **"أن يغشى الظل دارك لجدرانك الطويلة خير من أن يطلع عليك الجيران، ويضرب مثلا للتستر"**[189]. وقد استغل أبو عبد الله الشيعي هذا الاسم عندما التقى ببعض الكتاميين في الحج ودعاهم لمناصرة مولاه (المهدي) وطلب منهم التزام الكتمان حتى يحين الموعد، وذكّرهم بلقبهم (كتامة) أنه مشتق من الكتمان[190]. وهذا ما حصل بالفعل إلى أن قامت الدولة الفاطمية في الشمال الأفريقي بمساعدة كتامة وصنهاجة.

16- أوربة (قبيلة):

وهي أيضاً إحدى القبائل البربرية (المغاربية). ورغم ورودها في المصادر العربية القديمة لاسيما في تاريخ ابن خلدون، إلا أننا نشك في أن حرف الألف كان من نطق الأجانب السابقين لزمن ابن خلدون، ربما بعد اختلاط المغاربة بالأسبان في الأندلس. ويعلم الجميع مدى التأثير والتأثر الذي حصل في ذاك الزمن الطويل والمليء بالأحداث. ولا نستغرب أن أصل الألف كان عيناً (ع=**a**). بل أن ظاهرة استبدال الألف بعين ظاهرة عربية يمنية قديمة، وهي (العنعنة) في لغة قيس وتميم، حيث يجعلون الألف عيناً، مثل: (عذن= أذن..)[191]، ولا يزال بعض كبار السن عندنا متأثرين بذلك، فيقولون مثلا: (معتمر، أي مؤتمر). وقد يستغل المتعصبون لإرجاع اللغة الليبية القديمة إلى أصول هندوأوروبية هذا الاسم ويقارنونه باسم (أوروبا). ولا نستبعد أيضا أن اسم هذه القارة التي كانت

---

[189] محمد علي دبّوز، **تاريخ المغرب الكبير**. ط1. ط1. ؟. عيسى البابي الحلبي. 1964. ص 52.

[190] أنظر: د. السيد عبد العزيز سالم. **تاريخ المغرب الكبير**. ط؟. ج2. بيروت/ لبنان. دار النهضة العربية.1981. ص 595 و596.

[191] السيوطي: **مصدر سابق**، ص ص221-222.

مغطاة بالجليد حتى الألف العاشر قبل الميلاد، والتي توالت عليها هجرات من أصول آسيوية أطلق عليها اسم (هندوأوروبية) أو (آرية) نسبة إلى يافث بن نوح (عليه السلام) الذي كان نصيبه الهند حسب الأسطورة الشهيرة، لا نسبعد أن الاسم (أوروبا) أصله (عروبة)، لأن أصل سكانها من الشرق الذي كان مهد الحضارات ومنطلق الأقوام العربية التي عمّرت العديد من البقاع المجاورة لأراضيهم. وليس في الأمر غرابة فالعرب وصلوا إلى الصين منذ فترة سابقة لعهد الإسلام.

17- برقة (إقليم):

وهي منطقة الجبل الأخضر بشرق ليبيا، أمطارُها غزيرة وخيراتُها وفيرة منذ القديم، حتى أن الإغريق فضّلوها على غيرها. ويقال أن العمالة (برقة) التي سمي بها عاملقرط وأسرته أنها من (البرق) أو (البركة)[192]. ومشتقات هذا الاسم كثيرة في شمال أفريقيا خصوصاً ليبيا الحالية، مثل هذه الأماكن: البركة، والبركت، وبراك، والبريقة، والأبرق، وطبرق، وطبرقة (في تونس).. (وكلها فيها إبدال الكاف والقاف، والطاء والتاء). والبركة تعني زيادة الخير، والبرق يأتي بالغيث النافع وكله بركة. وعند إناخة الإبل يقولون (بركت) الناقة لأنها تحمل الخير والبركة لأصحابها. وفي تونس يقولون (برشة) أي كثير، وأصل الكلمة (بركة) كُشكشت كافها فصارت شيناً. وعندما يحصي البدوي رزقه يستهل العد هكذا: (البركة، إثنان، ثلاثة..)، وعندما يكتفي بالشيء يقول: (فيه البركة).

18- قورينا (مدينة قديمة):

وهي مدينة (شحات) التي أقامها الإغريق في الجبل الأخضر بليبيا. يقول البروفيسور (أندي لاروند) مدير مركز الأبحاث الخاصة بالآثار الليبية في إحدى تصريحاته لصحيفة الزحف الأخضر: **خطأ يقال مدن يونانية بالجبل الأخضر، ومدن رومانية بغرب ليبيا، ولكن الحقيقة هي مدن ليبية شيدها الليبيون..** وتصديقاً لهذا القول نرى أن اسم (قورينا) لم يكن إغريقياً، كما يذكر البعض على أنه يعود إلى (قوريني) مؤسس المدينة، والذي نعلمه هو أن (باتوس) أشارت عليه العرّافة بموحى (دلفي) بأن يحكم ليبيا، وهو المؤسس الحقيقي لهذه المدينة. لذا فإننا نرى أن اسم (قورينا) عربي قديم، يمكن إرجاعه إلى (قرية) مع بعض التحريف، مثل (أوغاريت= أوقاريت= قرية) و(قرطاجة= قرية حديثة)، هكذا حصل مع (قورينا= قرية). وهذا ليس بالأمر الغريب، لأننا نعتقد بأن الفينيقيين أقاموا فيها مرفئاً أو ميناءً قبل مجيء الإغريق إليها، فوجدوها باسمها الفينيقي.

---

[192] عبودي: **مصدر سابق**، ص223.

19- قرطاجة (مدينة قديمة):

تحريف تاريخي طفيف لاسم عاصمة الفينيقيين في شمال أفريقيا. فهو في اللغة الكنعانية: قرت حدثت، وتعريبها: قرية حديثة، القرية الحديثة التي استقروا فيها بعد فقدانهم قراهم الشامية: صيدا وصور وجبيل.. بسبب الهجوم المقدوني عليها. ومع الزمن انحرف الاسم من (قرت حدثت) ليصير (قرطاجة)، تماماً مثلما حصل مع مدينتهم القديمة: (أوغاريت) التي تعني أيضا القرية أو المدينة. وربما أسموها هكذا على غرار المدينة القديمة (أوتيكا)←(عوتيقا)←(عتيقة) القريبة منها.

20- بربر (قبائل شتى):

قيل في تفسير كلمة (بربر) الكثير: فمنهم من قال أنها من انتسابهم إلى جدهم (بربر بن تميلا). ومنهم من قال أن أفريقش بن صيفي قال لهم: (ما أكثر بربرتكم) فسموا بالبربر. ومنهم من قال إنما سموا هكذا لأنهم جاءوا من (البر البر). ومنهم من قال أن هذا الاسم مشتق من (بربااروس) التي تعني الصوت الذي يصدره الألثغ. ومنهم من قال أن الإغريق والرومان سموهم هكذا لعدم فهم لغتهم أو لأنهم أقل منهم حضارة. ومنهم من أرجعه إلى اللفظ السنسكريتي (وررا) ومعناه: (غريب). ومنهم من قال أن العرب -أثناء الفتح الإسلامي- أسموهم بهذا الاسم لاختلاف لغتهم..

وللوقوف على حقيقة هذا الاسم رجعنا إلى ما قاله قدماء المؤرخين الإغريق أثناء وصف دولتهم (قورينا) التي أقاموها في شمال شرقي ليبيا (الجبل الأخضر). ومن خلال ذلك تعرّضوا لذكر الليبيين باعتبارهم أصحاب الأرض الحقيقيين أو لأنهم جيرانهم على حد اعتقادهم. ماذا وجدنا؟

وجدنا أن الإغريق كانوا يطلقون اسمين على السكان المحليين، هما: (الليبيون) و(البربر). فقسّمنا كلامهم ورواياتهم إلى قسمين: الأول خصّصناه للنصوص الوارد فيها اسم (ليبيون)، والثاني للنصوص الوارد فيها اسم (بربر). فلاحظنا أن النصوص التي تشيد بالخصال الحسنة يرد فيها اسم (ليبيون)، مثل:

- إشارة الكاهنة إلى (باتوس) بحكم ليبيا.
- كلام عن صحة الليبيين وسلامة أجسامهم من الأمراض.
- استعارة الإغريق للدرع الليبي المصنوع من جلد الماعز.
- تعلم الإغريق فن الغناء من النساء الليبيات.

- تعلم الإغريق من الليبيين قيادة العربات ذات الخيول الأربعة.

- ذكر جغرافية المكان والإشارة إلى سكانه الأصليين.

- ذكر نوعية الثياب التي يرتديها الليبيون، واستعارتها من قبل الإغريق.

لم يرد في كل هذه النصوص كلمة (بربر) على الإطلاق، كدليل على أن الاسم الحقيقي للسكان الأصليين هو (ليبيون).

أما الجدول الثاني الذي خصّصناه للنصوص التي يرد فيها اسم (بربر) فكان يعتريه شيء من الإهانة، مثل:

- إن قبائل (الجرمنت) لا يتكلمون لغة معينة، بل هم يزعقون كالخفافيش.

- إن سكان الكهوف يحدثون أصواتا كالصراخ، وهم محرومون من الكلام.

- إن أهل (قورينا) يقاومون (البرابرة) الذين كانوا يعيشون أعلاهم بقوة.

- إن نبات (السلفيوم) انقرض بسبب إغارة (البرابرة) على (قورينا)[193].

- من ثم بدأ إسم (البربر) لصيقا بالليبيين، إلى أن وصل إلى الرومان فاعتبروه مناسبا لكل من هو أقل منهم حضارة ومدنية.[194]

نلاحظ -من خلال هاذين الجدولين- أن الإغريق كانوا يذكرون الليبيين باسمهم الحقيقي عندما تكون حدود دولتهم (قورينا) آمنة. أما إذا واجهوا أية مقاومة من قبل أهل البلد الحقيقيين، فهم ليسوا بشراً عاديين، بل برابرةً متوحشين.

علاوة على كل ذلك، فكلمة (بربر) ليس لها أصل لغوي تعود إليه، فهي تكرار لحرفين متتاليين، لا تخرج عن نطاق حكاية الصوت، مثل: زقزقة العصافير وخشخشة الأوراق اليابسة ورفرفة الرايات وبربرة الكلام.. وغيرها مما لا يجوز أن يسمى به شعب عريق مثل الشعب الليبي وحضارته التي دامت أكثر من ستة آلاف سنة.

21-أمازيغ (قبائل شتى):

يبدو أن قدماء الليبيين كرهوا لقب (بربر) الذي أطلقه عليهم الإغريق ومن بعدهم الرومان، وأصبح -فيما بعد- لصيقاً بهم، يردده المؤرخون كما لو كان أمراً مسلماً به، فاستنكروه -في زمن من

---

193 للمزيد يرجع لـ: خشيم، **نصوص ليبية**، صفحات عديدة ومتفرقة.

194 الصويعي، عبد العزيز سعيد: **أصول الحرف الليبي**، ط1، 1999، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة/ ليبيا، ص ص91-92.

الأزمان- وأرادوا توجيه الأنظار إلى لقب آخر يمحي ما علق بهم من (بربرية) وتوحش. حيث ظهر لقب (أمازيغ)، وقالوا أنه يعني في لغتهم (الأحرار). وعند تفحص هذا المصطلح تبين لنا أنه لفظ عربي (متبربر). وبالمناسبة فإن لفظ (بربر) لم يتمكنوا من (بربرته)، إذ لم نلاحظ أنهم أنثوه إلى (تَبَرْبَرْتْ) أو جمعوه بـ(يَبَرْبيرنْ) مثلا، فبقي على حاله منذ أكثر من ألفي سنة. أما الجذر العربي (مزغ) أو (مزق) فهو -كما شرحناه في كتابنا: **أصول الحرف الليبي**- يعني المنازقة والفروسية والشجاعة[195]، غير أن (بربرته) أبعدته عن صيغته العربية، فهم يقولون للمفرد المذكر: (مازيغ)، وللمفرد المؤنث: (تمازغت)، وللجمع: (يمازيغن)، أي فيها إثبات لتاء التأنيث ونون الجمع. وإذا عرّبناها لتشابهت: (مازيغ)= مازغ (فاعل)، (تمازغت)= مازغة (فاعلة)، (مازغن)= مازغون (فاعلون).

أما عن معناه فهو يكاد يكون واحداً في العربية و(البربرية)، لأن الرجل الفارس والشجاع يكون حراً بطبيعته. وهذا عكس ما ذهب إليه بعض (البرابرة) من أن (مازيغ) هو اسم جدهم الأول الذي قالوا أنه (مازيغ بن كنعان)، إلاّ أننا لم نجد في عمود الأنساب المنحدرة من نوح (عليه السلام) شيئاً من هذا القبيل. فهو صفة وميزة اكتسبها قدماء الليبيين، ولا يمت للأسماء والألقاب بأية صلة. وقد يؤيد رأينا هذا وجود اللفظ نفسه في اللغة المصرية والليبية القديمتين. فقد ترجم (بيتس) لفظ (مزغ MSK) إلى (snatch)[196] وهو فعل يفيد الانتزاع والاقتلاع، أو (pluck)[197] وهو فعل يفيد الشجاعة والعزم والإقدام. وفي كل الأحوال، فإن المعنى العام لهذا المصطلح يدور في فلك ما فسّرناه وأوّلناه عندما أرجعناه إلى مصدره العربي: (مزغ أو مزق) وقلنا أنه يعني المنازقة والفروسية والشجاعة، وكلها تتفق مع التفسير (البربري) القديم: (الرجل الحر)، كدليل آخر على أن كل اللهجات العروبية القديمة كانت تستمد جذورها من مصدر واحد وبنفس الكيفية.

22- توارق (قبائل شتى):

اضطربت أفكار المؤرخين في تفسير هذا الاسم وإرجاع أصحابه إلى أصول معينة. فمنهم من قال أنهم من قبيلة صنهاجة التي جاءت مع أفريقش بن صيفى. ومنهم من أرجعهم إلى طارق ابن

---

[195] الصويعي: **نفس المصدر السابق**، ص ص99-102.
[196] خشيم: **آلهة مصر العربية**، ج1، ص128.
[197] خشيم: **المصدر السابق**، نفس الصفحة.

زياد. ومنهم من أكد أن أصلهم الأول يعود إلى القبائل الجرمانتية القديمة، وغير ذلك كثير. لنناقش هذه الاختلافات بشيء من الفرز المنطقي والبحث العلمي الذي يقودنا أو يقرّبنا إلى الحقيقة:

أ- التوارك بالكاف، لأنهم تركوا الهداية. وهو تأويل ضعيف جداً لا يستند على حجة قاطعة، فهو لا يقل إهانة وتحقيراً عن لقب (بربر). وربما أخذ هذا اللفظ حرفياً عن الفرنسية التي تستعيض دائما عن حرف (**ق**) بحرف (**k**).

ب- الطوارق بالطاء، لأنهم طرقوا الصحراء، فهذا تأويل مقبول رغم ضعفه أيضاً، لأن كل العرب طرقوا الصحراء وانبثقوا منها، ولم يسموا هكذا. بل سموا عرباً، وهكذا حال الطوارق.

ج- الطوارق بالطاء، لأنهم يعودون إلى طارق بن زياد، وهذا أيضاً رأي ضعيف لا يعتمد إلا على سند واحد وهو مطابقة كلمتي (طوارق وطارق). فلماذا لا يكون طارق ابن زياد هو من أبناء الطوارق؟ لأن الاسم (طارق) هو محليّ -في الأصل- ولم يأت من الشرق مع العرب الفاتحين.

د- التوارغ بالغين، لأنهم يعودون إلى وادي تارغا، أو تارقا بجنوب ليبيا. وهذا احتمال مقبول. لأن تسمية الأقوام بالأماكن التي يرتادونها أمر معهود في التاريخ -قديمة وحديثة-.

ويعترف التارقي بهذه التسمية رغم جهله بها، تماماً مثلما يعترف (البربري) بتسميته دون أن يعي بُعدها التاريخي. حتى أن التوارق يتغنون بهذا اللقب، ويضعون له تفسيراً -ربما بطريقة غير مباشرة، أو دون قصد-، حيث اشتهرت عندهم أغنية تقول: (أنا التارقي، ولد التارقية، قاطع طريق، والصحراء ليّ). وقد يجد البعض حرجاً في ذكر كلمة (قاطع طريق). ونحن لا نراها هكذا، لأن الطريق مسافة، والمسافة تُقطع. إذ يقول العرب: قطعت المسافة.. ولا نرى فرقاً بينها وبين: قطعت الطريق، أي تجاوزته وبلغت آخره. وقطعُ الطريق في الصحراء ليس بالأمر الهيّن! وقد كان الجرمنتيون قبلهم يقطعون طرق القوافل ذهاباً وإياباً، ويحمون تجارة الفينيقيين.

ثانياً= أسماءُ أشخاص:

1- حنابعل (هانيبال):

اسم القائد القرطاجني/الليبي المشهور. نُقل اسمه من اللاتينية Hannibal، وعندما أعيد إلى العربية صار (حنّا بعل)، وهو مكوّن من مقطعين: (حنا) وتعني العبد المتعبّد الذي يكثر من الانحناء

والركوع لربّه + المقطع: (بعل) العروبية القديمة التي تعني: الرب والسيد. وبالتالي فاسم (حنا بعل) يعني: عبد الرب أو عبد الإله أو عبد الله.

2- عملقرت:

هو أيضاً قائد قرطاجني/ ليبي، أبو حنابعل. اشتهر بـ(عملقرت برقة) أو (هملكار برقة). وهو أيضاً اسم من مقطعين: (عمل) أي العامل على تنظيم الجيش أو الحاكم على كل (العمالة= المنطقة) أو العاهل. والمقطع الثاني= (قرط) أو (قرت) أي القرية أو المدينة. واللفظ إجمالا يعني= عامل القرية، أو عاهل المنطقة، أو رئيس الدولة.

3- عزربعل:

هو قائد قرطاجني/ ليبي، صهر عملقرت. والاسم أيضاً من مقطعين: (عزر= مساعد أو معين، من عازر: آزر، وزير..). والمقطع الثاني: (بعل= رب، سيد، إله). إذن فهو (مساعد الرب). وهو يشبه اسم: عزرائيل، و(إيل) تطورت إلى (إله) التي تطورت هي الأخرى إلى (الله) التي لا تنطبق إلاّ على الخالق الأوحد.

4- سبتيموس سيفيروس:

الإمبراطور الروماني الليبي/الأفريقي، عاشق الشرق. ولد سبتيموس سيفيروس بمدينة لبدة (قرب مدينة الخمس غرب مدينة طرابلس) الواقعة في منطقة سرت البونية. ورغم أصوله الرومانية إلاّ أنه كان (أفريقياً بكل معنى الكلمة). عني بشؤون القارة أيما عناية، وأدرك معاصروه بوضوح مدى حبّه لكل ما هو أفريقي. وكان كلامه لا يخلو من لكنة أفريقية، أي بونيقية. وعندما توفت زوجته تزوج من امرأة سورية (من حمص)، وأنجبت له أولادا كانوا خلفاءه. فعثر بذلك على ضالته بأحاسيس شرقية ونمط تفكير شرقي، حتى أن اللغة الآرامية لغة (جوليا) زوجته كانت قريبة من اللغة البونية التي يتقنها. وقد نصب أحد أبنائه عدة تماثيل للقائد القرطاجي (حنا بعل) كثأر له من الرومان[198] واعترافاً له بوطنيته وشجاعته الفذة. كما اهتم سبتيموس بإعادة إعمار مدينة (لبدة) مسقط رأسه، ولا يزال تمثاله قائما فيها إلى الآن.

---

[198] للمزيد حول حياة هذا القائد يُرجع إلى: غوتييه: **مصدر سابق**، ص ص92،94.

حكم سبتيموس بين عامي **193** و **211** بعد الميلاد، واجتاح سوريا سنة **194**، ونظّم إيالة ما بين النهرين في سنة **202**. ويبدو أنه تزوج من (جوليا) في حملته تلك، ومنها كانت له حاشية من السوريين، وجعل من بلاطه ملتقى النخبة الفكرية الشرقية، وشجّع العبادات الشرقية، وحاول قمع الديانة المسيحية..[199]

وبعد، هل يمكن أن يقال عنه كونه إمبراطوراً رومانياً خالصاً؟ بالطبع لا. فهو قائد أفريقي، بوني، ليبي، سرتي[200]. وقد يدل اسمه على ذلك، لنتفحصه:

في اللاتينية اسمه هكذا: (Septimius) أو (Septimos)، واللاحقة (**os**) هي في الأساس إغريقية تفيد التنوين أو تعريف الأعلام، إذن فالاسم غير منوّن يكون هكذا: (Septim). وحرف (**P**) هو في الأصل إغريقي مأخوذ عن الرمز الفينيقي الشبيه بحرف (**q**) مقلوب حرف (**P**)، واسمه (ريش) ويعبّر عن الصوت (ر) العربي، والإغريق أيضا نطقوه R. وإذا استبدلنا حرف (P) اللاتيني بنطقه الإغريقي R لصار الاسم هكذا (Sertim). ونلاحظ في بعض الخرائط القديمة أسماء بلدان مثل (Thera= Θhpa) وهي جزيرة ثيرا التي قدم منها الإغريق إلى منطقة برقة، و(Kvrene= Kupnvn) قورينا، الاسم المحلي لمنطقة برقة، و(Naukratis= Noukpatn) القرية الإغريقية في دلتا النيل بمصر، ونلاحظ في هذه الأسماء وغيرها أن الرمز (P) الإغريقي القديم يمثل الصوت (R) اللاتيني الحديث[201]. أما اللاحقة (im) في هذا الاسم فتفيد ضميراً متصلاً أو حرفاً للملكية أو الانتماء منوّن بحرف الميم (على عادة اللغات العروبية القديمة فيما عُرف بالتمييم)، وأصله= (سرتِيُن= سرتِيٌّ). وبالتالي يصير الاسم هكذا: (Sert-im) ، أي (السرتِيّ) نسبة إلى منطقة سرت أو سرتيا الكبرى، فينيقية المنشأ، ومسقط رأس سبتيموس، والتي عُرفت عاصمتها بـ(لبتس ماغنا).

أما لقبه (Severos) فهو غير منوّن أو غير معرّف: (Severe)، ويعني في اللاتينية (الصارم)، أو (الشديد). بذا يكون اسم (سبتيموس سيفيروس) العربي هو= (السرتي الصارم) أو (إبن سرت الشديد). وهذا ليس بالأمر الغريب، فمعظم الأسماء القديمة كانت عبارة عن ألقاب وكنايات تشير إلى أحداث معينة حصلت في زمن المسمى، أو صفة من صفاته، أو انتماء للأصل ومسقط الرأس. خصوصاً وأن اسم خليج سرت (أو سرتيا الكبرى) قديم قدم وجود الفينيقيين فيه، أي منذ أن بنوا عليه مرفأهم التجاري بين القرنين السابع والثامن قبل الميلاد. وربما يكون الاسم أقدم من ذلك

---

[199] عبودي: **نفس المصدر**، ص ص467، 468.

[200] أورد البرغوثي، **مصدر سابق**، ص 332 قائمة بالأباطرة الغربيون، فحظيت أسرة سبتيموس بعنوان: (الأسرة الأفريقية).

[201] للمزيد من الإطلاع على أسماء هذه الأماكن أنظر مثلا: الأثرم، د. رجب عبد الحميد: **تاريخ الإغريق**، ط2، 2001، منشورات جامعة قاريونس، بنغاري/ ليبيا، خريطة بالصفحتين 105 و106.

التاريخ، ففي المصرية القديمة وُجد لفظ (دشرت) وتعني الصحراء، وخليج سرت يمتاز بصحرائه الممتدة بين إقليمي طرابلس وبرقة منذ ذاك الزمان. أما حرف (R) الذي في (Severe) فيبدو أنه بات مستعملا في اللغة اللاتينية باعتباره لفظاً له مدلوله، ولم يكن اسم علم لا لمكان ولا لإنسان.

وهذا الشرح، يختلف مع ما ذهب إليه كل من الأستاذين الكبيرين: د. علي فهمي خُشيم، ود. محمد بهجت قبيسي. فقد ذكر الدكتور خُشيم أن (Septimus) مشتق من الرقم اللاتيني (Sept) أي (سبعة)[202]، فربما يكون لقباً له بمعنى (السابع)، ولكننا لم نجد في العائلة (السفيروسية) الأفريقية، أو غيرها من الأسر الحاكمة لروما أسماءً بهذا التركيب اللفظي تفيد الترتيب من الأول إلى السادس، ليكون (سبتيموس) سابعها. أما الدكتور قبيسي فيذكر صلة اسم (سبتيموس) بلفظ (سبط)[203] الذي يعني في الأساس: (قبيلة)، وورد في القرآن الكريم بهذا المعنى عند ذكر (أسباط اليهود). رغم ذلك يواصل الدكتور بهجت ويذكر اسمه كاملاً: (الإمبراطور العربي الكنعاني "سبطيم سفير"[204].

5- باتوس:

شاب إغريقي من جزيرة (ثيرا)، أشارت له العرّافة في موحى (دلفي) أن يحكم ليبيا. فراح يبحث عنها حتى وصل مع جماعته إلى الجبل الأخضر (برقة) بليبيا. فتأسست مدينة (قورينا) سالفة الذكر (شحات حاليا). كان (باتوس) أول ملك لها، ومن نسله جاء خلفاء آخرون يحملون نفس الاسم. ومثلما أوضحنا أن أصل اسم (قورينا) لم يكن إغريقياً بل كان ليبياً محلياً، فإن اسم ملكها كذلك أيضاً. لنتفحص هذا التحليل الذي اختصرناه من شرح قام به الدكتور خُشيم[205]:

في بعض اللهجات الأمازيغية الحالية (تانباطْ)، ويعني (السُّلطة)، وتاء التأنيث الأخيرة مُدغمة مع الطاء على عادة الأمازيغية (تانبطت). وبعد حذف الزوائد: (تاءي التأنيث، ونون الإضافة) نحصل على الجذر الثنائي (بط). وفي المصرية (بت) ومنها (بتي) على النسبة، وتعني: ملك، ملكية، سلطة. ودخلت إلى أسماء بعض فراعنة مصر قبل التوحيد مثل (بتي-نسو). وحين جاء الإغريق إلى الجبل الأخضر بليبيا، وأسسوا فيه دولة (قورينا)، اتخّذ ملوكها اسم (باتوس) المؤسس الأول: (باتو) مضافاً إليها (s) العَلمية أو التعريفية الإغريقية.. ويقول هيرودوتس أن هذه الكلمة ليبية.

---

[202] ذكر لي ذلك شخصيا في عدة لقاءات معه.

[203] شرح ذلك في كتابه (الكنعانيون والآراميون العرب في الإمبراطورية الرومانية)، وأشار إليه في كتابه: **ملامح في فقه اللهجات العربيات**، ط2، 2000، دار شمأل، دمشق/ سوريا، عدة صفحات بدءً من ص 179.

[204] قبيسي، د. محمد بهجت: **حضارة واحدة أم حضارات في الوطن العربي القديم**، ط1، 2006، دار طلاس ودار شمأل، دمشق/ سوريا، ص104.

[205] خُشيم، د. علي فهمي: **سِفر العرب الأمازيغ**، ط1، 1424 ميلادية، دار نون للطباعة والنش والتوزيع، طرابلس/ ليبيا، ص1-38.

لذا يكون الأصل هكذا: (باتو)= (بتو)= (بتي)= (بت)= (بط)= تانباطْ الأمازيغية. ونجد في العربية الجذر الثنائي (بط) يؤدي إلى معنى الشدّة والقوّة حين يُثلّث: (بطش)، (باطش). كما يُمكن إضافة الثنائي (بدّ)= (بدد)، وتعني في (اللسان) الطاقة والقدرة: (البِدّة)= القوّة، ومنها= (الاستبداد) و(المستبدّ).

الفصل الثاني:

خصائص اللغة (اللهجات) الليبية القديمة

ما يشبه القواعد النحوية والصرفية[206]

تمهيد:

لا يغربنّ عن البال أن سكان الكهوف الليبية في عصور ما قبل التاريخ، كانوا من أصل كنعاني عروبي، من بلاد جنوب الجزيرة وفلسطين[207]. وهذا يدعونا إلى الاعتقاد بوجود أثر كنعاني عروبي على لغة الليبيين الأولى. وكنعان هو ابن لاوذ بن سام بن نوح (عليه السلام)، وترجعه التوراة نفسها أحيانا أخرى إلى حام بن نوح[208]، وفي كلا الحالتين يكون أبناؤه وأحفاده قد عاشوا في زمن ما بعد الطوفان.

وإلى كنعان ينتسب كل العماليق الجبابرة الذين كانوا بفلسطين، ثم انتقل قسم كبير منهم إلى مصر وليبيا، أو إلى ليبيا ثم إلى مصر. وهذه قضية لم تُحسم إلى الآن، غير أن كثيراً من المؤرخين والمهتمين بالحضارات القديمة يرشحون أن هجرة الكنعانيين الأولى كانت في اتجاه ليبيا أولا، يقول (غوتييه): **"وإذا كان من الواضح أن طريق الحضارة قد سارت من مصر إلى المغرب، فلا يصح ذلك بالنسبة لما قبل التاريخ. فمهما كانت الحضارة المصرية قديمة فقد لزمها وقت من الزمن لتتكون فيه. ولعل سكان الصحراء قد هجروها** (أي هجروا صحراءهم) **في الطور الرابع بفعل الجفاف ليتمركزوا على ضفاف النيل. وقد دلت النقوش القديمة على التشابه بين المغرب ومصر. ولكن أيهما أثر في الآخر أولا، ابن الطوارق أم المصري؟ أغلب الظن أنه الطارقي، الجدّ الأول لأبناء الطوارق الحاليين"**[209].

وهذه الحيرة في أسبقية الحضارة بين ليبيا ومصر تتضح أيضاً في علم اللغة المقارن، حيث تتم دائما مقارنة الألفاظ المصرية بألفاظ ليبية. وقد أكد المؤرخون الأصول الكنعانية لسكان وادي النيل. وبالتالي فالمقارنة بين اللغة الليبية واللغة المصرية تكون منطقية، وذلك نظراً لانتمائهما للغة

---

[206] اعتمدنا في هذا الفصل على كتابنا: **أصول اللغة الليبية القديمة**، (مع إضافات وتعديلات)، ط1، 2003، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت/ لبنان، فصول متفرّقة.

[207] اكتشفت في كل من الجزائر وليبيا وفلسطين واليمن أربع جماجم متطابقة، أنظر: سعدي، عثمان: **عروبة الجزائر عبر التاريخ**، ط؟، 1982، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر/ الجزائر، ص11.

[208] نذكر هذا التنسيب ليس من باب القول بصحته، وإنما لتبيان التناقض الذي لا تخلو منه أسفار اليهود.

[209] غوتييه: **ماضي شمال أفريقيا**، تعريب: هاشم الحسيني، ط1، 1970، مكتبة الفرجاني، طرابلس/ ليبيا، ص33.

الكنعانية. غير أنهم يُدرجون اللغتين -أحياناً- ضمن العائلة (الحامية) في حالة فصلهما عن الكنعانية، ثم يدرجونهما -أحيانا أخرى- ضمن العائلة (السامية) في حالة مقارنتهما بالكنعانية. ولكن لا تهمنا -هنا- هذه الانتماءات غير الثابتة، بقدر ما تهمنا (عروبية) أو عربية اللغات الثلاث، وهي الأقرب للواقع والأكثر ثبوتاً.

واللغة الليبية (اللهجات الأمازيغية) لم يتح لها الارتكاز على قاعدة ثابتة تنطلق منها وتتطور على أساسها. ولا نقصد -هنا- القاعدة التاريخية، وإنما نقصد القاعدة العلمية التي تبنى عليها اللغات. فاللغة العربية -مثلا- كانت لها قاعدة تاريخية امتدت لآلاف السنين. ولكن قاعدتها العلمية والاصطلاحية لم تبنَ بوضوح إلاّ في عهد الإسلام، عندما اهتم بها المسلمون وقيّدوها بالضوابط العلمية التي وضعت لها حدوداً منعت عنها التغريب والتشريق، فاحتفظت بشخصيتها الخاصة بها طيلة الأربعة عشر قرناً الماضية.

كما أن اللغة العربية خرجت من طور اللهجة أو اللهجات القبلية، إلى طور اللغة التي تخلصت من كل ما يُساء فهمه ويُختلف في أمره. أما اللهجات فبقيت متأثرة ببعضها البعض أحياناً وباللغة الأم أحياناً أخرى، حتى اندثر بعضها وتغير مسار بعضها الآخر، وذلك بحسب الحفاظ عليها أو نسيانها كلياً أو جزئياً. فاللغة المصرية بقيت آثارها البعيدة متمثلة جزئياً في لهجة الأقباط رغم المؤثرات اليونانية عليها. أما اللهجات العربية القديمة فقد اندثر معظمها بذوبان قبائلها في المجتمع العربي الجديد الذي اتسع شرقاً وغرباً مع الفتح الإسلامي، ولم يبق منها إلاّ بعض الظواهر اللغوية والمفردات القديمة التي في لهجات سكان الجزيرة جنوبيها وشماليها.

أما في الشمال الأفريقي فقد احتفظ سكانه بلهجاتهم الأولى التي توارثوها أباً عن جد، والتي يعود تاريخها إلى بداية الوجود البشري على هذه الرقعة الممتدة من النيل شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، والتي أطلق عليها قدماء المصريين ثم الإغريق فيما بعد اسم ليبيا. وعندما ارتحل الكنعانيون (الفينيقيون) إلى أفريقيا الشمالية، اندمجوا في المجتمع الليبي القديم، ومن ثم لم تعد اللهجة الفينيقية لهجة فينيقية خالصة ولم تبق اللهجات الليبية القديمة لهجات ليبية خالصة أيضاً. وعلى هذا الأساس يشير البعض أن **"لهجات ليبيا من المحتمل أن يكون أصلها البعيد هو أصل اللغات (السامية)"**[210]. ويرجع البعض الآخر اللهجات الليبية إلى ثلاثة مصادر أساسية: **"اللهجة**

---

[210] جوليان، شارل أندري: **تاريخ أفريقيا الشمالية**، تعريب: محمد مزالي وبشير بن سلامة، ط؟، 1969، الدار التونسية للنشر، تونس/ تونس، ص5.

الزناتية (ليبيا وتونس والجزائر ما عدى لغة القبائل)، اللهجة المصمودية (شلح المغرب بجبال الأطلس وبلاد السوس)، اللهجة الصنهاجية (القبائل بالجزائر والطوارق بالصحراء)"[211].

من هنا، لا يمكننا أن نسمي اللغة الليبية لغةً بمفهومها المطلق، لأنها كانت لهجات تقترب وتبتعد عن بعضها البعض بحسب قرب وبعد القبائل الليبية. ولكنها -رغم كل ذلك- فهي متشابهة، تماماً مثل لهجات العرب الأخرى قبل الإسلام. يقول (جوليان): **"ولا شك أن هذه الوحدة قد ظهرت قديماً في ميدان اللغة، وقد لا يكون ذلك باستعمال لغة واحدة في البلاد كلها، في أغلب الظن باستعمال لهجات متقاربة تكون مجموعتها المسماة اصطلاحياً: الليبية"**[212].

ونظراً لاتساع رقعة الشمال الأفريقي، واختلاف مناخات مناطق الجذب، وتنوع النواحي التضاريسية.. تباعدت مراكز العمران مشكّلة فجوات شاسعة بينها، كما توغلت بعض قبائل البدو الرحل في أعماق الصحراء، في بحث دائم عن الكلأ والماء، والتجأ بعضها الآخر إلى المغارات والكهوف متخذين من الجبال سكناً ومستقراً. فصار -بذلك- لكل منها لغته أو لهجته الخاصة به. ولكنهم يتفقون في أساسيات لغوية معينة، وهذه أكبر مقومات وحدة أجدادنا الليبيين القدامى وأقوى مرتكزات حضارتهم.

في هذا الفصل لا يمكننا دخول اللغة الليبية القديمة من باب القواعد العلمية التي ترتكز أساساً على علوم النحو والصرف وما ينجر عنهما، لأن تلك اللغة لم تكن لغة بمفهومها العلمي الصرف، بقدر ما هي مجموعة لهجات منحُوّة ومصرّفة بطرق تضمن فقط توصيل المفاهيم بين أصحابها، دون الحاجة لتقييدها بالقواعد العلمية كالتي في اللغة. لهذا السبب نحاول دراستها من جانب الظواهر والخصوصيات والنظم الكلامية التي تميز تلك اللهجات عن اللغة العربية، وذلك في غياب معرفتنا باللغة الليبية القديمة. وقد أتاحت لنا اللهجات الأمازيغية الحالية فرصة تكوين فكرة عامة عن تلك اللغة المجهولة، والتي لا نشك مطلقاً بأنها كانت امتداداً طبيعياً للغات العروبية التي عُرفت في الشرق العربي، خصوصاً اللهجات العربيات التي ظلت لزمن طويل غير مقعّدة.

أولاً= أسماء اللغة الليبية القديمة:

يُطلِق التوارق على لهجاتهم اسم (تماشق)، وهو مختلف كثيراً أو قليلاً عمّا يسميها البعض (البربرية) تارة و(الأمازيغية) تارة أخرى. فأما الأولى فمستهجنة ولا تمتّ للوقائع التاريخية بأية

---

[211] صفر، أحمد: **مدنية المغرب العربي في التاريخ**، ج1، ط؟، دار النشر بو سلامة، تونس/ تونس، ص45.
[212] جوليان: **مصدر سابق**، ص66.

صلة، وأما الثانية فقد شرحناها في الفصل السابق تحت عنوان (أمازيغ) الاسم الحديث لسكان ليبيا القديمة. ولهذه الأخيرة علاقة متينة بلفظ (تماشق). فبعضهم -أي التوارق- يسمي نفسه (إيموشاغ)، بينما يكون الأصل (إيموزاغ) لأنهم ينطقون (الزاي) (شيناً). ونلاحظ هذه الظاهرة أحياناً في اللهجة الليبية الحالية، حيث يقال: (الشمس زرقت) أي (أشرقت)، ومنها فعل (زرق) أي (أفلت) كما تفلت الشمس من الأرض لتستقر في السماء! وفي نفس التسمية يُستبدل -أيضاً- (الجيم) بـ(زاي) فتصير (إيموجاغ) بدلاً من (إيموزاغ)، وفي العامية الليبية يقولون (زواز) بدلاً من (زواج) أو (جواز)، و(عزوز) بدلاً من (عجوز) وغيرهما..

ومن خلال دراسة هذا اللفظ تجدر الإشارة إلى ظاهرة تعاقب حرفي (الغين) و(القاف)، وهي ظاهرة توجد حالياً في العربية، تماماً كما وُجدت سابقاً في المصرية والليبية القديمتين وغيرهما، ولا تزال آثارها في لهجات الخليج العربي والسودان. ولهاذين الحرفين المتقاربين في النطق اختار التوارق رمزين متشابهين في الشكل، فقرروا للقاف (ثلاث نقط أفقية) وللغين (ثلاث نقط عمودية). هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد كانت اللغة الليبية القديمة -وكذلك لهجات سكّان المغرب العربي حالياً- تُؤنث أو تُعرّف المؤنث بالتاء في أول الكلمة. وعلى هذه الأسس نعود إلى لفظنا (تماشق) لنستبدل (الشين) بـ(زاي) ليصير (تمازق)، ونستبدل (القاف) بـ(غين) ليصير (تمازغ)، ونرفع عن أوله تاء التأنيث ليصير (مازغ). ويحدد سكّان المغرب العربي من ذوي الأصول الليبية القديمة تسميتهم بالـ(أمازيغ) بدلاً من التسمية القديمة الـ(بربر)، مفردها المذكّر (مازغ) أو (مازيغ) ومفردها المؤنث (تمازغت) وجمعها (يمازيغن) أو (أمازيغ). وبالتالي فإن تسمية التوارق للهجاتهم (تماشق) إنما هي نفسها (الأمازيغية) المنتسبة إليهم وإلى غيرهم من المتكلمين بهذه اللهجات.

ثانياً= الظواهر والخصائص في المجال النحوي والصرفي:

1- ظاهرة الابتداء بساكن:

رأى معظم الباحثين في اللغة الليبية القديمة أن ظاهرة الابتداء بساكن ظاهرة غريبة ومتميزة عن سائر لغات شعوب المنطقة. إلاّ أننا -إذا تفحصناها بعيداً عن فكرة الغرابة الراسخة في أذهاننا- لوجدنا أثر هذه الظاهرة في اللغة العربية نفسها. غير أن العرب -وهم قوم مشهود لهم بفصاحة اللسان- تداركوا الأمر وعالجوه في إبّانه. ربما حصل ذلك في زمن بناء اللغة العربية (الحديثة)، حين بدأت دعائمها الأولى تترسخ في اللهجة القرشية التي أراد لها الله أن يُرفع عنها كل العوائق

والظواهر المعرقلة للنطق والتعبير، فصارت لهجة قريش أفضل لهجات العرب على الإطلاق، فنُزّل بها القرآن الكريم.

ومثلما ذكرنا في الفصول الفائتة، فإن اللغة العربية (الحديثة) هي خلاصة كل المراحل السالفة، وثمرة تجارب الأولين، خصوصاً وأن (اللهجات) التي سبقتها كان معظمها ساكناً، أو أن السكون غالبٌ عليها. فانفتحت اللغة العربية، وتفتقت ألسنة أصحابها، وتميزت بالفصاحة عن سابقاتها.

أما في الشق الغربي للوطن العربي، مصر وشمال أفريقيا، فكانت لشعوبه تجربتهم الخاصة في هذا المجال. حيث أضافوا حرف الهمزة أمام كل كلمة مبدوءة بحرف ساكن، بقصد تليينها وتسهيل نطقها وتوصيلها مفهومة إلى أذن سامعها. وفكرة إضافة الهمزة، هي -كما يبدو- متفق عليها منذ القدم. فعديد من الألفاظ العربية -التي يكون ثاني حروفها ساكناً- تبدأ بهمزة، أسماءً كانت أو صفات أو أفعالاً، على أن يكون جذرها خاليا من حرف الألف أو الهمزة في أوله، مثل:

أ- **أسماء**: أرْجل = (ر ج ل)، إمْتحان = (م ح ن)، أُغْنية = (غ ن ي)..

ب- صفات: أسْمر= (س م ر)، أعْمى = (ع م ي)، أشْعر = (ش ع ر)..

ج- أفعال: أسْلم= (س ل م)، إجْتنب= (ج ن ب)، أُخْرج= (خ ر ج)..

د- أفعال أمر: أكْمل= (ك م ل)، إسْبح= (س ب ح)، أُكْتب= (ك ت ب)..

هـ- وتقلب الهمزة ياءً في المضارع: يدْخل= (د خ ل)، يقْبل= (ق ب ل)، يأكل= (أ ك ل)..

والملاحظ أن لهجات العرب المشارقة بقيت متأثرة بتلك الإصلاحات التي أجراها العرب قديماً على لغتهم، فلم تكن ساكنة مثلما هو الحال في لهجات العرب المغاربة. فقد حاولنا تلقين بعضهم أن يقول: (شْكارة) بشين ساكنة كما ننطقها نحن، إلاّ أنه يعيد في كل مرة: (شِكارة) بكسر الشين، ولم يستطع تسكينها!

على كل حال، الليبيون قديماً، وكذلك المصريون، أضافوا الهمزة لبعض مفرداتهم الساكنة، مثل:

أ- (**إدقي**) = (العامية: **دْقيق**)، وهي تسكين للعربية: (الدَقِيقُ).

ب- (**إدْييفْ**) = (العامية: **ضْعيف**)، وهي تسكين للعربية: (الضَعيفُ).

ج- (**إحْسد**) = (العامية: **حْسَدْ، حْسودي**)، وهي تسكين للعربية: (الحَسَدُ).

في هذه العينات، قد نلاحظ أن (الـ) التعريف مقدّرة تقديراً، ولم تدخل على اللفظ بصورة صريحة وواضحة، وهي من مميزات اللهجات المغاربية كلها. حتى وإن كان لها دور بارز فهو قليل، فلا تظهر إلاّ في ألفاظ (الأمازيغية) المأخوذة عن العربية حديثاً، مثل: **القرآن، الإسلام، الفرض، الوقت، الدباغ..**

وإذا أردنا معاملة هذه الألفاظ بالأسلوب السابق، لصارت مُعرَّفةً بالهمزة فقط دون مراعاة للام الشمسية أو اللام القمرية: **إقْرض** (قمرية)، **إدْباغ** (شمسية).

هذه الهمزة (وسميت هكذا، ربما لأنها تهمز الكلام وتلكزه لكي ينهض من جموده وسكونه ويتضح ويُسمَع ويُفهم!) لعبتْ دوراً كبيراً في نطق لغة قدماء الليبيين (الأمازيغية)، فاختير لها منذ البداية الرمز: (•)، وسميت نقطة (تاغريت)، وهي مؤنث (إغري) من (يغرو، يغار، تغري)[213] أو (يقرو، يقار، تقري)، أي (قرأ، يقرأ، قراءة). وبعد استبدال الغين بقاف -على عادة العرب والليبيين قديماً وحديثاً- يتضح أن (نقطة تاغريت) الأمازيغية، هي (نقطة القراءة) أو الهمزة العربية، التي تسهّل القراءة وتليّنها[214].

ولو اتفقنا على أن أثر هذه الظاهرة موجود في العربية والأمازيغية، فلا بد من الاعتراف بأن حاجة الأمازيغية للهمزة أكثر من حاجة العربية لها. لأن هذه الأخيرة لها حلول وخيارات بديلة، وهي حركات الشكل، مثل:

شَمس (مبدوءة بفتحة)، **ثُريا** (مبدوءة بضمة)، **لِحية** (مبدوءة بكسرة).

على عكس ما في الأمازيغية، مثل:

ثْفويْتْ (مبدوءة بسكون)= شمس. **ثْري** (مبدوءة بسكون)= ثريا. **ثْمارت** (مبدوءة بسكون)= لحية.

حتى وإن حُلّت مسألة الابتداء بساكن في (الأمازيغية) بإضافة الهمزة لتسهيلها، تبقى أيضاً تجربة قدماء العرب في تحريك بدايات الألفاظ قائمة للاستعانة بها. فماذا يضير الأمازيغية إذا نُطقت ألفاظها هكذا: (**تَفويت**) بفتح التاء مثل (**تَامطوث**)؟ نحن -هنا- لا نقترح ولا نضيف ولا نغيّر، ولكننا نُثبت رحابة صدر (البربرية) كما يؤكد أصحابها والمتعصبون لها، من أنها "**سلسة مرنة، تقبل كل الألفاظ الدخيلة (فتبربرها) فتصبح منها**"[215]. ولهم في ذلك تجارب سابقة، وذلك مثل "**إن عملية (بربرة) الكلمات عند (البربر) سهلة. إنهم إذا أرادوا أن (يبربروا) كلمة مقتبسة زادوا لها تاء مفتوحة في أولها وتاء ساكنة في آخرها. وإذا (بربروا) الدار قالوا (تدارت) والحانوت (تاحنوت). وقد يكتفون بزيادة التاء في آخر الكلمة، كالغابة فإنها في (البربرية) (الغابت) والجنة (الجنت). وقد يكتفون بزيادة ال في أول الكلمة**"[216].

---

[213] لهجة منطقة (فساطو) بالجبل الغربي بليبيا الحالية.

[214] أنظر: الصويعي، عبد العزيز سعيد: **أصول الحرف الليبي**، ط1، 1999، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة/ ليبيا، ص323 و324.

[215] دبّوز، محمد علي: **تاريخ المغرب الكبير**، ط1، 1964، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة/ مصر، ص49.

[216] دبّوز: **مصدر سابق**، ص60.

نلاحظ أن الألفاظ الأخيرة هي ألفاظ عربية مباشرة. وكذلك الإضافات التي دخلت عليها و(بربرتها) هي عربية أيضاً، فالتاء الأخيرة هي في الأصل (تاء التأنيث المربوطة)، والتاء الأولى فهي في العربية لا تكون إلاّ في الأفعال. أما استهلالها بـ(الـ) التعريف، فهي عربية أيضاً.
وبالتالي فإن الألفاظ المضافة للأمازيغية هي تدعيم واضح لنظرية انتمائها إلى أصول عربية.

أما الهمزة المفتوحة كأداة تعريف في الأسماء المذكرة، فيُعتقد أن أصلَها أداةُ التعريف القديمة (ها)، كما في العبرية وبعض اللهجات العربية البائدة[217]، وقد ظهرت أول مرّة في اللغة الآرامية، كما سبق الذكر في الفصل الثاني من الباب الأول لهذا البحث.

2- ظاهرة تاءات التأنيث:

بدءٍ ذي بدء، يجب الاعتراف -من الآن- بأن هذه الظاهرة هي عربية خالصة، والقول بخصوصيتها (الأمازيغية) باطل من أساسه. لأن تاء التأنيث المفتوحة هي من خصائص اللغة العربية (العتيقة) منذ نشأتها الأولى عند الأكاديين ووضحت عند الكنعانيين عامة، بعدما صارت الكتابةُ أبجدية مستقلةً، مثل: (**بعلت**)= مؤنث (**بعل**)= (رب). وفي المصرية أيضاً، مثل: (**دشرت**)= (الصحراء)، و(**إمنت**)= (اليمين)، حيث كانت تلك التاء منطوقةً.

وعرب الجاهلية -الذين ورثوا عن أسلافهم الكنعانيين وعلى الأخص الأنباط لغتهم- كانوا يسمون آلهتهم: (**اللات**)، وهي مؤنث لفظ (**الرب**) القديم= (**إيل، أل**). وعندما رُبطت تاء التأنيث، قالوا: (**آلهة**)= مؤنث (**إله**).

إن ربط تاء التأنيث جاء تلبيةً لمرحلة تحديثية قام بها العرب عندما بدأوا يكتبون لغتهم بالمداد، فهي -إذن- حركةٌ يدوية اختصارية أكثر منها قاعدة كتابية أو لغوية معينة، خصوصاً وأن عرب الجاهلية، وبالذات في فترة ما قبل الإسلام، وجدوا الكتابة متصلة الحروف بعدما كانت منفصلة.
فأول محاولة للاتصال قام بها الأنباط وثبّتوها قبل وصول الكتابة إلى عرب الجاهلية.

والواقع أن ربط التاء والهاء في آخر الكلمة يوازيها مدٌّ وتعريق في معظم الحروف الأخرى، مثل اللام والميم والعين والقاف وغيرها من خواتم الكلمات.. ولكنها لم تبتعد كثيراً عن رسمها الأصلي كما حصل مع التاء الأخيرة التي ابتعدت عن شكلها الأول نتيجة الربط، وكذلك الهاء.

---

[217] أنظر: خشيم، د. علي فهمي: **سِفر العرب الأمازيغ**، ط1، 1995، مطبعة الفاتح، مصراتة/ ليبيا، ص3-17.

إن هذا الربط لا ينطبق -في الغالب- على غير الأسماء والصفات، باستثناء جمع المؤنث السالم. أما الأفعال فتاءاتُها لا تزال مفتوحة وممدةً حتى الآن. وهذا الاختلاف أعطى فرصة تمييز الاسم من الفعل بسهولة. فصارت في علم النحو قاعدة لغوية، وليست فقط حركة يدوية إختصارية. ولا يمكن لأحد أن يتصور ماذا سيحصل إذا لم يتفطن العرب قديماً لهذه المسألة.

إذن، فالعربية لا زالت تعتمد تاء التأنيث في أول الكلمة، وفي آخر الكلمة، وفي أول وآخر الكلمة معاً، ولا تنفتح الأخيرة إلاّ في الأفعال.

مثل: - **تُغنّي** (في الأول)، **غنّت** (في الأخير)، **تَغنّت** (في الأول والأخير معاً). أما في الأسماء فهي مربوطة دائما، مثل: -**مغنية، غانية، غناية، أغنية**.. ثم تفتح في جمع المؤنث: -**مغنيات، غانيات، غنّايات، أغنيات**..

أما اللغة الليبية القديمة، فلم تتعرض لمثل هذا التطوير والإصلاح، فبقيت الظاهرة على حالها منذ آلاف السنين، نتيجة بعدها مكانياً عن بؤرة الحضارة الشرقية، ومركز الاهتمام باللغة العربية وتحسينها وغربلتها من الشوائب، فاحتفظ بها سكان شمالي أفريقيا واستعملوها في لهجاتهم حتى اليوم. غير أنهم كرّسوا هذه الظاهرة في الأسماء أكثر منها في الأفعال، مثل:

أ - في أول وفي آخر الكلمة، مثل: **(تفاوت)**= (النار)، **(تامورت)**= (البندقية)، **(توارت)**= (اللبؤة)..

ب - في أول الكلمة، مثل: **(تمطوث)**= (المرأة)، **(تزيري)**= (القمر)..

ج - في أخر الكلمة، مثل: **(ادّونيت)**= (الدنيا)، **(اجّنّت)**= (الجنة)، **(الغابت)**= الغابة..

وظاهرة تاء التأنيث في أول الأسماء ثابتة في القِبطية (بنت المصرية القديمة رغم التأثير اليوناني)، مثل: (ليي-أَلْويْ)= الولد، تُؤنث (ت-أَلْويْ)= البنت، و(ليي-إحي)= الثور، تؤنث (ت-إحي)= البقرة[218]..

وقيل أن التاء الأولى ليست خالصة للتأنيث، بل هي لتعريف التأنيث، كأنها تحل محل (الـ) التعريف العربية، أو أن أصلها (تا) كعلامة إشارة للمؤنث. إلاّ أن كثيراً من الألفاظ المؤنثة لا تبتدئ بتاء، مثل:

---

[218] أنظر: خشيم: **مصدر سابق**، 3-23.

- (**أقشابيت**)= (القشابية)، (**أزماليت**)= (الزمالة، العمامة)، (**نازيت**)= (الهضبة).. فهي تُسمع كما لو كانت معرّفة بـ (الـ) شمسية، فيُنطق الألف ولا تُنطق اللام، ربما بتأثير الـ (ها) التعريفية سابقة الذكر.

أما في الأفعال فيضيفون عادة حرف (هـ) في أول الفعل الماضي مع ضمير المؤنث الغائب، مثل:

- (**هطّسّ**)= (نامت)، (**هزّط**)= (نسجت)، (**هيّل**)= (بكت)، (**هدّلّك**)= (عجنت).. كما لو كان حرف (هـ) يمثل الضمير (هي) منحوت مع الفعل ومتصل به. وهي في العربية ممدودة بألف في آخر الاسم على هيئة ضمير متصل، مثل: **نومها، نسيجها، بكاؤها، عجينها..**

3- ظاهرة (الوتم) التي في اليمنية:

عُرف عن لهجة اليمن القديمة ظاهرة (الوتم)، وهي جعل التاء سيناً، كـ(**النات**= الناس)، (**الفرت**= الفرس).. وبما أن التاء والهاء كلاهما من أسرة واحدة، عاملها العربُ بنفس المعاملة في الربط إذا وقعت في آخر الكلمة، مثل في المذكر: (**كُرْهٌ، بَلَهٌ**).. وفي المؤنث: (**كُرَةٌ، بَلَّةٌ**).. وفي الضمير المتصل: (**قاله، كتابه**).. كما عامل البابليون -وهم من اليمن القديم- وكذلك المعينيون والأحباش، حرف الهاء بنفس (الوتم) الذي عند اليمن، فاستبدلوا الضمير المتصل (هـ) بحرف سين، مثلما حصل مع التاء. فقالوا: (**بيتس**= بيته). وهذا يعني أن هذه الظاهرة التي كانت شائعة في لهجات اليمن وصلت أيضاً إلى ليبيا وعمّت أنحاء المغرب العربي، فتأثرت بها بعض لهجاته. وها هي متأصلة في اللهجة الميزابية[219]، مثل:

- (**ماما**)= أم < (**ماماس**)= أمه.
- (**بابا**)= أب < (**باباس**)= أبوه.
- (**معجزات**)= معجزات < (**معجزاتس**)= معجزاته.
- (**ربي**)= رب < (**ربس**)= ربه.
- (**فرض**)= فرض < (**فرضس**)= فرضه.
- (**عيال**)= زوجة < (**عيالس**)= عياله، زوجته.

كذلك في ضمير الجمع المتصل (هم). والميم مبدل بنون (وهي علامة الجمع في اللغات القديمة)، والهاء مبدل بسين. وفي الأمازيغية يلتقي الحرفان (س) و(ن)، ويمثلان الـ(هـ) و(م)، مثل:

---

[219] اللهجة الميزابية: نسبة إلى وادي ميزاب بالجزائر.

- (**ماون**)= فم < (**ماوننسن**)= أفواههم= **سن**: هم، (لأن جمع ماون: ماونن).
- (**إقر**)= منخر < (**إفرنسن**)= مناخيرهم= **سن**: هم،(لأن جمع إفر: إفرن).

4- ظاهرة (الكشكشة) التي في ربيعة ومضر:

ورد في (المزهر للسيوطي): **"الكشكشة، وهي في ربيعة ومضر، يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شينا، فيقولون:** رأيتكش، وبكش، وعليكش"، **"ومنهم من يجعلها مكان الكاف ويكسرها في الوصل ويسكّنها في الوقف، فيقولون: منش، وعليش"**[220]. وعلّق شارح الكتاب بالقول: **"قال في فقه اللغة للثعالبي، وقرأ بعضهم: قد جعل ربش تحتش سريا. لقوله تعالى: قد جعل ربك تحتك سريا"**[221].

وبقيت هذه الظاهرة في بعض لهجات عرب الخليج، ليس فقط في كاف الخطاب، وإنما في كل كاف مهما كان موضعها في الكلمة، بل يضيفون قبلها حرف التاء لتأكيدها، مثل:

- (**تشلب**)= كلب، و(**متشان**)= مكان، و(**منتش**)= منك، و(**عليتش**)= عليك.. وتتكرر في لفظ واحد، مثل: (**متشانتش**)= مكانك، و(**تشلبتش**)= كلبك..

وهذه الظاهرة لا زالت أيضاً في العديد من اللهجات الأمازيغية. ففي اللهجة الميزابية مثلا، يقولون:

- (**ماما**)= أم < (**ماماتش**)= أمك.
- (**دين**)= دِين < (**دينش**)= دينك..

والغريب أن ضمير المتكلم المفرد ينطقونه (ك) بدلا من (ي)، وهي ظاهرة -وإن كانت غريبة عن العربية الحالية- فهي ثابتة في الأكادية، إذ يقولون: (أناكو= أنا). وفي الميزابية أيضاً:

- (**ماما**)= أم < (**ماماك**)= أمي.
- (**نيِّت**)= إخلاص < (**نيّتيك**)= إخلاصي..

5- ظاهرة (العنعنة) التي في قيس وتميم:

---

[220] السيوطي: **المزهر**، ج1، 1987، المكتبة العصرية، صيدا/ لبنان، ص221.
[221] السيوطي: **مصدر سابق**، هامش نفس الصفحة.

جاء في (المزهر للسيوطي): "**العنعنة، وهي في كثير من العرب، في لغة قيس وتميم، تجعل الهمزة المبدوء بها عينا، فيقولون في إنك : عنك، وفي أسلم: عسلم، وفي أذن: عذن**"[222].
وأيضا في وسطها، مثل: "**الكُثأة= الكُثعة، ذؤاف= ذعاف، السأف= السعف**"[223].

وهذا يقودنا إلى ظاهرة تعاقب (العين والغين)، مثل: "**عمجرة وغمجرة، وعَشَرّب وغشرب، وعبعب وغبغب..**"[224].

والقصد من التمهيد بهذه الظواهر، هو إثبات أن (الغين) في اللهجات العربية القديمة تُبدّل (عيناً)، و(العين) بدورها تُبدّل (ألفاً). لأن بعض اللهجات الأمازيغية تعتمد اللاحقة (نغ) كضمير متصل= (نا)، لأن حرف (الغين) يزيد حرف (النون) امتداداً صوتياً ينتهي بالانغلاق الحلقي، مثل:

- (**ماما**)= أم < (**مامانَغ**)= أمنا. نغ أو ناغ= نا، (غ= ع= أ).
- (**دين**)= دين < (**دينَنَغ**)= ديننا.
- (**نْبي**)= نبيّ < (**نبينَغ**)= نبينا.
- (**حالت**)= حالة < (**حالتنَغ**)= حالتنا.
- (**أولي**)= قلب < (**أولنَغ**) قلبنا، و(**أولننَغ**)= قلوبنا.

وقد يؤيد ما ذهبنا إليه وجود ظاهرة تعاقب (العين والغين) أصلاً في اللهجات الأمازيغية، مثل حرف الجر (على) فهو في الميزابية (**غَلْ**)، وعادة ما يكون متصلاً لا منفصلا، مثل: (**غلحالت**)= (على الحالة)..

6- ظاهرتا الجمع والتثنية:

يعتمد العربُ حرفَ (النون) كعلامة للجمع. والنحويون يسمونها: (نون الجمع) و(نون النسوة) كدليل على صلاحيتها لجمع المذكر والمؤنث. ويصرفونها في الأسماء والأفعال بحسب محلها في الإعراب، مثل:

- جاء المعلمون، رأيت المعلمين، المعلمون قادمون، الغلمان يلعبون، نحن أكلنا ونأكل (في أول الفعل)..
- المعلمات يخرجن، خرجن..

---

[222] السيوطي: **مصدر سابق**، نفس الصفحة.
[223] الكُثأة: دسم اللبن يعلو في الإناء. ذعاف: موت ذعاف، يعجل بالقتل. السيوطي: **نفس المصدر السابق**، ص463.
[224] عمجرة: تتابع الجرع. عَشَرّب: غليظ شديد. عبعب: صنم معروف لقضاعة. السيوطي: **نفس المصدر السابق**، ص552.

- غسل البنات ثيابهن، مرت السنون..

وتمتاز العربية عن سائر اللغات بالتثنية. ففي اللغات الأوروبية -مثلا- يبدأ الجمع بعد الواحد) بما في ذلك المثنى الذي لا تعترف به تلك اللغات. أما في اللغة **s**مباشرة، ويعبّرون عنه بحرف(العربية فيضاف حرف التثنية لنون الجمع: (الألف، في حالة الرفع. والياء، في حالة النصب والجر)، مثل:

- جاء **الأخوان،** رأيت **الأخوين،** (إثنان وإثنين).
- جاءت **المرأتان،** رأيت **المرأتين،** (إثنتان وإثنتين).

وفي الأمازيغية أيضاً حرف النون هو علامة الجمع، مثل:

- (**أجلّيد**)= الملك < (**اجلدان**)= الملوك.
- (**إيّار**)= شهر < (**إيّارن**)= شهور.
- (**إيجدل**)= الجدول < (**ايجدلاون**)= الجداول.
- (**أجنّه**)= السماء < (**أجنّاون**)= السماوات.

وقد لا تظهر (نون) الجمع في جمع التكسير، ولكنها تُثبت (الواو) كما لو كانت مرفوعة، مثل: (**أغبالو**)= عين الماء، وتُجمع (**أغبولا**)= عيون الماء، و(**أماياس**)= الفهد، وتُجمع (**إموياس**)[225].. أما في حالة التثنية فتضاف البادئة (سن) للجمع. و(سن) هذه تعني (اثنان)[226]، وهي عربية أساساً، لأن ثنائي إثنين (ث ن). ويقول ابن السكّيت في الإبدال: **"يقال: أتيته مَلْسَ الظلام ومَلْثَ الظلام: أي اختلاط الظلام. والوطس والوطث: الضرب الشديد بالخف.."**[227]، وسبب هذا البدل يعود إلى اختلاف نطقه بين اللغة العربية الشمالية: (س) واللغة العربية الجنوبية: (ث). لذا يكون الثنائي (سن) هو العربي (ثن) أي إثنان. وفي الأمازيغية يشار به إلى المثنى، مثل:

- (**إتري**)= النجم، (**سَنْ إتران**)= النجمان، أو إثنان من النجوم، لأن (إتران)= النجوم.
- (**إيّار**)= الشهر، (**سَنْ إيارن**)= الشهران، أو إثنان من الشهور، لأن (إيارن)= الشهور.

وهذه الظاهرة لا توجد في العربية بهذا الوضع، فالتثنية فيها متصلة بأخر الأصل المفرد: (نجم + آن = نجمان)، وهي عكس: (إثنان + نجوم = نجمان). إلاّ أن ذلك جائز في جميع لهجات سكان شمال أفريقيا، إذ يقولون، مثلا:

- (**زوز حمامات**)، أو (**جوج حمامات**)= حمامتان. (زوز أو جوج = زوج، أي إثنان).

---

[225] أنظر: خشيم: **مصدر سابق**، ص3-20.
[226] كذلك في المصرية القديمة: سنو= اثنان.
[227] أنظر: السيوطي: **مصدر سابق**، ص560.

- (**زوز نساوين**)= إمرأتان، (نساوين= نساء).

- (**زوز رجّالة**)= رجلان، (رجّالة= رجال)..

لذا، فوضع التثنية في الأمازيغية يميل إلى الصيغ العامية التي في اللهجات المغاربية الأخرى. وحتى في اللهجة المصرية يُقال: (جوز حمام) بدلا من (حمامتان).

7- ظاهرة إبدال الزاي بغيرها:

جاء في (المزهر للسيوطي): **"ومن الزاي والصاد يقال: جاءتنا زمْزمة من بني فلان وصِمْصِمة، أي جماعة. ونشزت المرأة ونشصت، والشرز والشرص: الغلظ من الأرض.."**[228]. وهذه الظاهرة شائعة أيضا عند العرب المغاربة اليوم، فيقولون، مثلا:

- (**إزّغار**)= الصغار، (**مزدوم**)= مصدوم[229]، (**لزقة**)= لصقة..

وفي اللهجات الأمازيغية كذلك. حتى أن الألفاظ العربية التي دخلتها بعد الإسلام طُبّقت عليها هذه الظاهرة، تماما مثلما فعلت اللهجات الأخرى غير الأمازيغية. وإذا كانت الأمثلة العربية الواردة في المزهر تصح فيها (الزاي) وتبطل فيها (الصاد)، لأن الشرص لغة في الشرز، فإن اللهجات المغاربية تعكس الآية. لنرى هذه الأمثلة في الأمازيغية:

- (**اتزاليت**)= الصلاة، (الأصل هي الصاد).

- (**أزومي**)= الصوم.

- (**أزعلوك**)= الكبير (الصعلوك).

وهذا يقودنا إلى الافتراض بأنه إذا روعي هذا الإبدال في ألفاظ أخرى لاتّضح أصلها العربي، وذلك مثل لفظ (يزيض) الذي يعني (الديك). ولو صيرناه بالصاد: (يصيض) لاقترب من العربية (يصيح) لشهرة الديك بالصياح، وتبقى مشكلة إبدال (الضاد) بـ(الحاء) قائمة.

ولقرب السين من الصاد في المخرج الصوتي، فهي أيضا في الأمازيغية تصير أحيانا زايا، مثل:

- (**إزّلوان**)= الأفراح، (السلوان).

وكذلك إبدال (الجيم) بـ(زاي)، وهي ظاهرة تكثر عند العرب المغاربة، فيقولون للعجوز (عزوز)، وللزواج (زواز)، وللجزيرة (زَزيرة) أو (دْزيرة). ومنها في الأمازيغية لفظ:

---

228 السيوطي: **مصدر سابق**، ص467.

229 هكذا عند العرب الأوائل، إذا وقع بعد الصاد دال أبدلوه زايا، السيوطي: **مصدر سابق**، ص474.

- (تزيري)= قمر (جزيرة)، لأنها كالجزيرة على صفحة السماء!

8- ظاهرة التعريف:

ألف ولام التعريف في العربية نوعان: (لام شمسية) و(لام قمرية). أما في الأمازيغية فتضاف إليهما تاءٌ لتعريف المؤنث، مثل:

أ- بلام قمرية، ترسم الألف وتُنطق، مثل:

- (**الهمّو**)= الهم.
- (**الجنّتْ**)= الجنة.
- (**الوقتْ**)= الزمان.
- (**الفايدتْ**)= الفائدة.

ب- بلام شمسية، تُرسم الألف فقط لأنها وحدها تُنطق، مثل:

- (**إمّشْركن**)= المشركون، (ابتعدت عن الأصل لأن الميم شُدّت).
- (**إضّوضان**)= الأصابع، (ابتعدت عن الأصل لأن الضاد شُدّت).
- (**أثّنيّت**)= الطريق غير المعبدة، لأن في العامية (الثنية).
- (**أدّونيت**)= الدنيا.

ج- بتاء التأنيث، مثل:

- (**تحجّامت**)= الحمامة.
- (**تمطوث**)= المرأة.
- (**تيزوين**)= الحسنوات.
- (**تجوريت**)= المشية، مؤنث المشي.

9- ظاهرة الأمر:

يصرف فعل الأمر في العربية مرة بألف ومرة بدونها، مثل:

- (أُنظر، إشرب، أدخِل).. و(قِفْ، قُل، كُلْ)..

وكذلك في الأمازيغية (الميزابية):

- (**أتفرجد**)= أنظر، العامية: تفرّج. أولاً= بألف:
- (**أقّل**)= إلتفِتْ.

- (**إثْسلمد**)= سَلّم.

ثانياً= بدون ألف:- (**داوّا**)= داوي.

- (**سو**)= إشرَبْ.
- (**شَقّ**)= إفتح، شُقْ.
- (**زال**)= صلّي.

10- ظاهرة حروف الجر:

حروف الجر عند العامة قد تتفق -في أدائها- مع العربية وقد تختلف عنها اختلافات طفيفة. وذلك بسبب الاختصار وسرعة التداول. فمن اللهجة العامية الليبية الحالية انتقينا الأمثلة التالية:

- (**عما**)= مع، مقلوب، (فلان جا عما علاّن)، وأيضا (مع علاّن).
- (**بروحي**)= لوحدي، بنفسي، (قعدت بروحي= بقيت لوحدي).
- (**عَ**)= مختصر على، فوق، (حطيتها عالطاولة= وضعتها على الطاولة، أو فوق الطاولة).
- (**ف**)= مختصر في ، (قعد فْحوشه= بقى في منزله).
- (**مـ**)= من، إخفاء النون (..مٌصبح= ..من الصباح).
- (**لـ**)= إلى، (..لليل= ..إلى الليل).
- (**زي**)= كـ، مثل، (راقد زي القطوس= نائم كالقط، أو مثل القط).
- (**بـ**)= سـ، سوف المستقبلية، (بيسافر غدوة= سيسافر غدا).

أما حروف الجر في الأمازيغية (الميزابية) فيتفق بعضُها مع العربية، ويختلف بعضها عن العربية اختلافات جوهرية، ويقترب بعضها الآخر أحياناً من العامية، وذلك بسبب الاستنباط التعويضي والاختراع المحلي الصرف الذي يكتسب خصوصية المكان والمجموعة المحدودة، فلا يعم ولا ينتشر، مثلما حصل مع القبائل العربية قديماً، عندما اكتسبت بالاتفاق خصوصية لهجات ليست عند غيرها. ونسوق بعض حروف الجر التي استطعنا استخراجها من قصيدة المولد النبوي الشريف التي أوردها الأستاذ (محمد دبّوز) مشكوراً في كتابه (تاريخ المغرب الكبير)[230]:

- (**أس**)= من، (أس مكة= من مكة).
- (**سَـ**)= بـ، (سَصْبَر= بالصبر).
- (**فِـ**)= في، (فِالدّونيت= في الدنيا).

---

[230] دبوز، **نفس المصدر**، من ص55 إلى ص58.

- (**فْوَ**)= على، (فْوَاسي= على من)، (فْوَ افْرَنسن= على مناخيرهم)، والملاحظ أن (فْوَ) تشبه (فوق) والقاف تُنطق في العامية المصرية ألفا.

- (**غلْ**)= على، (غَلْحالت= على الحالة).

- (**عنـ**)= على، (عنجال: أصلها: علجال، والمعنى: من أجل).

- (**أمْعَ**)= مع، (أمع اثنيّت= مع الطريق).

- (**أنـ**)= كـ، مثل، (أنجير= كالجير)، (أنتجنويت= مثل المطر).

- (**بْلا**)= بدون، بلا، (بلا تزاليت= بدون صلاة).

- (**د**)= سـ، سوف، ولكنها تلحق بالفعل الماضي لتفيد المستقبل، وأحيانا تكون ذالا معجمة، (يقّيمذ= سيبقى) يقيّم= أقام في الماضي، لأن الفعل الماضي مبدوء دائما بحرف ياء للمذكر، والدال تفيد المستقبل. (تلحقد= ستلحق)، فعل ماض مبدوء بتاء التأنيث وملحق بدال مستقبلية.

- (**د، أد**)= حرف عطف، وهي عكس دال المستقبل لأنها بادئة وليست لاحقة، (سَصْبر د الثبات= بالصبر والثبات)، (ماماس أد باباس= أمه وأبوه).

- (**دا**)= هذا، (دا سَّحّار= هذا الساحر).

- (**لكن**)= لكن، وهي عربية واضحة، (لكن سَصْبر د الثبات= لكن بالصبر والثبات).

11- ظاهرة استعمال النون للربط[231]**:**

تمتاز العربية باستعمال النون للربط بين وحدتين صرفيتين مثل نون الوقاية وتستعمل بـ(الأمازيغية) أيضا النون للربط، مثل:

- (**القش نتمطوث**)= ملابس المرأة.

- (**القش نوركاز**)= ملابس الرجل.

12- ظاهرة الضمائر المتصلة:

تشترك (الأمازيغية) مع العربية في الضمائر المتصلة أيضا، مثل:

- (**الخلاّت اطّسَنْ**)= النساء نمن.

- (**نتْشْ اطّسغْ**)= أنا نمت.

---

[231] سعدي، عثمان: **عروبة الجزائر عبر التاريخ**، ط؟، 1982، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر/ الجزائر، ص ص44-54 (فقد أورد فيها الظواهر التالية: استعمال النون للربط، الضمائر المتصلة، المشتقات التي تبدأ بالميم، ظاهرة -أنيت- وهمزة الوصل).

- (**نتاشا هطّسْ**)= هي نامت.

ومن الغريب أن (الأمازيغية) تشترك مع العربية في عدم ذكر ضمير متصل مؤنث للفعل الماضي، وإنما تكتفي مثل العربية بعلامة التأنيث، وهذه العلامة هي الهاء في أول الفعل. والهاء كالتاء أو من أسرة واحدة وتُستعمل للمؤنث.

13- ظاهرة المشتقات التي تبدأ بالميم:

ومن بين العناصر التي تشترك فيها (الأمازيغية) مع العربية بعض المشتقات التي تبدأ بالميم، مثل اسم المكان، مثال:

- (**تامردومت**)= المكان الذي يعد فيه الفحم الخشبي.

والتاء هنا لتعريف المؤنث. وقد أشار إلى الكثير من هذه الصفات المشتركة في البنية اللغوية بين (الأمازيغية) والعربية، العالم اللغوي الأمريكي (غرينبرغ) في كتابه (لغات أفريقيا).

14- ظاهرة (أنيت) وهمزة الوصل:

مما يؤكد أصالة اللغة (الأمازيغية) في جذورها العربية اشتراكها مع العربية في استعمال حروف (أنيت) المعروفة في العربية، وهمزة الوصل:

- (**اخسا ايطسْ**)= يريد أن ينام (الياء في أول الفعل).
- (**ياللا انّطّسْ**)= هيا ننام (النون بأول الفعل).
- (**اخسا اتّطّسْ**)= تريد أن تنام (التاء بأول الفعل).
- (**اخسا اضطسّغ**)= أريد أن أنام (الهمزة بأول الكلام).

ثالثاً= الظواهر والخصائص في مجال بناء الكلمة:

وردت ضمن الظواهر السابقة مجموعة من المفردات قمنا بشرح أو تأويل بعضها في إبّانه، ونعود إليها وإلى غيرها الآن لنتفحصها منفصلة عن جملها، علّنا نجد لها جذوراً عربية أو -على الأقل- فروعاً تقرّبها إلى تلك الجذور. ولنرى ما مدى تأثيرها وتأثرها باللهجات الدارجة المتداولة بين سكان المغرب العربي. ولنكتشف الخصوصية المحلية التي انفردت بها تلك اللهجات عن سائر لهجات العرب الأخرى.

اعتمدنا -في دراسة هذه الألفاظ- على رفع بعض الغموض الذي يكتنفها جرّاء السكون والدمج والصوت المنغلق، والتي يراها غير المتكلم باللهجات المغاربية عامة أنها صعبة القراءة والنطق:

اقتطفنا هذه الكلمات من قصيدة باللهجة الميزابية قيلت بمناسبة المولد النبوي الشريف، وهي مقيدة بالقوافي والتفعيلات المعروفة في علم العَروض[232]، وبعض الألفاظ الأخرى[233]:

1- أفعال:

- (**يلّولَد**)= وُلِدَ. (الفعل في الماضي المبني للمجهول، وحرف الياء دليل على الماضي، وكذلك على التذكير).
- (**تضْوا**)= أشرقت، وهي من الضياء. (فعل ماض، وحرف التاء دليل على الماضي، وكذلك على التأنيث).
- (**زال**)= صلّي. (فعل أمر من صلّى، فيه إبدال بين الزاي والصاد).
- (**اتْسَلْمَدْ**)= سلّم. (فعل أمر من سلّمَ، وفيه شيء من المستقبلية، لأن حرف الدال يفيد ذلك. اللفظ مبدوء بالهمز لأن التاء ساكنة).
- (**تُوليد**)= وُلِدَتْ، وتفيد: طلع البدر. (الفعل في الماضي المبني للمجهول، والتاء دليل على الماضي، وكذلك على التأنيث).
- (**تْشَعْشَعْ**)= تلألأت. (وهو فعل مستنبط من أشعة الشمس والقمر وكافة الأنوار). و(العامة يقولون: النور يشعشع، أي: يتلألأ= شعّ، يشع، شعاعا).
- (**انّاوي**)= نغني، (نحن). (فعل مضارع). (النوى: مقام موسيقي عربي، والناي: آلة موسيقية عربية. ونحن نقول للأغاني: غناوي).
- (**يمّوت**)= مات. (فعل ماض، والياء دليل على الماضي والتذكير معا، ومؤنثه: تمّوت).
- (**تَلْحَقْ**)= التحقت. (التاء الأولى للماضي والتأنيث).
- (**زَرْقد**)= الماء يسيل من النبع مثلا. (وفي العامية: يُزْرُقْ= يفلت، يمر بسرعة، يخرج من مكان ضيق. وماء النبع يخرج -يزرق- من فجوات ضيقة بين الصخور).

---

[232] نظّم هذه القصيدة الشاعر: باجو صالح، وشرحها: دبّوز: **مصدر سابق**، ص ص55-58.
[233] هي أمثال متنوعة: دبّوز: **مصدر سابق**، ص53،52.

- (**ثْشَقْ**)= انشقت. (فعل ماض، مؤنث).

- (**نجْمضْ**)= نتوقف عن مواصلة السير. (فعل مضارع. لاحظ بدايته بالنون. وأصل اللفظ: جمض، والضاد تُنطق أحيانا دالا أو بصوت كصوته، فتصير: جمد= نجمد أو نتجمّد، أي نتسمّر في مكاننا ونتوقف).

- (**يمّرْقد**)= حالة اليتيم ينام وحيدا. (في اللسان: إرقدَّ= إذا مشى على وجهه. وتعني أيضا: النوم والرقاد. وفي العامية تأمر المرأة صغيرها بالنوم: مرقد).

- (**إنْسَيِّبْ**)= نترك، (نحن). (وهي عامية واضحة. لاحظ النون: من حروف انيت).

- (**نْقّرّبْ**)= نقترب، نوشك، (نحن). (وهي عامية واضحة. لاحظ البداية بنون).

- (**آنْعادْ**)= نعود، (نحن). (لاحظ البداية بنون).

- (**إعوعِشْ**)= الديك صاح. (وفي العامية: الديك يدّن= يؤذن!. وعندما يصفق بجناحيه استعدادا للصياح فهو: يعوعش).

- (**اتفورجْ**)= شاهد، نظر. (العامية: تفرّج).

- (**إيبَدّلْ**)= تغير، تبدّل. (والفعل في الماضي).

- (**يدْبَرْ**)= مضى، أدبر. (وهي عربية خالصة).

- (**داوّا**)= داوي. (فعل أمر من داوى= عالج).

- (**اتشّفّعْ**)= اشفع. (فعل أمر من شفع).

-(**يطّاوَدْ**)= سيصل. (الدال: سوفية. يطّاوّ: يطأ بقدميه المكان المقصود).

- (**يخْدِمْ**)= عمل، اشتغل. (من الخدمة، وهي في العامية عادة).

- (**تحْما**)= اشتدت حرارتها. (وفي العامية: الشمس تحمى أو تسخن= تشتد سخونتها).

2- أسماء:

هنا- للمد وليست ضميرا متصلا، -- (**آرَبّي**)= اللهم. (تُسمع كما لو كانت: يا ربّي، والياء أي: يا رب).

- (**أدُّونيتْ**)= الدنيا. (مُعرّفة بلام شمسية غير منطوقة).

- (**أمّيدنْ**)= الناس. (النون للجمع= آمد مقلوب آدم: آدميون).

- (**اجّنْوان**)= السماوات، جمع: أجّنّا= السماء، (للاعتقاد السائد بأن مكان الجنّة في السماء).

- (**أجّنَّتْ**)= الجنة. (وهي عربية باستثناء التاء المفتوحة والتعريف بلام شمسية).

- (**تَجّنْوّيْتْ**)= المطر. (لأن أجّنّة= السماء، والمطر ينزل من السماء).

- (**ثْزيري**)= قمر، بدر. (وفيه إبدال بين الزاي والجيم= جزيري، لأن البدر عندما يكتمل يصير كالجزيرة في وسط السماء).

- (**أزّلْوان**)= الأفراح. (وهو مُعَرّف بلام شمسية. وفيه إبدال بين الزاي والسين= السلوان، السلوى والتسلية..).

- (**أنّيتْ**)= النية. (كأنها بلام شمسية. وتعني أيضا: الإخلاص).

- (**أثْزاليتْ**)= الصلاة. (وفيه إبدال الصاد بزاي).

-(**أزومي**)= الصوم. (وفيه إبدال الصاد بزاي. وتعني أيضا: رمضان).

- (**سَعْدِكْ**)= ما أسعدكِ. (والسعد هو الحظ، والمعنى: ما أقوى حظكِ).

- (**لَعْيالْ**)= الزوجة. (ومعظم المغاربة متفقون على هذا الاسم، وكذلك: العيلة والعايلة، لأن الزوجة هي أم الأولاد: العيال، وأم العائلة: العيلة).

- (**إيّارْ**)= شهر. (وأيار أحد شهور السنة. والجمع: إيارن).

- (**لِيتيمْ**)= اليتيم. (بلام مكسورة بدل اللام القمرية).

-(**نِيرْ**)= نور. (من أنار ينير نورا، لذا يكون إبدال الواو بياء مقبولا في اللهجة).

- (**ماونْ، ماين**)= فم. (من الجذر العربي: م و ن. والفم يموّن الجسم بالغذاء والماء. والمصدر: تموين، لذا يكون تعاقب الواو والياء مقبولا).

- (**تيغْمَسْ**)= ضرس. (لأنها تنغمس في الطعام -اللحم مثلا- عند قضمه ومضغه).

- (**إفْرنْ**)= مناخير الأنف. (في العامية يقولون: فلان ينفر خشمه، أي: يخرج المخاط من أنفه وينقيه. ويفرن في الأمازيغية: ينقي، والأنف جهازٌ لتنقية الهواء الداخل إلى الجسم. وفي اللفظ حروف مقلوبة: ينفر و يفرن).

- (**لْجير**)= الجير. (لام قمرية).

- (**صبْرْ**)= الصبر. (مبدوءة بسكون، كأنها لام شمسية).

- (**ثْباتْ**)= الثبات. (لام شمسية).

- (**لْيَقينْ**)= اليقين. (اللام الساكنة كأنها لام قمرية).

- (**أمان**)= ماء. (والعامة يسمون الماء: آمان).

- (**ايوريرن**)= جبال. (مفردها: أورير. و لفظ أور في اللغات القديمة يعني: الجبل والبناء والمدينة، لأن المساكن قديما كانت تُنحت في الجبال. وأور شليم= مدينة السلام).

دون غيره- يحكم بالجلد وما سواه).-- (**أجلّيدْ**)= الملك. (الجليل، الجلاد، ربما لأنه

- (**إيجدْلْ**)= جدول، حوض الماء حول الشجرة. (الجمع: ايجدلاون).

هنا- –- (**إثْناستْ**)= مفتاح. (إن قفل الباب بالمفتاح يوفر الحماية والأمن والأنس. والإسم مؤنث، والمفتاح يذكّر ويؤنّث).

- (**الهمّو**)= الهم. (كأنها مرفوعة بالضم).

-(**أبْريدْ**)= الطريق. (البريد= منازل على الطريق. واللام شمسية في أبريد رغم أنها قمرية في البريد).

- (**غفْلتْ**)= غفلة. (وهي عربية واضحة باستثناء فتح التاء).

- (**إمْشرَكَنْ**)= المشركون. (لاحظ نون الجمع).

-(**لْفايْدِتْ**)= الفائدة. (وهي عربية باستثناء فتح التاء وتسهيل الهمز).

-(**لْحالَتْ**)= الحالة. (وهي عربية بعد ربط التاء).

- (**مْلاقا**)= الملتقى. (وهي عامية واضحة).

- (**الإبْلا**)= المرض، البلاء. (وهي في العامية كل مصيبة، منها المرض).

- (**قنْطارنْ**)= قناطير. (النون الأخيرة للجمع، لأن المفرد= قنطار).

- (**اظّل**)= الظل.

- (**لْقايلِتْ**)= الظهيرة. (وفي العامية: القايلة= القيلولة).

- (**اصّيفْ**)= الصيف.

- (**تواساعتْ**)= واسعة، أو اتسعت.

رابعاً= الضمائر:

1- ضمائر منفصلة:

الضمائر في اللهجات الأمازيغية الليبية تُنطق من قبل أصحابها بصورة تبدو غريبة وبعيدة كل البعد عن الضمائر التي في اللغة أو في اللهجات العربية. ولكن بعد دراستها وتفحصها تتجلى حقيقةٌ كانت مخفية بين حروفها المركّبة منها. وتتمثل تلك الحقيقة في كون الضمير الأمازيغي مركّب بصورة لا نستطيع -حالياً على الأقل- تحديد مداها التاريخي ومصدرها التي أخذت منه. إلاّ أن المواد الأولية التي بُنيت بها تلك التراكيب هي نفسها التي بُنيت بها تراكيب الضمائر العربية الحديثة، ولها أثر في اللغات العروبية القديمة. فكان لنا فيها اجتهاد مبدئي، وذلك حسب الضمائر التي استخرجناها من اللهجات الأمازيغية المستعملة حالياً في مدن الجبل الغربي والصحراء الجنوبية بليبيا الحالية، وكذلك اللهجة الميزابية بالجزائر والعامية الليبية. وهذه اللهجات رمزنا لها بالرموز التالية: (جادو= **جد**)، (نالوت= **نل**)، (كاباو= **كب**)، (يفرن= **يف**)،

(زوارة= **زر**)، (توارق-أوباري= **تر-أوب**)، (توارق-آيير= **تر-آيير**)، إضافة لـ(الميزابية= **مز**)، والـ(العامية= **عم**):

بداية، نستعرض هذه الظواهر:

أ)- ترتكز كل الضمائر العربية على حرفين أساسيين، هما: **(ن)** و**(هـ)**.

- **(النون)**: في (**أنا، أنتَ، أنتِ، أنتما، أنتم، أنتن، نحن**)، مضاف إليها حرفا **(م)** و**(ن)** كعلامتي جمع: (**أنتما، أنتم، أنتن، نحن**)، والهمزة التي في بداية الضمائر الثلاثة الأولى جاءت لتسهيل نطق السكون الذي فوق النون الأولى، بدليل أنها حُذفت في **(نحن)** لأنها مبدوءة بنون مفتوحة.

- **(الهاء)**: في (**هو، هي، هما، هم، هن**) مضاف إليها حرفا **(م)** و**(ن)** كعلامتي جمع: (**هما، هم، هن**).

ب) - نلاحظ أن مجموعة (**النون**) الأولى كلها ضمائر خطاب، ومجموعة (**الهاء**) الثانية كلها ضمائر غياب.

جـ)- بالعودة إلى ظاهرة الجمع في اللغات (اللهجات) القديمة، نجد فيها تعاقب الميم والنون، وكذلك في حالة التثنية والتنوين (التمييم قديماً).. وبقيت آثار هذه الظاهرة في اللغة العربية، وبطريقة محرّفة قليلا في اللهجات الأمازيغية.

د)- بالعودة إلى مجموعة الحروف العربية، نجد أن حرفي التاء والهاء ينتميان إلى نفس العائلة الحرفية، بدليل أن العرب عاملاهما بنفس الربط في أخر الكلمة، ونطقوا التاءَ هاءً عند الوقف.

نلاحظ أن كل الظواهر السابقة متأصلة في الضمائر الأمازيغية، مثل:

- (**أنا**) = **نتّشْ** [جد] و[*زر*] و[*يف*]، **نِتْشي** [*نل*]: يرتكزان على حرف النون الذي في (**أنا**). أما حرفا (**ت ش**) فأصلهما (**ك**) نُطقت هكذا (**تش**) تبعاً لظاهرة الكشكشة التي عند قدماء اليمن. ويضيف الدكتور خُشيم أن هذا الضمير في: المصرية القديمة= (**إنك**)، وفي الأكّدية (**أناكُ**)، وفي الكنعانية (**أنك**)، وفي العبرية (**أنوكي/ أنوخي**)، وفي اليمنية القديمة (**أني**)، وفي لهجة طي العربية (**أنّهْ**)، وفي لهجة بلدة الحجرية في اليمن (**أناْ**) وفي العربية المضرية (**أنا**).. وهنا يتضح

أن الأصل (**نك**)[234]. فنُطقت الكاف في بعض اللهجات الأمازيغية (تش) وبقيت النون على حالها، كما ذُكر.

- (**نحن**) = **نِتْشِنْ** [جد] و[*زر*] و[*يف*] و[*نل*]: وهو مركّب من الضمير المفرد (**نتش= أنا**)+ (**ن الجمع**). وأصل (**تش**) كافاً مكشكشة، أي الأصل (نكن)، وقد تُبدّل الكاف بخاء= (**نخن**)، وفي بعض اللهجات القديمة تستبدل الحاء بخاء، وكذلك في اللهجة التارقية الحالية.

- (**أنتَ**) = **شِكْ** [جد] و[*نل*] و[كب]، **شِكّينْ** [*زر*]، **إنشِكْ** [*يف*]: جميعها يرتكز على حرف (**الشين**) القديم الذي أصله (**كاف**)، و(**ك**) المخاطب العربي الحديث، مثل**: بيتك، أمّك**..

- (**أنتم**) = **شِكْوَنْ** [جد] و[كب]، **شِكّنْ** [*نل*]: مركّبان من الضمير المفرد (**شك= أنتَ**)+ (**ن الجمع**). أما **نِكْنِيمْ** [*زر*] و **كِيِنْيُو** [*يف*] فهما مركّبان من (ك المخاطب)+ (ن أو م الجمع). وفي الأكّدية: في حالة الرفع (أتّنُ) وفي حالة النصب والجر (كُنوتِ)= إياكم العربية[235].

- (**أنتن**) = **شِكْمِتْ** [جد] و[*نل*]: وهما مركّبان من الضمير المفرد (**شك= أنت**)+ (**م الجمع**)+ (**ت التأنيث**). أما **نِكْنِيماتْ** [*زر*] فمُضاف إليها (**ات**) علامة جمع المؤنث السالم العربية.

- (**هو**) = **نِيتْ** [جد] و[*زر*] و[*نل*] و[*يف*]: يرتكز على حرف (**النون**) الذي في (**أنا**) العربي وهو أساس معظم ضمائر المخاطب، وكذلك الضمير الأمازيغي (**نتشن= أنا**) وهو أساس معظم ضمائر الغائب. ويضاف إلى حرف (**النون**) حرفُ (**التاء**) الذي يشترك مع (**الهاء**) في نفس الأسرة الحرفية كما سبق الذكر. وقد يؤيد هذا المذهب وجودُ حرف (**التاء**) في كل ضمائر الغائب كما سنرى، إذن فهو ليس للتأنيث. ويضيف الدكتور خُشيم أن هذا الضمير في المصرية القديمة (**نتف**)، والفاء مزيدة على (**نت**).

- (**هي**) = **نِيتّتْ** [كب] و[*يف*]: وهو مؤنث الضمير (**نيت= هو**)+ (**ت التأنيث**). وهذا دليل آخر على أن التاء الأولى أصلها (**هاء**)، أما الثانية فهي فعلا للتأنيث حتى وإن كان الضمير غائباً. وهذا الضمير في المصرية القديمة (**نتس**)، وفي الحبشية (**يئيتي**)[236]، وفي الأكّدية (**شي**) في حالة الرفع، و(**شِآت**) في حالة النصب والجر[237].

---

[234] أنظر: خشيم: **مصدر سابق**، ص3-40.

[235] أنظر: سليمان، د. عامر: **اللغة الأكّدية**، ط2، 2005، الدار العربية للموسوعات، بيروت/ لبنان، ص225.

[236] أنظر: خشيم: **مصدر سابق**، ص3-42.

[237] أنظر: سليمان: **مصدر سابق**، نفس الصفحة.

- (**هم**) = **نيتّنْ** [جد] و[كب] و[*نل*] و[*يف*]: وهو جمعٌ للضمير المفرد (**نيت= هو**)+ (**ن الجمع**). ونجدها في المصرية القديمة (**نتن**)، وفي لهجة سيوة (**انتاتّن**)، وفي التارقية (**سن**) وتقابل المصرية في إحدى مراحلها (**سن**) كذلك[238]. وفي الأكّدية (**شُنُ**) في حالة الرفع، و(**شُنُوتِ**) في حالة النصب والجر[239].

- (**هن**) = **نيتّنْتْ** [جد]: وهو مركّب من الضمير المفرد (**نيت= هو**)+ (**ن الجمع**)+ (**ت التأنيث**). أما **نِيثْنيات** [*زر*] فواضح فيه صيغة جمع المؤنث السالم (**ـات**).

__ملاحظة__: لا يوجد ضمير مثنى في الأمازيغية، فيكتفون بإضافة علامة التثنية (**سن**)، وهي من أصل الثنائي العربي (**ث ن**)= **إثْنان** (وفيها إبدال الثاء بسين). فيقولون لـ(هما) مثلا: نيتن ألسِنْ، أي (أنتم الإثنان)، لاحظ الـ التعريف في (ألسن).

2)- ضمائر متصلة :

اللاتينية مثلا - لا توجد فيها ضمائر متصلة، فهي كلها –في كثير من اللغات العالمية المعروفة منفصلة، علاوة على ورودها قبل وبعد الاسم، مثل: الإنكليزية (**My** son)، (Take **it**،) والفرنسية (**Mon** fils)، (Prend **la**). أما في اللغة العربية فلا يكون إلا متصلاً وملحقاً بنهاية الاسم، كذلك في اللهجات الأمازيغية:

- (**نا**) = **ـنغ**: وقـد شرحنا هذه اللاحقة عند الحديث عن اللهجة (الميزابية)، وقلنا أن (**الغين**) تزيد من انغلاق (**النون**) أثناء المد، إلى درجة أنها لا تُسمع بوضوح تام أثناء النطق. كما قلنا أيضا أن (**الغين**) مبدلة بـ(**العين**) المبدّلة أصلا بـ (**الألف**)، وهي ظواهر لهجية قديمة.

- (**ـه، ـها**) = **ـس**: وهي ظاهرة بابلية قديمة، تجعل من الهاء سينا، ثم ظهرت عند قدماء اليمن الذين عُرفت عنهم ظاهرة (**الوتم**) إذ يجعلون السين تاءً، مع ملاحظة أن التاء والهاء من نفس العائلة الحرفية، حتى أن التاء المربوطة تُنطق هاءً عند الوقف -كما سبق الذكر-. وفي بعض اللهجات مثل [كب] يُنطق هذا الضمير بهاء، مثل: **ـنيه** = (ـه، ـها).

- (**ـهم، ـهن**) = **ـسن**: (**س = هـ**) مشروحة أعلاه، أما (**ن = م**) فهي علامة لجمع المذكر والمؤنث. وأحيانا يضاف له (ت التأنيث) مثل: **ـسنت** =(هن).

---

[238] أنظر: خشيم: __**مصدر سابق**__، نفس الصفحة.
[239] أنظر: سليمان: __**مصدر سابق**__، نفس الصفحة.

- **(ـم، ـن)** = **ـن**=: وهي كالعربية تقريباً، لولا إبدال الميم بنون عند التذكير. وفي بعض اللهجات مثل [*نل*] يُنطق الضمير (**ـنكم**) بميم واضحة.

- **(ـي)** = **ـي**: وهي كالعربية تماما. إلاّ أنه في معظم اللهجات يُنطق هكذا: (**ـنو**) الواو بدل الياء.

- **(ـكَ، ـكِ)**= **ـكِ**: وهي كالعربية. وقد تختلف عنها الميزابية في إبدال الكاف بشين تماشيا مع ظاهرة (الكشكشة) اليمنية القديمة.

خامساً= الخلاصة:

من خلال ما قدّمناه في هذا الفصل، اتضحت لنا جملة من الحقائق، لم نكابد مشقة في التقاطها. لأن في كثرتها ووضوحها ما أتاح لنا تجميعها، وليس اصطيادها. وانتقينا منها ما يحقق لجميعنا اشتراكية البناء التاريخي والحضاري والثقافي للعروبة والإسلام.

فقد اتضح -بما لا يدعو مجالاً للجدل البيزنطي العقيم- أن لسكان الشمال الأفريقي صلات قوية وأصول متينة تربطهم بأصحاب الحضارات الأولى، التي اتفق كل المؤرخين والعلماء أن مسرحها كان شبه جزيرة العرب. فالليبيون هم أبناء عمومة الكنعانيين والفلسطينيين والشاميين واليمنيين والمصريين، الذين عمّروا سواحل وجبال وسهول وصحاري هذه الرقعة الواسعة الممتدة من النيل شرقاً إلى بلاد شنقيط غرباً، والتي أطلق عليها -منذ القديم- اسم (ليبيا).

إن قدماء الليبيين: هم أصحاب الرسوم والصور والكتابات (البيكتوغرافية) التي تمتلئ بها جبال جنوب ليبيا والجزائر. وهم بناة الحضارة الحجرية في كل من درنة وقفصة ووهران والدار البيضاء. وهم سادة الصحراء الكبرى من قبائل الجرمنت. وهم البونيقيون والقرطاجيون الذين قاوموا الرومان بشراسة فريدة اشتهروا بها. وهم النوميديون والموريطانيون الذين ساهموا في توحيد المغرب العربي الكبير تحت إمرة أغاليدهم. وهم الجمّالة راكبو الجمال، الذين دحروا الوندال. وهم أجداد طارق بن زياد فاتح الأندلس ومهيأ حضارة العرب الإسلامية في شبه جزيرة أيبيريا. وهم أبطال المعارك وقاهرو المحتل الأجنبي من إغريق ورومان وبيزنطيين وأسبان وفرنسيين وطليان. فبذلوا -في سبيل هذه الوطن- الأرواح والدماء، وحفظوها لنا كما أرادها الله أن تكون: عربية إسلامية.

وقد أكّد صلة اللهجات المغاربية الخاصة والعامة باللغة العربية جملةٌ من الشواهد اللغوية، من أصالة ونحت واشتقاق ونقل وتعريب ووضع.. وهي شواهد يكاد لا يخلو منها لفظ من ألفاظ تلك اللهجات.

كما تُوطّد تلك الصلة عدةُ قواعد لغوية كالجمع والإفراد والتأنيث والتذكير وتصريف الأفعال وعلاقة الضمائر بها، بصورة لا يمكن مطابقتها مع غير العربية.

علاوة على اشتراكها مع العربية في مخارج صوتية لا توجد عند أي قوم آخر خارج حدود هذه الوطن الممتد من المحيط إلى الخليج.

<u>الفصل الثالث:</u>

معاجم اللغة الليبية القديمة

المعاجم العربية-الأمازيغية

<u>تمهيد:</u>

اهتم الغربيون -وبخاصة الفرنسيون- بالتاريخ والثقافة الأمازيغية، وذلك منذ بداية التفكير في الاستعمار العسكري لبلدان شمالي أفريقيا وبعد الخروج منها. وكانت (اللغة) من بين تلك الاهتمامات. حيث ظهرت **"مجموعة من القواميس الأمازيغية الكولونيالية التي كانت تقابل اللغة الأمازيغية ولهجاتها العديدة باللغات الأجنبية ولاسيما الفرنسية والإسبانية والإنجليزية والهولندية والألمانية، وكان الغرض من وضع هذه المعاجم هو معرفة لغة الآخر قصد فهم ذهنيته ومعرفة طريقة تفكيره ومنطق كلامه قصد الاستعداد لاستعماره وتطويقه فكرياً واقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً"**[240].

وكان لزاماً على العلماء المحليين الأخذ بالمبادرة في تناول لهجاتهم بالبحث والدراسة، وعدم تركها لغيرهم، فهم أولى بشرحها وتفسيرها وتأويلها وتأصيلها، كما هم أولى بالحفاظ على مكتسباتهم الثقافية وموروثاتهم الحضارية والتاريخية. واللهجة -في البلدان المتخلّفة- لا تزال أكثر وثوقاً بعامة الناس من اللغة المقعّدة والمعقّدة التي لا يسبر أغوارها غير العلماء والمدرّسين والأدباء والمثقفين. فتظل اللهجة -في الشارع- قاسماً مشتركاً بين العالم الكبير والمواطن الأمّي البسيط. وهذا ما جعل الدول المتقدّمة تعمل على تلافيه والقضاء عليه، وذلك بتذويب الفوارق بين ما هو متداول في الشارع والسوق والبيت، وبين ما هو مستخدم في قاعات الدرس وقلاع العلم والدوائر الرسمية. أي تذويب الفوارق بين اللغة (language) واللهجة (dialect or slang) وتوحيد لسان الأمة كافة. وما يحزّ في النفوس ويدمي القلوب، هو أننا -في الوطن العربي- لا نزال منشغلين بـ(هذا لك وهذا لي)، نتنازع -وقد نتقاتل- حول تقسيم تركة التاريخ وإرث الأجداد، مما خلق فينا هذا التمايز المقيت والشقاق المميت، والذي سنورّثه -بدورنا- لأجيالٍ ستعاني من التذبذب والازدواجية والارتباك أكثر مما عانينا. وهذا ما يريده لنا العدوّ المتربّص بنا الدوائر.

لا نرى أي عيب في تجميع التراث ودراسة اللهجات وتجميع المفردات، ليس فقط من كل قطر أو بلد أو مدينة أو قرية أو قبيلة، بل ومن كل بيت وأسرة، في إطار الحفاظ على خصوصيتنا

---

[240] حمداوي، د. جميل: **<u>بيبلوغرافية المعاجم الأمازيغية</u>**، موقع: (www.arabrenewal.org).ص1

التاريخية والثقافية، في منأى عن ليّ عنق هذا التاريخ وتدنيس هذه الثقافة، وتفتيتهما إلى جزيئات سوف لا تراها الأجيال القادمة بالعين المجرّدة. ألا تكفينا هذه الفسيفساء وهذا التمزق حتى نضيف إليه ما يريد المتعصّبون إضافته. ففي المغرب العربي آلاف اللهجات العربية وآلاف اللهجات الأمازيغية (البربرية)، واللهجة الواحدة من هذه اللهجات تتفرع منها لهجات (أو لُهيجات) أخرى، وعلى سبيل المثال لا الحصر اللهجة الريفية في المغرب الأقصى لا يمكن دراستها منفصلة عن لهجات (بني عمور وإبقويان وبطوا وكزناية وكبدانة وقلعية وصنهاجة)[241]. فهل يمكننا اعتبار (الريفية) لغة، وسواها -مما ذكر- لهجات متفرعّة منها؟ وفي المقابل هل يمكننا اعتبار اللهجات العربية المتداولة في الجزائر -مثلا- لهجات متفرّعة من (اللغة الجزائرية)!؟ ورغم كل ذلك لا نرى غضاضة في دراسة أية لهجة من لهجاتنا شريطة أن يكون في إطارها العلمي المنزّه عن التعصّب الأعمى لأي منها، إلى جانب البحث عمًّا يقرّب، لا عمًّا يبعّد.

واستكمالاً للفصلين السابقين حول اللغة الليبية القديمة، نقدّم -في هذا الفصل- ثلاثة نماذج من المعاجم المخصّصة لدراسة وتصنيف اللهجات الأمازيغية، التي قلنا عنها أنها من بقايا اللغة الليبية القديمة التي استخدمت في شمالي أفريقيا في الزمن البونيقي. وحتى لا نزيد على الطين بلّة، تعمّدنا عدم الرجوع إلى معاجم أنتجها الأوروبيون، وركّزنا فقط على أساتذة أفاضل من هذا المغرب العربي الكبير، كان لهم دورُهم العلمي الفاعل في هذا الميدان ولا يزال.

النموذج الأول
(المُعجم العربي الأمازيغي)
للأستاذ (محمد شفيق) من المغرب الأقصى[242]

أولا= سيرته:

وُلد الأستاذ الفاضل (محمد شفيق) بمنطقة فاس بالمغرب، يوم 17 سبتمبر/ أيلول سنة 1926. درس في (آزرو)، وحصل على الإجازة في التاريخ وشهادة في التفتيش التربوي. وعُيّن مفتشاً عامّاً للتعليم سنة 1956، ثم مساعداً للتعليم سنة 1969، ثم عُين كاتباً للدولة لدى الوزير الأول سنة 1971، ثم مكّلفاً لدى الديوان الملكي، ثم عُضواً في الأكاديمية الملكية. وفي الفترة ما بين سنتي

---

[241] حمداوي: **نفس المصدر السابق**، ص4.

[242] شفيق، محمد: **المُعجم العربي الأمازيغي**، 3 أجزاء، منشورات أكاديمية المملكة المغربية 1993، 1996، 2000، الرباط/ المغرب.

2001 و2003 عُيّن عميداً للمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية. وفي سنة 2002 حاز على جائزة (كلاوس) للثقافة والتنمية من الأمير الهولندي (ألكساندر). وكان قد تعلّم على يديه الكثير من الطلبة المغاربة.

ومن مؤلفاته كتاب بعنوان (33 قرناً من التاريخ الأمازيغي). وإلى جانب المعُجم -صدد البحث- ألّف كتاباً بعنوان (44 درساً من البربرية). ومن نشاطاته الصحفية مشاركتُه في تأسيس مجلة (تيفاوت). وكان يدعو دائما إلى أن للمغرب (الأقصى) هويةً متعددةً. وقد عبّر عن ذلك في سلسلة من المقالات في بداية الستينات، كما اهتم في نفس السياق بالتاريخ واللغة الأمازيغيتين. ومن نشاطه السياسي أنه كان محررَ (البيان الأمازيغي) الذي وقع عليه 229 من النخبة الأمازيغية، وسُلّم إلى الملك (محمّد السادس) سنة 2001، ويدعو هذا البيان لإعادة الاعتبار إلى اللغة والثقافة والهوية الأمازيغية، وإلى إصلاح التعليم، وكتابة التاريخ المغربي من جديد، وتوظيف الأمازيغ في الأجهزة الإدارية.

ومن أقوال الأستاذ شفيق: **"الواقع أن للأمازيغ ثقافة خاصة بهم توارثوها عبر العصور منذ آلاف السنين، يصعب على الباحث أن يتتبع مراحل تطورها فيما يخص الجوانب المعتمدة للكتابة. واللغة الأمازيغية تخلّت عن أبجديتها منذ دخول البربر الإسلام، حسب ما تدل عليه القرائن، ولم يحتفظ بها إلاّ قبائل التوارق، غير أن حروفاً منها لا تزال تندرج في زخارف الزربية المغربية"**[243].

ثانياً= مقدمته:

وردت في المقدّمة التي استغرقت حوالي 130 صفحة مهّد بها الأستاذ شفيق لمُعجمه، عدةُ قضايا لغوية تستحق الدراسة والنقد، ولا نقول التصحيح والتصويب، فهذا ليس من شأننا، وإنما أردنا ذكرَ بعضٍ منها وإخراجه من قوقعه، وتوضيحه لأصحاب الشأن من أبناء المغرب -عرباً كانوا أو أمازيغ- ليحكموا بأنفسهم عمّا ترمي إليه مثل هذه المؤلفات والمعاجم من أهداف، لا ندري هل هي في صالح اللهجات الأمازيغية (البربرية) بحجة الحفاظ على الهوية الأمازيغية، أو بهدف تغليب اللهجات الأمازيغية على حساب اللغة العربية الفصحى ولهجاتها، تمهيدا للتخلّي عن كلّ ما هو عربي باعتباره إرثاً مكتسباً آن أوان خلعه! على حد قول بعض المتعصّبين. لتفحص هذه العيّنات:

---

[243]) 2008، وكذلك http://tawiza.com سيفاو، رشيد نجيب: **محمد شفيق.. لحظة انعطاف فى الفكر المغربى**، مقال منشور على موقع ()، 2008 www.aljazeera.net.2008 (:موقع الجزيرة معلومات حول المعني منشورة على

1- من خلال مقدّمته، يقول الأستاذ محمد شفيق أن معجمه -من الناحية الإنشائية- عبارة عن **"عملية استقراء للغة الأمازيغية من مختلف لهجاتها المنتشرة في شمالي أفريقيا من أقصاه إلى أقصاه وفي الصحراء الكبرى"** [ص7]. وهو -بهذا القول- لم يحدد بالضبط ماهية (اللغة الأمازيغية) وأيَّ اللهجات الأمازيغية الكثيرة تصلح أن تكون لغةً أمّاً أو رحماً لغوياً مناسباً لتوليد تلك اللهجات المنتشرة في المنطقة. هذه اللغة التي قررنا -منذ البداية- تسميتها بـ(اللغة الليبية القديمة)، إنما قصدنا العودة بها إلى زمانها القديم وتسمياتها القديمة فقط للدلالة على عمقها التاريخي. وقد لامس الباحثُ الدانمركي (Karl G. Prass) أطرافَ الحقيقة عندما أطلق عليها اسم (le protoberbere) [ص8] أي (البربية الأولى) أي الليبية القديمة، لأن (الليبية) مصطلح تاريخي قديم لقبت به القبائل المنتشرة على هذه الرقعة منذ عصر ما قبل الميلاد، وبالتالي فهو أسبق تاريخياً من مصطلح (الأمازيغية) الذي لم يظهر إلاّ في زمن قريب من الآن[244]. أما الصفة (بربرية) فلا تصلح أن توصف بها لغةٌ وثقافةٌ وحضارةٌ وتاريخُ سكّان شمالي أفريقيا (قدماء الليبيين) لما لهذا اللفظ من معاني الإهانة والتحقير والتجريح الصادرة -أساساً- من الأعداء القدامى: الإغريق والرومان.

في الشرق -وفي نفس السياق- يسمّي (Landsberger) لغة (دور العبيد) في بلاد ما بين النهرين بمصطلح (proto-euphrates) أي (الفراتيين الأوائل)[245]، ربما تحاشياً لتفضيل اللغة الأكّدية غير الموثّقة وقتها على حساب اللغة السومرية المدوّنة على ألواح الطين بالرموز المسمارية. وذلك استناداً على معلومات تاريخية تؤكد قدوم الأكّديين من شبه الجزيرة العربية منذ الوجود السومري في جنوب بلاد الرافدين. وعلى هذه الأسس سمّى المؤرّخون العرب تلك اللغة المجهولة بـ(اللغة العربية القديمة) أو (اللغة العروبية) أو (اللغة الجزرية) فقط لأنها قادمة من شبه الجزيرة العربية حسب ما تذكره المصادر الأجنبية قبل المصادر العربية حتى لا يُتهم المؤرخون العرب بالتعصب لـ(العروبة). أما هنا في شمالي أفريقيا فلا يمكننا قبول تسمية (اللغة الأمازيغية) بقدر قبولنا تسمية (اللهجات الأمازيغية) لأنها معاصرة ومن حق المتكلمين بها تسميتها بما يشتهون، حتى وإن كانت جذُورها مستمدةً من لغة قديمة سُمّيت تاريخياً بـ(اللغة الليبية القديمة)، وهي لغة لم تكن مكتوبة على نطاق واسع كما سبق الذكر، وليست لها شواهد كافية لدراستها كما حصل مع غيرها من اللغات العروبية الأولى كالأكدية والكنعانية والمصرية وغيرها. وفي إطار البحث عن تسمية تاريخية لهذه اللغة (الأمازيغية) المقترحة يستشهد الأستاذ شفيق بما أسماه الحسن الوزّان (أوال أمازيغ) [ص4]. ورغم أن (أوال) -ربما من (أوّل يؤوّل، أو قال يقول قولا وأقوالا)- تعني في الأمازيغية (لغة) أو

---

[244] على سبيل المثال أصدر الاستعمار الفرنسي في المغرب الأقصى قانوناً خاصاً بالبربر سنة 1930سمي بـ(الظهير البربري)، ولم يسموه بـ(الظهير الأمازيغي)، كدليل على عدم وجود اسم أمازيغ في المغرب حتى ذاك التاريخ.

[245] سليمان، د. عامر: **اللغة الأكدية**، ط2، 2005، الدار العربية للموسوعات، بيروت/ لبنان، ص23.

(لسان)، إلاّ أن الحسن الوزّان الذي لقب بالأسد الأفريقي (Léon l'Africain) لم يكن عالماً ولا مؤرّخاً بقدر ما كان رحّالة له مغامراته الخاصة به، وهي تميل إلى الطرافة أكثر منها إلى الوثيقة التاريخية.

أما إذا كان المقصود بـ(اللغة الأمازيغية) تلك التي استنبتتها (الأكاديمية البربرية) المنشأة في باريس سنة 1967 بهدف إحياء اللغة البربرية وكتابتها بالحرف اللاتيني[246]، فإن تلك الأكاديمية جاءت بلغة لا عهد للأمازيغ بها، وإنما كُرّست -على ما يبدو- لفصل سكّان الشمال الأفريقي عن لغتهم العربية ودينهم الإسلامي، بدليل استبدال تحية الإسلام (السلام عليكم) بـ(آزّول فلاون) ولا يعرف كثير من الأمازيغ كلمة (آزول)، أما (فلاون) فتعني (عليكم) أو (فيكم)، كذلك استبدال اسم الجلالة (الله) بكلمة (يَلّو)، فاستهجنها (البربر) وبقوا على ما كانوا يستعملون[247]. وبالتالي فإن هذه الأكاديمية وغيرها من المؤسسات السائرة في فلكلها تدعو للتفرقة والتمزق ولا تدعو للتوحّد ولمّ الشمل ضمن الإطار الأمازيغي ذاته.

2- يعترف الأستاذ شفيق باتفاق بعض الألفاظ الأمازيغية مع ألفاظ عربية، ويُنكر اتفاق غالبيتها بدون مبرر. على سبيل المثال يقرّ بأن اللفظ الأمازيغي (ئِمُّوت) يتفق صوتاً وتركيباً ودلالة مع اللفظ العربي (مات)، ويقول إنه وجده في نقوش بالتيفيناغ تعود إلى عهد الرومان [هامش ص11]، ويضيف أن هذا اللفظ يوجد أيضاً في اللغة المصرية القديمة، ويعلّق على ذلك بالقول: أنه نشر مقالاً سنة 1976 بعنوان (علاقة الأمازيغية بالعربية في جذورها الكبرى)، ونرى في هذا العنوان حقيقة علمية صادقة، حيث أن هذا اللفظ وُجد بنفس دلالته في الأكّدية بصيغة (ماتُ)[248] وتمييمها (ماتـُ م). كما ورد في المصرية القديمة مجدّراً هكذا: (م ت)[249]. ويتفق كثير من العلماء على أن اللغة الليبية الأولى أختُ المصرية القديمة.

أما إذا أراد الفصل بين لفظ أمازيغي وآخر عربي، فلا يذكر له أصلاً، بل يخصّ به الأمازيغية دون غيرها. يذكر مثلا مفردين قال عنهما أنهما أمازيغيان أصيلان. الأول (تاساروت) ويعني المفتاح [ص5]. ومراعاة للتطور الدلالي الذي يقرّه علم اللغة المقارن، نجد لهذا اللفظ مصدراً في العربية، مثل (سرط، سرطاً، وسرطاناً) بمعنى (بلع، استرط، ازدرد)، و(السراط)= السبيل، والعامة في الشمال الأفريقي يسمّون مجرى الماء بين البئر والشجر في المزارع (ساروت) أو

---

[246] سعدي، عثمان: **البربر الأمازغ، عرب عاربة**، ط1، 1998، دار الملتقى للطباعة والنشر، ليماصول/ قبرص، وبيروت/ لبنان، ص43.
[247] أنظر سعدي: **نفس المصدر السابق**، نفس الصفحة.
[248] سليمان: **مصدر سابق**، ص361.
[249] خشيم، د. علي فهمي: **آلهة مصر العربية**، ج1، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان مصراتة/ ليبيا، ودار الآفاق الجديدة، الدار البيضاء/ المغرب، ص146.

(ساروط) أو (صاروت) أو (صاروط) كلٌ حسب نطقه لصوتَي (السين والصاد) و(التاء والطاد)، ويقول ابن منظور أن (صراط لغة في سراط)، دليلاً على الاختلاف منذ القديم. وبالعودة إلى لفظنا نجد أن المفتاح يتّخذ سراطاً محكماً في قفل الباب، كما أن القفل يسترط المفتاح في جوفه. أما اللفظ الثاني، فهو (النـگافة) أو (النجّافة) بقاف معقودة أو جيم قاهرية غير معطشة، وفي العامية المغربية تتعلّق بـ(زفّ العروس). وقال: **"ما هي إلاّ صيغة معرّبة للكلمة الأمازيغية (تامنكفت) المشتقة من الفعل (ئنكف)"** [ص5]، ولم يكلّف نفسه عناء البحث عن جذر هذا اللفظ. ففي (لسان العرب) الذي سجّله ضمن مصادر مُعجمه، نجد أن (نجف) تعني (الرفع والرفعة والارتفاع). وفي حديث عائشة، رضي الله عنها: أن حسّان بن ثابت دخل عليها فأكرمته ونجّفته، أي رفعت منه. ومن عادة المغاربة إحضارُ (النجّافة) وهي امرأة تختص برفع شأن العروس، فتنجّفها إلى أن تُحمل على (العمّارية) وهي منصّة يحملها الرجال ليلة الزفاف، وأيضاً يسمّي المصريون المصباح الكهربائي المعلّق في السقف بـ(النجفة) بجيم قاهرية لارتفاعها ونورها المرتفع. لذا تكون الزيادة في (تامنـگفت) صيغة أمازيغية للجذر الثلاثي (نجف) العربي، وليس العكس.

3- يقدّم أستاذنا ألفاظاً أمازيغية أخرى يُفترض أن تكون قديمة (أي قبل الإسلام). وذلك مثل (تمطوث)= مرأة، و(أركاز)= رجُل، دون ذكر جذرهما العربي: (ط م ث) لأن المرأة وحدها تطمث، و(ر ك ز) لأن الرجُل ركيزة البيت وعمادها. وكذلك لفظ (بقباق)= إبريق دون ذكر خصوصية مثل هذه الألفاظ التي لا تخرج عن نطاق محاكاة الصوت، وليس بالضرورة أن تكون أمازيغية أو غيرها. وفي موقع آخر من مقدّمته يقول الأستاذ الفاضل: **"إن اللهجات الأمازيغية متفاوتة التمرس والاحتكاك باللغة العربية، وقد نتج من ذلك تفاوتاً في تبنّي الألفاظ العربية وإماتتها للكلمات الأمازيغية الأصلية"** [ص9]. وبهذا القول فهو يميت الأمازيغية تارة لتحل محلّها العربية، ويجعلها أصلاً دون الالتفات إلى أية علاقة لها بالعربية تارة أخرى. وإذا أراد أستاذنا حصر الألفاظ الأمازيغية المماتة بفعل تغلّب العربية عليها، فمن أين سيأتي بها؟

4- حملت الحماسةُ الأستاذ شفيق أن يزفّ إلى سكّان المغرب الكبير بشرى **"تأثير البربرية في تراكيب اللغة العربية** (ويقصد اللهجات العربية) **التي يتخاطب بها الناس في حياتهم العادية التي لا تكلّف فيها، وبالفصحى أيضا حينما يتفصّحون"** [ص6]. أي أن الأمازيغية أثّرت في اللهجة العربية المغربية وفي اللغة العربية. وهنا يعتبرُ اللغة العربية (لكنة) تشكل أبسط مميزات الإنسان المغاربي الثقافية التي استمدّها **"من الأرضية التي شُيّدت عليها حضارته الإسلامية، ولتنبهّه إلى ضرورة البحث عن مميزاته الأخرى الأكثر تأصلاً في نفسه وذاته"** [ص6]. وهو -بهذا القول- يفصل اللغة العربية عن الدين الإسلامي، كتناغم واضح مع ما ينادي به دعاةُ النزعة الأمازيغية من قبول للإسلام

ورفض للعروبة، بل ويمضي المتزمّتون منهم إلى اعتبار أن الأمازيغية (كينونة être) والإسلام (اكتساب avoir) تمهيداً لخلعه كما يُخلع القميص القديم المهترئ! وهذه إحدى الأهداف التي تتضح مؤشراتها وتُشتَمّ روائحها من خلال الحرب التي يشنها الغرب الآن على العروبة والإسلام.

وكدليل على عدم الثبات في الموقف والارتكاز على قاعدة تبرر تلك النزعة الأمازيغية المتعصّبة إشارتُه إلى اهتمام الفرنسيين باللهجات الأمازيغية، الذي رآه نابعاً فقط من حرصهم "**على إظهار الفوارق على حساب الجوامع، بغية الوصول إلى إقامة البرهان على أن القبائل متمايزة ثقافياً، وأن بعضها عدو للبعض الآخر ما دام يختلف عنه في النطق أو الجرس أو النبرة**" [ص7]. فإذا كان هؤلاء الفرنسيون يهدفون للتفريق بين القبائل الأمازيغية، فما هدف الأستاذ شفيق إذن؟ هل هو لتوحيد المجتمع المغربي، أم للتفريق بين عربه وأمازيغه؟ أم هو لتأجيج الصراع اللغوي داخل القطر الواحد؟

لا يُنكر أيٌّ مغاربي حركة التأثير والتأثر التي حصلت بين العاميات العربية والأمازيغية، وذلك بحكم الاختلاط والالتحام الذي دام أكثر من أربعة عشر قرناً، وليس بالجوار كما يدّعي البعض. ما بالك في التبادل الثقافي بين القبائل المهاجرة من فلسطين والشام قبل الميلاد، ومن جنوب الجزيرة بعده، والاختلاط مع قدماء المصريين لعدة قرون قبل الميلاد. ومن هذه المؤثرات نذكر -على سبيل المثال- بعضَ ما يمكن تسميته بالتأثير الحاصل، ومنه ما لم يلتفت إليه أستاذنا:

<u>أ-</u> ظاهرة الابتداء بساكن، وهي ليست خاصية أمازيغية (بربرية) وإنما هي من ضمن خاصيات اللغات واللهجات القديمة المعروفة بسكونها وجمودها، وذلك قبل أن تتحرك وتُصوّت وتُمد وتصير واضحة للسامع، كما حصل في الجزيرة العربية في العصر الجاهلي، عصر الفصاحة والبيان والشعر والخطابة وطلاقة اللسان.

<u>ب-</u> إضافة اللاحقة (os) التي يبدو أنها تأثيرٌ إغريقي/روماني على اللغة الليبية الأولى، حيث يسمّي المغاربة الهرّ أو القطّ (قطّوس)= (قط + أوس)، وفي بعض اللهجات التارقية (قاطس). وثمر التين، وشجرته (كرم، مفردها: كرمة) يسمّونه (كرموس)= (كرم + أوس). وغطاء الرأس (كبّوس)= (كاب + أوس)، والكاب أو القاب في العربية الرأس والرئيس..

<u>ج-</u> نفي الفعل في العامية العربية هكذا (ما ريت ش) أصلها في الفصحى (ما رأيت شيئاً)، فدخلت هذه الـ(شي) في أسلوب النفي: (ما ريتو ش)= (ما رأيته شيئاً) بمعنى (لم أره). وقد فقدت كلمة (شيء) معناها فصارت (الشين) المجتزأة منها أداة نفي حتى للأفعال اللازمة غير المتعديّة إلى مفعول، مثل: (ما نام ش)= لم ينم. كذلك في اللهجة الأمازيغية: (أور سويغ شا) على وزن (ما شربت ش) بمعنى (لم أشرب).

د- أما في المجال المعجمي، فإن المغاربة العرب يستعملون -على سبيل المثال- مع الفعل (جلس) فعلاً قد لا يوجد في الشرق باستثناء عند بعض الصعايدة في مصر، وهو (قعمز) بقاف معقودة. وفي اللهجة الأمازيغية (ئقعمز)= جلس، ويُعتقد أنه أمازيغي الجذر. بينما نجد جذره الثنائي العربي (ق ع) ومنه: قعد، قاع، قعر، قعص، وقع.. وكلها تفيد الاتجاه إلى أسفل. وفي ابن منظور: تكعمز الفراش إذا انتقضت خيوطه واجتمع صوفه، ربما من كثرة الجلوس عليه. والكاف مبدلة من القاف أو أنها تُنطق كافاً فارسية، أي قافاً معقودة. وبالتالي فإن التأثير متبادلٌ بين عامّيات المغرب العربي الكبير دون المساس باللغة العربية الفصحى لأنها محصّنة بالقرآن والسنة، من جهة، ومحميّة بقواعد النحو والصرف، من جهة ثانية، فحافظ عليها المغاربة عرباً وأمازيغ طيلة القرون الماضية.

5- يعترف الأستاذ شفيق بأن كتابة التيفيناغ انتهت منذ اثني عشر قرناً ونيّف [ص9]. والواقع أن تلك الكتابة ماتت في الشمال (ممالك نوميديا) إبّان العهد الروماني، وبقيت حيّة عند التوارق إلى حين دخولهم الإسلام، ثم صارت صنعة بيد النساء وبعض الخدم إلى تاريخ ليس بعيداً من الآن. ويعترف (أوغستين) أسقف مدينة عنّابة في العهد المسيحي الروماني (القرن الخامس الميلادي) أنه كان يتقن اللغة البونية قراءة وكتابة، لإثبات القرابة بين بلاده وبلاد الشرق الذي ينتمي إليه الإنجيل بغية مزيد التأثير في نفوس سامعيه[250]، أي المحليين من النوميديين. كما قال المؤرّخ الروماني (بروكبيوس) **"أن أبناء المغرب كانوا يتكلّمون اللغة البونية حتى في الأرياف بعيداً عن مدينة قرطاج"**[251]. فأين اللغة الأمازيغية وحروف التيفيناغ في هذه التصريحات القادمة من الأرض النوميدية والمغربية؟

6- يعود أستاذنا الفاضل إلى القول بأن **"هذا المُعجم عبارة عن تخليص اللسان الأمازيغي الفصيح.. من اللهجات البربرية"** [ص10]، وبالمناسبة فهو يثبت -هنا- مصطلح (بربر) بينما يعتبره -في موقع آخر- تنابزاً بالألقاب ويستشهد بالآية 11 من سورة الحجرات [ص14]، معتقداً أن هذا اللقب من صنع العرب بعد الإسلام. وإذا سألنا مصنّف هذا المُعجم عن الفرق بين (اللسان الأمازيغي الفصيح) و(اللهجات البربرية)، فلا نجد في كتابه هذا غير إجابة واحدة، وهي محاولة صناعة لغة جديدة أسماها: (اللغة الأمازيغية) التي هي من صميم اللهجات الأمازيغية دون إشارة لإحداها خوفاً من تفضيل لهجة على أخرى. ونتيجة لهذا الخوف يُهيب أستاذنا **"بكل مغربي عارف لإحدى اللهجات البربرية أن لا يتسرّع في إصدار الأحكام بشأن هذا الكتاب"** [ص10]. إذن، فهو يخاف من الأمازيغ

---

[250] أنظر: غوتييه، أ.ف.: **ماضي شمال أفريقيا**، تعريب: هاشم الحسيني، ط1، 1970، مكتبة الفرجاني، طرابلس/ ليبيا، ص95.

[251] الزريبي، الهادي: **أصول البربر العربية**، ؟، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس/ تونس، ص104.

قبل غيرهم، لتأكده من أنهم أكثر حرصاً على مقوّماتهم التاريخية والحضارية والثقافية، ولا يرضون تشويهها بما يُصنع في الأكاديمية الأمازيغية في باريس أو في غيرها.

ثالثاً= قواعده:

حاول الأستاذ محمد شفيق أن يقعّد اللهجة الأمازيغية المستخدمة في المغرب الأقصى دون الالتفات إلى اللهجات الأخرى المنتشرة على السواحل وفي الواحات وعلى الجبال وفي الصحارى عند قبائل التوارق، ليثبت لنا أنها لغة وليست مجموعة لهجات، واجتهد في وضع قواعد حديثة قاسها على نمط قواعد اللغة العربية، فلنتابع هذه العيّنات:

1- اعتمد الأستاذ شفيق الحروف الهجائية العربية في مداخل معجمه، ربما بسبب استحالة استخدام حروف لغة أخرى لا تتفق مخارجُها مع اللهجات (البربرية)، الفرنسية مثلاً. وليس في ذلك عيب إذا كان الهدف منها لا يخرج عن شرح مفردات اللهجات الأمازيغية (البربرية) من حيث الحفاظ على خصوصية الهوية المغاربية والتعريف بالتنوع الثقافي والاعتزاز بالتاريخ المغاربي -قديمه وحديثة- الذي نعتز به جميعاً عرباً وأمازيغ. ولتأكيد اعتزاز الأستاذ شفيق بلغته العربية، رغم محاولة إخفاء ذاك الاعتزاز بغطاء التعصّب الشقّاف، إلاّ أنه لم يستغن عن القواعد العلمية في النحو والصرف المعتمدة في تعليم اللغة العربية. فهو يستخدم -في شرح (الظواهر اللهجية) التي بالأمازيغية (البربرية)- قواعد ومصطلحات ومسميات ومفردات النحو والصرف العربية دون غيرها، مثل قواعد الاسم من حيث التذكير والتأنيث والتثنية والإفراد والجمع والتعريف والتنكير والإعراب رفعاً ونصباً وجرّاً.. وأوزان الأفعال وتفعيلاتها ومصادرها واشتقاقاتها وصيغها وتصريفاتها ونفيها وإثباتها ونهيها وأمرها.. والضمائر المنفصلة والموصولة والبادئة واللاحقة.. والحروف ومعانيها.. وقواعد الهمزة والإبدال والقلب المكاني.. وغيرها من القواعد التي وضعها جهابذة اللغة العربية مثل: أبو الأسود الدؤلي والخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه (الأعجمي) وغيرهم كثير، منذ ما يزيد عن أربعة عشر قرناً (أي منذ خلافة علي ابن أبي طالب). ومثل هذه القواعد لم تحظ بها اللهجات الأمازيغية (البربرية) فبقيت تُستعمل حرّة بدون قيود ولا قواعد ولا حواجز تفصلها عن المتكلّمين بها. فجاء اليوم الأستاذ شفيق ليُكره لهجته الأمازيغية على تبنّي القواعد العربية رُغماً عن أنفها!

2- أكّد الأستاذ شفيق صلاحية الحروف العربية لكتابة اللهجات الأمازيغية بشرط إضافة ثلاثة حروف رآها من خصوصية الأمازيغية. وهي:

أ- الزاي المفخّمة: وهو حرف يضاهي (الظاء) العربية التي تُنطق عند المشارقة زاءً مفخّمة، مثل: (الزُلم= الظلم)، و(الحز= الحظ)، و(الزَرف= الظرف).. وفي حروف التيفيناغ نجده مقروناً بحرف (الظاء)، وأحياناً بحرف (الضاد)، و(الذال) أحياناً أخرى، إلى درجة صعوبة التفريق بين الأحرف الأربعة خصوصاً في المصادر الأجنبية. إلاّ أن الأستاذ شفيق يقول أن هذه الزاي المفخّمة تنوب الصاد العربية المغربية حين يُعرّب اللفظ الأمازيغي، مستشهداً بلفظ (أصّايلا) المغربية، ويقول أنها مُعرّبة عن الأمازيغية (أزّايلا)، ونرى أنها من الأصل العربي الفصيح (الزّائلة) معرّفة بلام شمسية غير منطوقة، وتُسهّل (الزّايلة) غير أن العامّة يقفون عند اللام المفتوحة دون نطق التاء المربوطة هاءً على عادة الوقف في الفصحى. ولكن الأستاذ شفيق جعلها خاصة بـ(اللغة الأمازيغية)، ولم يلتفت للكلمات العربية التي تحولت فيها الـ(صاد) إلى (زاي مفخّمة) في الأمازيغية، مثل: (زاليت= الصلاة)، و(أزّومي= الصّوم)، (أزّعلوك= الصّعلوك)..

ب- الكاف المعقودة: وهو حرف قديم وُجد في المُسند اليمني، وكثير من العرب خصوصاً البدو ينطقون الـ(قاف) كافاً معقودة، وبعضهم الآخر ينطق (الجيم) كافاً أو قافاً معقودة أيضاً، ويسمّيها البعض جيماً قاهرية، كما يسمّيها البعض الآخر جيماً غير معطّشة، أو كافاً فارسية، لعدم وجود هذا الصوت ضمن حروف الهجاء العربية الحالية.

ج- الكاف المعقودة المليّنة التي تُنطقُ بين الكاف المعقودة والياء: ولعلّه يقصُد الجيم التي تُبدّل بياءٍ أحياناً، وقافٍ معقودة أحياناً أخرى. واستشهد باللفظ الأمازيغي (أگليد) و(أجّليد) و(أيّليد) وتعني (الملك)، وظاهرة إبدال الياء المشددة جيماً تُعرف بالعجعجة التي في قُضاعة، فيقولون: (بصرج) بدل (بصريّ)، و(تميمج) بدل (تميمي)..، ويقلبها بعض الخليجيين الآن فيقولون (ديابة) بدل (دجاجة)، و(رايل) بدل (راجل)..

وبالتالي فإن هذه الأحرف العربية الثلاثة التي أبقى عليها أستاذنا، إنما هي صالحة لشرح الألفاظ العاميّة سواءً كانت أمازيغية أو يمنية أو غيرهما، ولا يمكن استعارتها لشرح لغة رصينة منزّهة عن مثل هذه المخالفات التي عبّر عنها اللغويون الأوائل بـ(مستبشع الكلام).

3- كذلك تعاقب حروف الـ(غين) والـ(قاف) والـ(خاء). فالأولان معروفٌ تبدّلهما في الفصحى، وكذلك في اللهجات العربيات القديمة والحالية، ولا زالت هذه الظاهرة مستعملة عند كثير من الخليجيين والسودانيين. أما الـ(خاء) فلم يوجد لها أي أثر في الكتابة النوميدية (الليبية القديمة)، ولكنها ظهرت فيما بعد عند التوارق، فاستخدموها منطوقة بدل الـ(حاء)، مثل: (مخمد= محمّد) و(أخمادي يا الله= الحمد لله)..

4- يذكر الأستاذ شفيق (الكشكشة) [ص23] ولم يُرجعها لقبيلتي مُضر وربيعة العربيتين اليمنيتين. فهم ينطقون الكاف شيناً، وتأثر بها الأمازيغ، فلا يُفرّقون بين فعلي (يوشِر) و(يوكِر)= سرق. كما تأثر المغاربة عموماً بهذه الظاهرة، فالأخوة في تونس يشتهرون بكلمة (برشة)= (كثير) وأصلها (بركة)= كثرة الخير، كُشكشت فصارت الكاف شيناً. ولا زال كثير من الخليجيين والعراقيين يقولون: (شلبش= كلبك)..

5- أما الهمزة في الأمازيغية فيقول الأستاذ شفيق أنها لا تُرسم إلاّ في أول الكلام، وأوضح أنها تكون على الألف إذا كانت مفتوحة، وعلى النبرة إذا كانت مجرورة، وعلى الواو إذا كانت مرفوعة [ص23]، ولم يُشر قط إلى أن هذه القاعدة الإملائية كان قد وضعها اللغويون العرب الأوائل لهذه الهمزة. أما عن رسمها في أول الكلام الأمازيغي فهذا صحيح، بل ونضيف أنها تُرسم في أول الكلام العامّي في المغرب العربي كله مهما كانت هوية ذاك الكلام. على سبيل المثال: المغاربة يمتازون عن المشارقة بالابتداء بساكن، وهذا ما يستحيل كتابته في الإملاء العربية إلاّ بإضافة همزة بادئة تكسّر جمود السكون وتفتح انغلاقه. فكثير من المغاربة ينطقون اسم (مْحمد) بميم ساكنة، ومع الوقت أضيفت له الهمزة فنُطق (إمْحمد) وصار اسماً إضافياً مختلفاً عن أصله (مُحمّد). أيضاً يحتاج المغاربة لهذه الهمزة عند التعريف بلام شمسية، فينطقون مثلا (إشّمْسْ)= (الشمس). بينما في الأمازيغية تكون للتعريف الشمسي والقمري معاً مثل: (إجّنّة)= السماء (وهي أمازيغية وعامية عربية)، وأصلها قمرية: (الجنّة)، وكذلك لفظ (ثْري) تُهمز بـ(إثْري)، وأصلها شمسية: (الثريا).. ولا يعترف الأستاذ شفيق بأن هذه الهمزة جاءت أصلاً لتسهيل الابتداء بساكن وللتعريف معاً، فتبنّتها اللهجات المغاربية جميعاً، فقط عند الكتابة أو عند التأني في الحديث. إلاّ أن أستاذنا لا يعترف بألف ولام التعريف في الأمازيغية [ص33]، فقط لأنها ليست صريحةً وواضحةً. كما أن الهمزة قد يُستعان بها في رسم الفعل الماضي الأمازيغي، مثل: (ئِدّل)= غطّى (عربيته: أدلى)، و(ئِكَرْكَرْ)= دحرج (عربيته: جرجر)، و(ئِمّوت)= مات (كذا في العربية واللغات القديمة). وهذا يعني أن الفعل الماضي الأمازيغي يُرسم بصيغة المضارع العربي، فنابت الهمزةُ عن الياءَ المضارعية العربية، وهكذا نلاحظ الفعل الماضي في اللغة الأكّدية، مثل (إبرُس)= قسّم، و(إصبَتْ)= مسك، و(إكشُدْ)= وصل. وبهدف وضع قواعد نحوية لـ(اللغة الأمازيغية) المزعومة، قال الأستاذ شفيق **أن** تلك الهمزة البادئة للفعل **"ما هي إلاّ ضمير"**، ربما على غرار الضمير المستتر المقدّر على الفعل العربي.

6- يعترف أستاذنا بأن في الأمازيغية أحرف علّة ثلاثة، تقوم مقام الحركات، وهي قابلة للحذف لأنها ليست صحيحةً [ص24]. وهذه القاعدة عربية أصيلة، ولكن الأستاذ شفيق ارتآها حروفَ حركة تسهّل قراءة الأمازيغية لأن ليس فيها مدّ، على حد قوله. بينما نرى أن الأمازيغية تعتمد أيضاً

على المدّ بصوره الثلاث، وذلك مثل: (أركاز)= الرجل، وفيها مدّ بالألف، و(أفوس)= اليد، وفيها مدّ بالواو، و(أجلّيد)= الملك، وفيها مدّ بالياء. وغير ذلك كثير.

7- يتحدّث الأستاذ الفاضل عن بعض القواعد التي قال عنها: **"قواعد مبسّطة في النحو الأمازيغي"** [ص33]. ركّز بالخصوص على الاسم (مذكّره ومؤنّثه وجمعه) [ص33 وما يليها]. أما إعرابه فلا يذكر إلاّ تغييراً واحداً يطرأ على الاسم في أول الكلمة، فأسماه: **"إعراباً تجاوزاً لما بينه وبين الإعراب العربي من تشابه"**. وفي غالب الأحيان يبقى الاسم على حاله داخل الجملة دون تحديد إعرابه، باستثناء المعطوف لورود حرف عطف بين اسمين. وقد اجتهد أستاذنا كثيراً في إلصاق القواعد النحوية العربية ببعض الظواهر في اللهجات الأمازيغية، مثل:

أ- عند حديثه عن التصغير، يورد مثلا: (أورير)= جبل، ويقول أن تصغيره: (تاوريرت)= جُبيْل، وهذا يحتاج إلى وقفة، لأن (تاوريرت) إنما هي مؤنث لـ(أورير) حسب ظاهر التأنيث أو الإشارة إلى المؤنث أو تعريفه في الأمازيغية. علاوة أن (أورير) تبدو كما لو كانت مُصغّرة أصلا، لأن الجبل في اللغات القديمة، كالعبرية مثلا يسمى (أرارات)، ويوجد جبل في جنوب ليبيا يسمى (تادرارت)، وكلاهما شبيه بالآخر. ونعتقد أن أصل هذا الاسم مأخوذ من (أور)= المكان أو المدينة، لأن الإنسان القديم كان يتّخذ من كهوف الجبال مقار سكن، أي مدناً. وفي كل الأحوال قد يكون التصغير الأمازيغي صحيحاً لأن الذكر القوي ليس كالأنثى الضعيفة! ويورد الأستاذ شفيق مصطلحاً آخر وهو (أدّار) ويقول أن مصغّره (تدّارت). ويقابله عكسُ ذلك في التعظيم، أي (تدّارت)= بيت صغير، و(أدّار)= بيت عظيم. ومن جانب أخر يذكر الأستاذ محمّد علي دبّوز، وهو (بربري) مُتحمّس لـ(بربريته) ومتعصّب لها، فيقول عن البربر: **"أنهم إذا أرادوا أن يُبربروا كلمة مُقتبسة زادوا لها تاءً مفتوحة في أولها وتاءً ساكنة في آخرها"**[252]، وضرب أمثلة: الدّار←(تدّارت)، والحانوت←(تاحنوت).. وهنا يثبت قاعة أخرى لا علاقة لها لا بالتأنيث ولا بالتصغير ولا بالتعظيم، وهي قاعدة بربرة الكلمات المستعارة، ولم يذكر اللغة التي اسْتُعيرت منها كلمتا (الدّار) و(الحانوت)، تجنّباً لذكر (العربية).

ب- وحتّى يُثبت أن الفعل الأمازيغي إما أن يكون مجرّداً أو مزيداً، يستشهد بعدّة أفعال. ولكنّه لا يُرجع -متعمّداً- أياً منها إلى جذورها العربية أو العروبية، بهدف جعل الأمازيغية بعيدة كل البعد عن تلك اللغات، وتفويت الفرصة على (العروبيين) المصطادين للكلمات الأمازيغية ذات الجذور والدلالات العربية، على حد تصريحات دعاة الأمازيغية. فاللفظ الأمازيغي (يوضن)= المرض، ومنه

---

[252] دبّوز: **تاريخ المغرب الكبير**، ط1، 1964، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ؟، ص60.

الصفة (أمّوضين)= المريض، لا يريد أستاذنا الاعتراف بأنه لفظ مزيد بزيادات وظواهر لهجية أمازيغية محليّة أبعدته، أو لنقل انحرفت به، عن الثنائي العربي (ض ن)، ومنه (الضنى)= المرض والعلّة والدّاء.

رابعاً= مُعجمُه:

يستغرق هذا المصنَّف ثلاثة أجزاء، في أكثر من ألف وخمسمائة صفحة من القطع المتوسط، عدا المقدّمة، بها عدد من المفردات المصنَّفة على أساس حروف الهجاء العربية (من الألف إلى الياء)، حيث يبدأ التصنيف باللفظ العربي، ثم يقابله باللفظ الأمازيغي المطابق له، ومشتقاته وشرحها باللغة العربية، وبيان جمعها. ولو أضيف إلى هذا المُعجم كلُّ الألفاظ التي بالأمازيغيات الأخرى، لكان مُعجماً ضخماً لا تسعه مئات المجلّدات[253]. ولكن الأستاذ شفيق اكتفى ببعض اللهجات المتداولة في المغرب الأقصى فقط كما لو كانت هي الأصلح لتأسيس (اللغة الأمازيغية) المقترحة. يقول (كامب) أن مجموعة القبائل الحديثة الناطقة بالبربرية مثل لواتة المنتمية إلى زناتة تختلف لغتها عن لغة المجموعات الأقدم[254]. فأين هي تلك التصنيفات الآن؟

هذا الجهد (الجبّار) الذي بذله أستاذنا طيلة ست عشرة سنة، لم يُكلّف نفسه عناء الرجوع إلى أي مصدر عربي تعود إليه الألفاظ الأمازيغية حتى وإن كان متعلقاً بالمسائل الدينية. على سبيل المثال في مادة (زكو) شرح (الزكاة) وأوردها من حيث معناها العام كالطهارة والإصلاح والإنماء، ولم يذكر أي لفظ أمازيغي يلتقي فيه حرفا (الزين والكاف) كما لو كان في الأمازيغية معانٍ للزكاة سابقة للإسلام. وهذا يعني أنه كان حريصاً كلّ الحرص على استبعاد الكلمات العربية التي تمزّغت أو تبربرت. إلاّ أنه لم يستطع الهروب من الأصل العربي في مادة (صوم)، التي لم يجد لها مكافئاً أمازيغياً غير (أزّوم) مع ملاحظة إبدال الصاد زاياً. أما فيما عدا المصطلحات الدينية، فكان يضطر لإيراد المكافئ الأمازيغي حتى وإن اختلف مع اللفظ العربي في التركيب، مثل مادة (سَمِنَ) أي صار بديناً، فاستخدم المكافئ الأمازيغي (ئقوَا)= (يقوى)= صار قوياً، أي سميناً، وغيرها..

وفي المقابل نرى القواميس الأجنبية لا تتحرج من إرجاع الألفاظ إلى مصادرها الأولى، كاللاتينية والسنسكريتية والسكسونية.. وحتى الفارسية والعربية. أما الأستاذ شفيق لم يكتف بتحاشي

---

[253] ذكر الباحث الفرنسي أندري باسيه أن اللهجات البربرية تصل إلى 5000 لهجة. أنظر: سعدي، عثمان: **عروبة الجزائر عبر التاريخ**، ط؟، 1982، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر/ الجزائر، ص40.

[254] أنظر: كامب، ج.: **البربر الذاكرة والهوية**، ترجمة: جاد الله عزّوز الطلحي، ط1، 2005، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس/ ليبيا، ص 79.

الكلمات ذات الجذر العربي فحسب، بل لم يُشر إلى أي مصدر كنعاني أو مصري قديم، وحتى لا يُتهّم بأنه من الفرانكفونيين المتأثرين بالثقافة الأوروبية، فإنه -أيضاً- تحاشى قدر الإمكان ألفاظاً مستعارةً من اللغتين الفرنسية والاسبانية ودخلت في تركيبة اللهجات المغربية عربيةً كانت أو أمازيغية. وهو بهذا الصنيع حاول أن يثبت لنا أن هذه اللغة التي أسماها بـ(اللغة الأمازيغية) أو (أوال أمازيغي) أو (اللسان الأمازيغي الفصيح) هي لغة صافية نقية منزّهة عن التشريق والتغريب، ليس لها أي مصدر إلاّ من ذاتها، كما لو كانت قد ظهرت هكذا فجأة كالفطر من تحت الأرض، منغلقة على نفسها، ولا تخص غير المتكلّمين بها في نطاقات ضيقة، وغير قابلة للأخذ والعطاء، وغير صالحة للاختلاط بغيرها. وهنا يؤكّد الأستاذ شفيق -دون قصد- أن (اللغة الأمازيغية) ليس لها بعد ثقافي ولا عمق تاريخي، إذ أنه لم يذكر في مُعجمه أن هذه اللغة تعود بالأصالة إلى اللغة الليبية القديمة -نوميدية كانت أو بونيقية-، لأنه -وغيره- لا يعلمون شيئاً عن تلك اللغة التي كان يتكلّم بها سكّان المغرب العربي الكبير قبل الإسلام. كما أنه لم يرجع ألفاظه إلى لهجات كُتامة وصنهاجة وهوارة وزناتة ولواتة وغيرها من القبائل التي كان لها دورها الفاعل في صنع التاريخ الإسلامي في المغرب العربي، بل أشار إلى الريف والسوس وغيرهما من الأماكن التي يتواجد فيها الأمازيغ في المغرب الأقصى. وهذا هو التحدّي الذي يواجهه دعاة الأمازيغية، فكيف يمكنهم زرع واستنبات لغة على أساس لهجات محكية لم تحتفظ النصوص التاريخية بلغتها الأم؟

الخلاصة:

إنّ الأستاذ محمد شفيق، أستاذٌ فاضل ومربٍّ جليل، متمكّن من لغته العربية إلى درجة الإبداع في صياغة جُملها، والتفنن في اختيار ألفاظها وتوضيح دلالاتها، واستخدام نحوها وصرفها وإملائها لإبانتها وإعرابها.. وأنه على درجة عالية من العلم والثقافة، إلى جانب تمتعه بقدر كبير من الفطنة والذكاء، والجرأة والشجاعة أيضاً إلى درجة التهور نتيجة التعصّب الأعمى. فقد سخّر كلّ قدراته المعرفية وإمكانياته اللغوية، وحاول توظيف كثير من قواعد العربية لصالح لغته المستحدثة، كما حاول تطبيق الطرق المستخدمة في التصنيفات المعجمية لإقناعنا بأن مفردات لغته مختلفة عن العربية.. وكرّس كل ذلك لخدمة هذا العمل المضني والشاق، وله العذر في ذلك، إذا كان يهدف إلى الحفاظ على الهوية والخصوصية التي تتميز بهما الجماعات البشرية، كبيرةً كانت أم صغيرةً. غير أن الحقيقة الكامنة وراء هذا العمل لا تُنبئ بذلك، بل تؤكد أن الهدف ما هو إلاّ استمرار لحركة استعمارية نشأت -للأسف- في جامعة باريس في ستينيات القرن الماضي، تدعو لإحياء اللغة البربرية، فقط لتزاحم اللغة العربية، بهدف تأجيج الصراع اللغوي بين أفراد المجتمع المغاربي الواحد

وإبعادهم عن الدّين الإسلامي الموحّد لهم. أما إذا كان الهدف من وراء هذا الجهد هو الحفاظ على الهوية، فهذا لا يسمح بتقعيد اللهجات المنطلقة من الأفواه بكل حريّة وتلقائية، وبدون حدود وقيود. ولو أراد أي قطر عربي أن يضع قواعد للهجاته المتنوعة، لانتهج نفس الخط الذي سار عليه الأستاذ شفيق، فهذا ليس بالعمل المعجز، لأن كل لهجة من اللهجات -رغم حريتها وتلقائيتها- تحتوي على المواد الصالحة للتقعيد. ففيها الاسم مذكّراً ومؤنثاً، ومفرداً ومجموعاً، ومكبّراً ومصغّراً، ومعظّماً ومحقّراً، وفيها صفاتٌ -بعضها مشتق من الأسماء وبعضها الآخر من الأفعال-، وفيها الفاعل والمفعول به، وفيها الضمائر وأسماء الإشارة وحروف النداء وحروف النفي والعطف والإضافة والجر، وفيها أفعال الماضي والمضارع والأمر.. وإذا التقت في اللهجة كل هذه الخصائص، هل يمكننا تسميتها (لغة) بمفهومها العلمي المتداول بين العلماء وخبراء اللغة؟ ومن جهة أخرى فاللهجة لا تعترف بحركات الإعراب، لأن العامّة لا يرفعون الفاعل ولا ينصبون المفعول به ولا يكسرون المجرور ولا يحذفون حروف العلّة من الفعل المجزوم.. وهذه الانحرافات لا تُفسد للتفاهم والتواصل قضية، ولا تحتاج للدراسة والتدريس، بل أن بلدان العالم المتقدّم تعمل جاهدة على توحيد اللغة وتذويب اللهجات، بهدف تمتين الصلة بين أفراد المجتمع.

وكدليل على عدم وجود لغة تسمّى تاريخياً بـ(الأمازيغية) أو حتى (البربرية)، أن الدّول التّي أسّسها المغاربة على أساس عربي/ إسلامي، كالمرابطية والموحدية في المغرب الأقصى، والفاطمية في المغربين الأدنى والأوسط ثم في مصر، وحتى الدولة الإباضية الرستمية في تاهرت بالمغرب الأوسط، وكذلك الدولة الإدريسية في المغرب الأقصى.. كل هذه الدول والدول التي حلّت محلّها أو تفرّعت منها كالمرينية والحفصية وبني عبد الواد وغيرها، لم تستخدم لغة غير العربية في دواوينها ومراسلاتها وتصريف شؤونها السياسية -الداخلية منها والخارجية-. حتى فقهاء المذهب الإباضي وضعوا كُتبهم باللغة العربية والحرف العربي، تيمناً باللغة المقدسة التي هلّت عليهم من الأرض المقدّسة، فتبنّتها قبائل البربر بدون تعصّب للهجاتهم المحكية التي لم يكن لها ماض ثقافي بعيد ينفحها بالحياة ويمدّها بالعزّة. أي أن البربر وقتها لم تكن لهم لغة رسمية كالشعوب الأخرى التي انضوت تحت راية الإسلام في الشرق ، فأبقت على لغاتها القومية مع تأثيرات لغوية عربية واضحة. بذا يكون للمغرب العربي الكبير خصوصيته التي انفرد بها عن سائر البلدان المفتوحة، وليس بالضرورة قياسُه على ما حصل في الشرق الأدنى كالفرس والأكراد وشعوب السند والهند وغيرهم.

ومما يحز في النفس ويدمي القلب، أن مثل هذه المحاولات الرامية لتهديم صرح اللغة العربية وخلق منافس لها في الشرق أو في الغرب، إنما وُضعت من قبل أعداء الإسلام، مهما أنكر دعاة الأمازيغية والفرعونية وغيرهم ذلك، لمحاربة هذا الدين ولغته المنزّلة من السماء والمنزهة عن أيّ

لهج أو لغو أو كلام مستبشع، فأرادوا تشويهها باللغة الفرعونية واللغة الأمازيغية. ولعل إحدى هذه البوادر كانت قد ظهرت في المغرب الأقصى، حيث حاول بعض المتعصبّين المتشدّدين -في السنوات الأخيرة- ترجمة القرآن الكريم إلى اللهجة البربرية، وافتخر أحدهم -في لقاء له- مع قناة (الجزيرة) أن الأمازيغ -في منطقته على الأقل- يتلون السور في صلاتهم بالأمازيغية، باستثناء قراءة الفاتحة في الركعة الأولى من كل صلاة باللغة العربية. وهو -بهذا الصنيع- يذكّرنا بحركة الزندقة التي بثتها قبيلة (برغواطة) في منطقة السوس بالمغرب الأقصى في القرن الخامس للهجرة، حيث أفسدوا العبادات وحرّفوا الدين وترجموا القرآن إلى اللهجة البربرية. فلم تسلم هذه القبيلة من حرب عشواء شنّها عليهم (اللمتونيون) وهم من البربر الأحرار، وليسوا من العرب كما يدّعي بعض المتعصّبين المروّجين للدعاية القائلة بـ(أن العرب الغزاة أبادوا قبيلة برغواطة الطيبة المسكينة)!. بل أن الوقائع التاريخية تؤكد أن المرابطين من قبيلة (جازولة) و(لمتونة) هم من قضى على هذه الفئة الضالة، في معارك طاحنة قادها (أبوبكر بن عمر اللمتوني) ابن عم (يوسف بن تاشفين) البطل البربري الشهير، واستشهد فيها صاحب الرباط الأول ومؤسس جيش المرابطين (عبد الله بن ياسين الجازولي) البربري[255]. وفي المغرب الأدنى كانت قبلها نفس الحركة في مدينة القيروان من قبل معتنقي المذهب الصفري الخارجي من قبيلتي (نفزاوة) و(ورفجومة) البربريتين، وذلك في منتصف القرن الثاني للهجرة. فهاجمهم معتنقو المذهب الإباضي من قبيلتي (زناتة) و(هوارة) البربريتين، المنطلقين من طرابلس، وقضوا على تلك الزندقة واستردّوا القيروان وأعادوها إلى الدين الإسلامي كما أراده الله لعباده[256]. ومثل هذه المواضيع لا طائل من ورائها في هذا المبحث الذي لا يسرد أحداثاً تاريخية، وإنما يشير إلى بعض الدسائس التي تحاك ضد الدين الإسلامي متخذة اللغة العربية وسيلة لذلك.

النموذج الثاني

(معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية.. البربرية)

للأستاذ الدكتور (عثمان سعدي) من الجزائر[257]

أولا= سيرته:

[255] أنظر مثلا: البرغوثي، د. عبد اللطيف محمود: **تاريخ ليبيا الإسلامي**، 1972، دار صادر، بيروت/ لبنان، ص596.

[256] للمزيد أنظر: البرغوثي: **نفس المصدر السابق**، ص124.

[257] سعدي، د. عثمان: **مُعجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية (البربرية)**، ط1، 2007، منشورات مجمع اللغة العربية، طرابلس/ ليبيا.

وُلد الأستاذ الفاضل الدكتور (عثمان سعدي) سنة 1930، بقرية (ثازبنت) ولاية (تبسّة). وينتمي إلى (النمامشة) وهي أكبر قبيلة أمازيغية بالجزائر[258]. وعن مسقط رأسه يقول: **"أنا من الذين يقال عنهم بربر، أنا من الشاوية، من منطقة الكاهنة: صومعة الكاهنة المشهورة تقع على مرمى حجر من منزلي في دوار ثازبنت، وبئرها التي كانت تشرب منها جيوشها تقع في مضارب القبيلة التي أنتمي إليها.. وكسيلة ويوغورطا وتاكفاريناس وغيرهم من منطقتي، أي من جبال أوراس-النمامشة"**[259]. متخرّج من معهد (عبد الحميد بن باديس) بقسنطينة سنة 1951، حاصل على الإجازة في الآداب من جامعة القاهرة سنة 1956، وعلى الماجستير من جامعة بغداد سنة 1979، وعلى دكتوراه الدولة من جامعة الجزائر سنة 1986. وعن نشأته التعليمية يقول: "..**الفرق بيني وبين المنتمين إلى البربر من دعاة النزعة البربرية، هو أنني درست اللغة العربية، وتتلمذت -سواء في المدارس الثانوية أو في الجامعة- على يد أساتذة عرب وقبائل (بربر)، مسلمين ووطنيين، ففتحوا عيني على حقيقة أصول البربر العربية. بينما تتلمذ ذوو النزعة البربرية على أساتذة مستعمرين**.."[260]. وهو مناضل في جبهة التحرير الوطني منذ تأسيسها، وأمين دائم لمكتب جيش التحرير الوطني بالقاهرة أثناء الثورة المسلّحة.

شغل الدكتور سعدي عدة مناصب: رئيساً للبعثة الدبلوماسية بالكويت 1963-1964. قائماً بالأعمال بالقاهرة 1968-1971. سفيراً بالعراق 1971-1974. سفيراً بسوريا 1974-1977. نائباً بالمجلس الشعبي الوطني (1977-1982). عضواً باللجنة المركزية لجبهة التحرير الوطني (1979-1989). رئيساً للجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية منذ سنة 1990 إلى الآن.

ومن مؤلفاته إلى جانب هذا المُعجم: (بيروت) 1967. (تحت الجسر المعلّق) قصص، 1973. (عروبة الجزائر عبر التاريخ) 1983. (الثورة الجزائرية في الشعر العراقي) دراسة، 1985. (قضية التعريب في الجزائر) 1993. (الأمازيغ عرب عاربة) 1996. (وشم على الصدر) 2006. وقريباً (كتاب عن تاريخ الجزائر)[261].

ورغم أصوله الأمازيغية (البربرية) الخالصة، إلاّ أن نشاطه السياسي والعلمي تركّز بصورة خاصة على محاربة أصحاب النزعة البربرية، من جهة، والدفاع عن اللغة العربية والعروبة، من جهة ثانية. ولم يترك فرصة إلاّ واغتنمها لصالح تلك المبادئ، فخاطب الرؤساء المتعاقبين على السلطة في الجزائر موضحاً لهم خطورة الخطط الاستعمارية التي تحاك ضد بلاده من قبل الحركات

---

[258]) الحرة، Wikipedia.2008/09/20 موقع موسوعة (
[259] سعدي: **عروبة الجزائر عبر التاريخ**، **مرجع سابق**، ص9.
[260] سعدي: **نفس المصدر السابق**، نفس الصفحة.
[261] موقع موسوعة ويكيبيدبا الحرة، **مصدر سابق**.

البربرية المدعومة من قبل الاستعمار الغربي والصهيونية العالمية. منبهاً العرب بـ"**أن خطة الصهيونية، منذ بداية القرن، تتمثل في تفتيت الوطن العربي إلى دويلات على أساس عرقي أو طائفي: دولة الأكراد، ودولة الموارنة، ودولة الدروز، ودولة العلويين، ودولة الشيعة، ودولة الأقباط، والدولة النوبية، والدولة البربرية**"[262]. كما بعث رسالة إلى الرئيس السوري بشّار الأسد عقب الخطاب الذي ألقاه أمام القمة العربية المنعقدة في دمشق، معرباً له وللقادة العرب عن قلقله من "**تشجيع راية اللهجات المحلية القُطرية عبر الفضائيات العربية**"[263]. ودعا في رسالته تلك إلى "**ضرورة تأسيس هيئة عربية مركزية بميزانية هامة توكل لها مهمة الإشراف على تعريب العلوم، وتأسيس المجمع العربي القومي، وكذا توحيد الفضائيات العربية لنشر استعمال الفصحى، وإلزام المسؤولين العرب باستعمال الفصحى**"[264].

أما نشاطه العلمي والصحفي، فقد تركّز في إظهار حقيقة أن اللهجات الأمازيغية (البربرية) عربية الأصول، مثلها مثل أصحابها المتكلّمين بها، وأنها لم تكن في يوم من الأيام لغة قائمة بذاتها بقدر ما هي آلاف اللهجات غير المكتوبة. فهو لا يعترف باللغة الأمازيغية المطبوخة في الأكاديمية البربرية التي أسسها الفرنسيون في جامعة باريس سنة 1967. إذ يعتبرها من صميم خطة رسمها (ديغول) تهدف إلى ربط الجزائر باللغة الفرنسية بعد الاستقلال، ولبلوغ هذه الغاية لا بد من تقسيم الشعب الجزائري إلى متكلّمين بالعربية ومتكلّمين بالبربرية، لتكون الفرنسية مشتركة بين الطرفين[265]. حيث كان الدكتور سعدي يلفت انتباه الشعب الجزائري لما يُحاك ضدّه من مؤامرات ودسائس، عبر مقالاته التي ينشرها بالصحف المحلية، إلى جانب مجلة (الكلمة) التي كانت جمعيته تصدرها.

ونتيجة لمواقفه الوطنية وتشبّثه بمبادئه الراسخة وإيمانه بقضيته، تعرّض ويتعرّض الدكتور سعدي وجمعيته للاضطهاد من قبل دعاة النزعة البربرية وأعداء اللغة العربية المتنفذّين. فتعرّض مقر الجمعية للانتهاك والسرقة والنهب أكثر من مرة، وسيارات أعضائها للتحطيم، رغم أن المقر يقع داخل قصر الشعب التابع للدولة والمحروس بعدد كبير من رجال الأمن. وقُفلت مجلة (الكلمة) لعدم ديمومة الدعم المالي لها. ولم تجدِ الشكاوى المقدّمة إلى الحكومة نفعاً. ولم يتوقف الأمر عند حد التعدّي على ممتلكات الجمعية، بل رفعت (المحافظة السامية للأمازيغية) التابعة لرئاسة الجمهورية دعوى ضد الدكتور سعدي لنشره مقالاً بأسبوعية (الشروق العربي) يوم 1996/03/26 بعنوان: (هل

---

[262] سعدي: **البربر الأمازيغ.. عرب عاربة**، ط1، 1998، دار الملتقى للطباعة والنشر، ليماصول/ قبرص، وبيروت/ لبنان، ص8.

[263] موقع **الخبر** (Elkhabar.com.2008/09/20 ،)

[264] الخبر: **نفس المصدر السابق**.

[265] سعدي: **البربر الأمازيغ.. مصدر سابق**، ص ص43-45.

تنجح الأكاديمية البربرية في فرنسا في ترويض الأوراس الأشم) طالب فيه بعدم عقد مؤتمر أمازيغي في (باتنة) عاصمة الأوراس بهدف خلق ضرّة للغة العربية من اللهجات البربرية خدمة للغة الفرنسية. فهبّ عشرات المحامين من سائر أنحاء الجزائر مدافعين عن الدكتور سعدي. إلاّ أن مرافعته التي قدّمها للمحكمة كانت كافية، بل وأدهشت هيئة الدفاع[266]. وأخيراً بُرّئ من التّهم الموجّهة إليه رغم طلبات الاستئناف التي قدّمها أعداؤه.

ولا زال الأستاذ الدكتور عثمان سعدي يناضل، وسط أجواء مشحونة بالتهديد، ليس بالحبس والسجن والغرامات المالية فحسب، وإنما بالقتل أيضاً.

ثانياً= مقدّمته وتمهيده:

بداية، يصرّ الدكتور سعدي في مقدّمته على ضرورة "**التفريق بين البربرية (Berberite) والنزعة البربرية (Berberisme)، الأولى عنصر من عناصر تاريخ الجزائر والمغرب العربية بل والعروبة، والثانية خلقها الاستعمار الفرنسي الجديد (...) لصالح الفرنكفونية ولصالح استمرار هيمنة اللغة الفرنسية على إدارات دول المغرب العربي الأربع (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، وموريتانيا)**" [ص أ]. وفي إطار تعريفه للمصطلحات يوضح الدكتور سعدي أن "**مصطلح عربية (Arab) يعني العربية العدنانية التي نزل بها القرآن الكريم، ومصطلح عروبية (Arabique, Arabic) يعني اللغات العربية القديمة التي تُسمّى خطأً باللغات السامية**" التي تفرعت منها عدة لغات من بينها البربرية [ص ب]. ويقول أن مُعجمه يؤكد أن 90% من الكلمات الأمازيغية البربرية أصولها عربية عاربة أو مستعربة، وأن نحو البربرية متوافق مع نحو العربية، وأن العمودَ الفقري للبربرية الوزنُ (أفعول)، مثل (أغروم)= الخبز، و(أكسوم)= اللحم.. وهو نفس الوزن في اليمنية غير الموجود في العدنانية، حسب ما ذكره الباحث اليمني (القاضي إسماعيل بن علي الأكوع) في بحث نشره المجمعُ العلمي السوري في مجلته [ص ج]. وعندما وجد سعدي مئات الكلمات الأمازيغية أصلها عربي نشرها بين دفّتي مُعجم تحت عنوان (كلمات تؤكد الأصالة العربية للغة الأمازيغية البربرية) [ص د].

وفي تمهيده يعرض الدكتور سعدي لمحة تاريخية عن الأصل العربي لسكان شمالي أفريقيا منذ أقدم العصور، ولمحة عن تسميات البربر كونها عربية الأصل، خاصة اسم (مازيغ)، حيث ورد في كتاب التيجان في ملوك حميّر أن اسم مازيغ من الأسماء العربية في التراث الشعبي المشرقي،

---

[266] أنظر نص المرافعة في: سعدي: **العرب الأمازيغ.. نفس المصدر السابق**، ص ص246-265.

فهو اسم عربي صميم. وقدّم كذلك لمحة تاريخية عن الوضع اللغوي بالمغرب العربي قبل الفتح الإسلامي وتأثير الكنعانيين الفينيقيين على اللغة البربرية وكتابة التيفيناغ [ص ص1-9].

ثالثاً= قواعدُه:

يقدّم الدكتور سعدي في تمهيده مختصراً لقواعد النحو البربري وتوافقه مع النحو العربي:

1- **الاسم**: [ص10] ويقول أن الاسم المذكّر يأتي على أوزان عدّة، بالهمزة المفتوحة مثل (أرگاز)= رجُل، أو المكسورة مثل (إخف)= رأس، أو المضمومة مثل (أُدم)= الدم. ويقول أن هذه الهمزة يراها الدكتور خُشيم أداة تعريف في البربرية وتقابل الهاء في العروبية كالكنعانية.

وباعتبار أن البربرية لهجة وليست لغة، فإننا نرى -مثلما أوضحنا في صفحات فائتة- أن هذه الهمزة أداة تعريف حقيقية ليس في البربرية وحسب وإنما في اللهجات العربية الأخرى، فإذا أردنا كتابة الاسم العامّي بلسان القلم فإنّنا سنكتبه هكذا: (إشّمس)= الشمس، (إرّاجل)= الرجُل، (إدَّم)= الدّم.. وكلّها شمسية، أمّا القمرية فتُكتبُ لامها لأنها تُنطق، وألفها غالباً ما تكون مكسورة، مثل (إلْقمر)= القمر، (إلْبلّ)= الإبل، (إلْبيت)= البيت.. أما الهاء التي تقابلها في الكنعانية فلا تزال قائمة في لهجات المغاربة والمشارقة، وتفيد التعريف أيضاً، مثل (هالبيت)= البيت، وهي قمرية، و(هالليلة)= الليلة، وهي شمسية. حتى وإن قال البعض بأن هذه الهاء اختصار لاسم الإشارة التي في الفصحى (هذا أو هذه)، فإنّها لا تخرج عن إطار التعريف. وبالتالي فإن الهمزة في الأسماء البربرية السابقة هي أداة تعريف للاسم حتى وإن وردت -في سياق الحديث- نكرةً، وهذا من شيم اللهجات التي لا تعترف بالقواعد والضوابط. ويمكن اعتبار لام التعريف المقدرة في (أرگاز) شمسية واضحة تدل عليها الكلمة العامية العربية (الرَّگّاز)= الذي يَرتكِز أو (الرْكّاز) الذي يُرتكز عليه. وبالتالي يمكننا اعتبار أن اللفظ الأمازيغي (أرگاز) مكافئٌ للفظ العربي (الرْكاز).

أما الاسم المؤنث فيقول الدكتور سعدي أنه يأتي بين تاءين، مثل (ألغم)= جمل، و(تالغمت)= الناقة، و(أمغار)= العجوز، و(تامغرت)= العجوزة، و(أوشّن)= الذئب، و(توشّنت)= الذئبة.. أي كالعربية.

وفي الجمع المذكّر يقول أن علامته في البربرية (النون أو الألف والنون أو الواو والنون)، أي كالعربية. السالم: مثل (أرگاز)= رجُل، و(أرگازن)= رجال. وجمع التكسير مثل (أغبالو) عين ماء، تُجمع على (إغبولا)= عيون. أما المؤنث فيُجمع سالماً، مثل (تيط)= عين باصرة، تُجمع على (تيطاون)= عيون، ويُجمع من غير لفظ المُفرد، مثل (تاكمارت)= الفرس الأنثى تُجمع على

(تيغالين)، شأن العربية (امرأة)= (نساء)، وفي العامية الليبية نقول: (مْرا)= امرأة، و(نساوين)= نساء.

أما التثنية في البربرية فتعتمد على إضافة لفظ (سن) أو (سنت) إلى جمع الاسم، مثل (سنت إرگازن)= رجلان. و(ثن) تعني (اثنان) حيث أن أصل السين ثاءً أي (ثن). والتثنية بهذه الصورة تشبه التثنية العامّية المغاربية إذ يقولون (زوز رجّالة)= رجُلان، لأن (زوز) أو (جوج) أصلها (زوج)= اثنان أو ثن أو سنت.

2- **الضمائر**: [ص11] يُرجع الدكتور سعدي بعض الضمائر البربرية المنفصلة للمصرية القديمة والأكّدية واليمنية، مثل الضمير المتكلّم المفرد (نك أو نتش)= أنا، في المصرية (إنك)، وفي الأكّدية (أناكُ)، وفي اليمنية (أني). وبعض الضمائر المتصلة (فاعل) التي تتفق مع العربية في (تاء المخاطب المذكر والمؤنث) و(ميم المخاطبين ونون المخاطبات). وضمائر المتصلة (مفعول به) وكذلك (الضمائر التي تضاف لها الأسماء)، فأثبت فيها (ياء المتكلم وكاف المخاطب وهاء الغائب)، إلاّ أن هاء الغائب في البربرية تنوب عنها السين الأكّدية السبئية، مثل (لكتابنّي)= كتابي، و(لكتابنّك)= كتابك، و(لكتابنّس)= كتابه. ويُلاحَظ أن لام البداية كما لو كانت تعريفية، لأن تعريف (الكتاب) في العامية يبدأ بلام كأنّها ساكنة هكذا (لْكتاب). ولا يجوز في الفصحى تعريف الاسم مرتين، فلا يُقال: الكتابي والكتابك والكتابه.

3- **اسم الإشارة**: [ص12] ويقول بأنه شبيه بالعربية، مثل (د)= ذ و(اد)= هذه. أما للبعيد ففي البربرية (نّا) و(نّي) وهما عبارة عن نون مشددة ممدودة تضاف إلى الاسم كأنها تفيد البعد. وقد أرجعها الدكتور سعدي إلى الأصل الأكّدي (أنّ)= هذا وهذه. ونضيف إلى (د) البربرية الدال المستعملة في اللهجة المصرية الحالية، فيقولون مثلا: (دِلْوأتِ)= هذا الوقت، و(كِدَا)= كهذا..

4- **الاسم الموصول**: [ص12] يضرب الدكتور سعدي لذلك مثلا بربرياً: (أزْريغْ أركاز اللي يوكَرّنْ)= رأيتُ الرجل الذي سرق، (إللي) وهي عامية عربية حديثة تقابل (الذي) الفصيحة.

5- **الفعل**: ويقول أن الفعل البربري كالفعل العربي: ثنائي وثلاثي ورباعي. وذلك مثل (يطّسّ)= نام، جذره ثنائي (طسّ). و(إكرّزْ)= حرث، جذره ثلاثي (كرز). و(إكركب)= دحرج، جذره رباعي (كركب). إلاّ أن واقع الفعل (يطّسّ) حتى وإن كان أصله البعيد ثنائياً من أصل (ط س)، إلاّ أنه بهذا الوضع المضعّف يكون ثلاثياً (طسّ= طسس)، مثله مثل الفعل العربي (مدّ= مدد)، فنقول -بعد فك الإدغام- مثلا (مددت يدي) كدليل على ثلاثيته.

أما أزمنة الفعل البربري فيقول الدكتور سعدي أنه يُصرّف هكذا: (إسوا)= شرب، في الماضي. (أرْيَسّا) يشرب، في الحاضر المُثبت. (أدْيَسّو)= سيشرب، في المستقبل المُثبت. (إسْوْ)= إشربْ، في الأمر. وأن (أرْ) هذه تُستخدم أيضا لنفي الفعل، مثل (أرْيَطّسْ)= ما نام. ولا ندري كيف يُنفَى الفعل المضارع (أرْيسّا)= يشرب، سالف الذكر. إلاّ أنه ينقل عن الدكتور خُشيم (أرْ) التي تُنطق في الأكّدية (ألْ) وتعني النفي (ما). ونحن نعلم أن اللغات العروبية القديمة يتعاقب فيها حرفا اللام والراء.

6- **اسم الفاعل واسم المفعول**: [ص13] إن اسم الفاعل في البربرية يبدأ بهمزة مفتوحة متبوعة بميم، مثل (إرْولْ)= هرب، (أمروال)= الهارب. وكذلك اسم المفعول، مثل (أماغروص)= المذبوح. ويعلّق الدكتور سعدي على الهمزة والميم بأنها كالعربية ويضرب مثلا لذلك (المِهراب)= كثير الهرب. إلاّ أننا نرى أن هذه الهمزة والميم إنما هي من أداة التعريف المعروفة عن قدماء اليمنيين بـ(الطمطمانية) والتي يضرب بها اللغويون المثل المعهود (طاب أمهواء)= (طاب الهواء). ولا زال المصريون يقولون (إمبارح) بدل (البارحة). لذا يكون اللفظ الأمازيغي (أمّروال) أصله (الرّوال)= (الهارب) أو (الهرّاب)، وأما الميم في لفظ (أماغروص)، فقد لا تكون للتعريف، لأنها ثابتة في اسم المفعول العربي (المذبوح)←(المغروص).

7- **الظرف**: [ص14] يورد الدكتور سعدي عدة ظروف ويقابلها إمّا بالعربية أو بغيرها من اللغات العروبية القديمة، مثل: (دّو)= تحت، أي (دون) بالعربية مع حذف النون. و(دُقّر)= وراء، ويرى الدكتور خُشيم أنها (دُبر) العربية، ويؤيده الدكتور سعدي فيقول أن الدارجة العربية الجزائرية وكذلك الشاوية بهما كلمة (طقّره) أي ضربه على مؤخّرته (دُبُره). و(دَ)= مع، وفي السبئية (أذ). و(تاما)= قُرب، عربيتُه: ثَمَّ. و(أورينّ)= خلف، عربيته: وراء. و(جاج)= داخل، ويراها الدكتور خُشيم أنها من العربية: جؤجؤ= الصدر، والجأش: النفس، ونراها من الفعل (جاز)= اجتاز الباب ودخله، وعند المغاربة: (زوز) أو (جوج)= أُدخل، أو تفضّل بالدخول، ويسمّون مدخل الباب: (مزاز) وأصلها (مجاز)..

8- **المبني للمجهول**: [ص14] يرى الدكتور سعدي أن الفعل المبني للمجهول البربري يتفق مع العربي في استعمال الضمّة، مثل الفعل الماضي (إزطّا)= طحن، عندما يُبنى للمجهول يصير (إيتُزطّا)= طُحنَ. وكذلك (يوكر)= سرق، تصيرُ (إيُكرْ)= سُرقَ.

9- **حروف (أنيت):** [ص15-16] يرى الدكتور سعدي أن اللهجات البربرية تستعمل -كالعربية- حروف (أنيت)، وضرب لها أمثلة: (أخسا ايطّس)= يريد أن ينام، الياء في أول الفعل. (يا لله انّطّس)= هيا ننام، النون في أول الفعل. (أخسا اتطّس)= تريد أن تنام، التاء في أول الفعل، (أخسا

أضطسغ)= أريد أن أنام، الهمزة في أول الفعل. والملاحظ على هذه الأمثلة أن فعل (أخسا) لم يخضع للتصريف فبقي كما هو عليه مع كل الضمائر المستترة وتقديرها: هو، هي، أنا. وهذا دليل على أن اللهجات لا يمكن تقعيدها ومعيرتها، فهي ظواهر كلامية يتفق عليها العامة وليس لها قواعد ثابتة يتفق عليها العلماء.

رابعاً= منهجُه:

قام الدكتور سعدي بتفريغ أربعة قواميس بربرية أمازيغية، [ص18] وهي:

1- **منجد اللغة الأمازيغية، لعز الدين تاجرمونت.**
2- **القاموس القبائلي/الفرنسي، لجون ماري داليه.**
3- **قاموس أوال: شاوي/فرنسي/عربي، لمحمد صالح ونيسي.**
4- **المعجم العربي/الأمازيغي، لمحمد شفيق.**

بذا تكون اللهجات التي تناولها هذا المعجم هي: الشاوية والقبائلية من الجزائر، والسوسية والريفية والأمازيغية من المغرب، مع تناول بعض الكلمات من الميزابية بالجزائر، ومن الغدامسية بليبيا، ومن التارقية. ويقول الدكتور سعدي أنه كان يعود بالكلمة إلى لسان العرب لابن منظور، وإلى المُعجم الوسيط، وإلى أسرار البلاغة للزمخشري، وإلى فقه اللغة للثعالبي. وقد جمع ما يقرب من عشرة آلاف كلمة، في إطار أكثر من ألف وثمانمائة جذر. وقال أنه كان يعود إلى كتابيْ: (سِفر العرب الأمازيغ)، و(الأكّدية العربية) للدكتور علي فهمي خُشيم.

خامساً= مُعجمُه:

1- يحتوي مُعجم الدكتور سعدي -عدا المقدمة والتمهيد- على أكثر من 300 صفحة من القطع المتوسّط. كل صفحة مقسّمة إلى ثلاثة جداول. خُصّص الجدول الأول -وهو الأصغر والأضيق- لجذور الكلمات العربية المرتّبة من الألف إلى الياء. وخُصّص الجدول الثاني للألفاظ الأمازيغية (البربرية) ذات العلاقة الدلالية بالجذور العربية في الجدول الأول، مع إضافة معناها الدلالي في اللغة العربية الحالية. أما الجدول الثالث فخُصّص لشرح الألفاظ الأمازيغية، وذلك بواسطة إرجاعها إلى الأصول العربية المدوّنة في المعاجم، تلك الأصول التي يندر استعمالها من قبل المتحدثين بالفصحى في أيامنا هذه. وعند عثوره على الألفاظ العربية المكافئة للألفاظ الأمازيغية والمتطابقة معها تطابقاً تاماً، يشير إليها بالرمز (**مهم**)، وذلك بهدف تأكيد **"عمق أصالة الأمازيغية**

عربياً" [التمهيد ص19]. والملاحظ على هذه الألفاظ أن معظمها يؤول بالأصالة إلى اللغة العدنانية، وقليلاً منها إلى العربيات السابقة لها كاليمنية وغيرها.

2- مُعجم الدكتور سعدي مليءٌ بالألفاظ الأمازيغية المستعملة من قبل العامّة في المغرب العربي، وأصول معظمها عربية. وهذا يعني أن العامّيات -عربية أو أمازيغية- تلتقي فيها نفس الخصائص والظواهر المؤثرة في دلالات الألفاظ، وذلك مثل:

(جِرّة) أو **(جُرّة)**= أثر سير الحيوان والإنسان. **(ميجال)**= الأجل والموعد. **(يدام)**= إدام، مرق. **(إستاهل)**= إستأهل الشيء واستحقّه. **(إخَرْبش)**= من الخربشة. **(لَخْرَزّ)**= الخرز الذي يُنظم به العِقد. **(لْخْشَانة)**= الخشونة. **(إمْشوم)**= مشؤوم. **(إشَتّل)**= يُعقّبُ الأولاد، من الشتلة، السلالة. **(إسّويق)**= السويق، دقيق. **(لْخْيال)**= الشبح، الخيال. **(تاخلالت)**= الخلال، المشبك. **(إشْحَط)**= شحطه أي ضربه بعصا رقيقة، وفي العربية: شحطه= ذبحه. **(أشَلْغوم)**= الشوارب، في العربية: المَلْغَم= طرف الأنف. **(لْجْنان)**= الحديقة، الجنان، الجنّة. **(شْطح)**= رقص، شطح..

وغير ذلك كثير، بحيث إذا أحصيناها جميعاً لحصلنا على مُعجم خاص، ليس بالكلمات المتداولة في اللهجة الأمازيغية فحسب، وإنما المتداولة في لهجات سكّان المغرب العربي دون تخصيص.

3- أمّا الأصول العربية للألفاظ الأمازيغية التي يُعلق عليها الدكتور سعدي بالرمز **(مـهم)**، فهي كثيرة أيضاً. ويمكننا اختيار عيّنات من ألفاظ تتفق دلالاتها مع ألفاظ عربية قد لا تكون مستعملة حالياً من قبل المثقفين العرب، ولكنّ آثارها باقية في المعاجم:

-**(أودّوم)**= الشُّربُ بغطس الشفتين في الماء (في العربية: **مداومة** شُربِ الماء. **ابْتَدَمَ** العود= جرى فيه الماء) [ص27].

-**(يزْري)**= أبصَرَ (في العربية: **زَرَّ** عينيه= ضيّقهما ليحدّ بهما النظر. رجل **زَرزار**= وقادٌ، تُبرقُ عيناه) [ص38].

-**(إرغَمّ)**= تركه وقاطعه (في العربية: **الرُّغمُ**= الكُرهُ) [ص48].

-**(إزمر)**= ذو جلد وصبر (في العربية: رجلٌ **زمرٌ**= شديد) [ص63].

-**(أحذّوف)**= جزةُ الصوف (في العربية: **حذَفَ** الحلاقُ الشَّعرَ= قصّه. **الحذَفُ**= نوع من الأغنام السود باليمن) [ص75].

-**(الزّار)**= الشّعر (في العربية: **أزر** الزرع أي قوّى بعضه بعضاً، فالتفّ وتلاحق) وهي خصائص الشعر، [ص160].

-(**تاشّلميطت**)= شاش (في العربية: ثوب **شماطيط**= خلق متشقق) والشاش مشقق التركيب، [ص163].

-(**أمارقي**)= الغناء (في العربية: **التمريق**= الغناء) أي غرّد، [ص211].

-(**أغروض**)= الكتف (في العربية: **المغروض**= رأس الكتف) [ص240].

- (**تاكوفت**)= الخزانة (في العربية: **كفّتَ** المتاع جمعه) [ص244].

-(**إلّويغ**)= رقيق، ناعم (في العربية: طعام **لائغ**= لذيذ) [ص251].

-(**تاناوت**)= السفينة (في العربية: **النوتيُّ**= الملاّح. **نات**= تمايل) والسفينة تتمايل [ص279].

-(**تاقنيطت**)= هضبة (في العربية: **القُنَّة**= الجبل الصغير) [ص283].

-(**إزول**)= وسم الإبل بعلامات تميزها عن بعضها البعض (في العربية: **تزيّل**= تميّز. **زلتُ** الشيءَ: بيّنته) [ص290].

-(**إقرض**)= حوض، مجتمع الماء (في العربية: **فُرضة** النهر= مشربَةُ الماء، أي حوض يُحوّل في ماء النهر ويصفى ليشرب منه الناس) [ص313].

-(**تامطّوث**)= المرأة (**الطامث**، ربما تكون التسمية البدائية للمرأة في العربية) [ص340].

-(**إيمّونزغ**)= حسد (في العربية: **نزغ** بينهم= أغرى وأفسد) [ص342].

-(**إطّسّ**) و(**يقّن**)= نام (في العربية: **طسّه** في الماء= غطّسه فيه) والنوم **غطس** في اللاّوعي، وكذلك (في العربية: **قنّ واستقنّ**= كنّ وهدأ ونام) [ص345].

-(**إفغس**)= يبس (في العربية: **الفغيُ**= التمر اليابس) [ص347].

4- قد يُتهم الدكتور سعدي بإرجاع الكلمة إلى غير أصلها، فقط للدفاع عن اللغة العربية. وذلك مثل ما ورد في مادة (صوم). ففي الأمازيغية لها صوتان: (إصوم) و(إزوم) وكلاهما يعني الفعل العربي (صام). ولا نعتقد أن لها علاقة ما بالعربية (الأزم) التي تعني (الحمية والإمساك عن الطعام)، إلاّ اللهمّ إذا كان هذا اللفظ موجوداً -أصلاً- في اللغة الليبية القديمة أو (اللهجات الأمازيغية) السابقة للإسلام. لأن الأمازيغ، وكل سكان المغرب العربي، وكذلك في الشرق، يبدلون الصادَ زاياً، مثل (الزغار= الصغار).. كذلك في الأمازيغية، مثل (تزاليت= الصلاة). وإذا كان اللفظ الأمازيغي (إزوم) أصله العربي الفصيح من (الأزم)، فلا شك أن اللغة الليبية القديمة لغة عربية فصيحة وليست فقط من العروبيات القديمة.

الخلاصة:

يتضح من خلال سيرته ومقدّمته ومُعجمه، أن الأستاذ الدكتور عثمان سعدي متحرّرٌ من عقدة التعصّب للأمازيغية، وهو الأمازيغي الأصيل. بل هو متحمّس لعروبته ولغته العربية إلى درجة تأسيس جمعية مدافعة عنها وسط أجيج ما أسماهم بـ(البربريست). كما أنه متحمّس للهجته الأمازيغية، فشرح مفرداتها بصورة تحفظها من الزيف والتلاعب بها حسب الأمزجة والأهواء. وهو -بهذا العمل المنهجي المحايد- يؤسس جبهة مضادة لما يحاك ضد وطنه ولغته وعروبته ودينه في أروقة بعض المؤسسات التي تُسمّى -زيفاً- بالأكاديميات العلمية، والعلم منها براء. ويكشف -بكل جرأة وشجاعة- مخطط تلك المؤسسات المدعومة من الخارج لاستحداث ضرّة للغة العربية -لغة القرآن الكريم- سُمّيت -زيفاً أيضاً- باللغة الأمازيغية. مُعرّضاً -في سبيل ذلك- جمعيتَه وحياتَه للخطر. ويظهر من خلال مؤلفاته ونشاطاته العلمية أن اللغة الليبية القديمة إنما كانت منذ زمن بعيد متأثرة بالكنعانية الفينيقية والسبئية اليمنية، وأنها انتهت، ولم يبق منها غير لهجات محكية غير مدوّنة تُعدّ بالآلاف، وأن هذه اللهجات تأثرت أيضاً بالعربية العدنانية بعد الإسلام، وصار من الصعب فصلها عن بقية اللهجات المتداولة حالياً بين سكّان المغرب العربي، مهما تباين -في نطقها- الجرس والنبرة، واختلف -في لفظها- المدلول والمعنى.

فهل يجد أستاذنا الفاضل آذاناً صاغية وعقولاً واعية ونوايا صادقة؟

النموذج الثالث

(لسان العرب الأمازيغ.. معجم عربي/ بربري مقارن)

للأستاذ الدكتور (علي فهمي خُشيْم) من ليبيا[267]

أولا= سيرته:

---

[267] خُشيم، د. علي فهمي: **لسان العرب الأمازيغ**، ط1، 1424 ميلادية، مطابع الفاتح، مصراتة/ ليبيا.

وُلد الأستاذ الدكتور/ علي فهمي خُشيم بمصراتة بليبيا عام 1936. حصل على ليسانس آداب بالجامعة الليبية ببنغازي 1962، وعلى ماجستير فلسفة بجامعة عين شمس بمصر 1966، وعلى دكتوراه فلسفة بجامعة درم ببريطانيا 1971.

ومن الوظائف الأكاديمية عُيّن الدكتور علي: محاضراً بالجامعة الليبية ببنغازي 1962-1975، فأستاذاً مشاركاً، ثم أستاذ كرسي بجامعة الفاتح بطرابلس 1989. كما عُيّن عميد كُلّية التربية بجامعة الفاتح 1976 وأمين قسم التفسير بكلية الآداب 1987-1988، ثم عميد كلية اللغات بنفس الجامعة 1987-1988.

ومن الوظائف العامة عُيّن الدكتور خُشيم وكيل وزارة الإعلام والثقافة- ليبيا 1971-1972. ووزير الدولة، رئيس مجلس شؤون الثقافة والتعليم باتحاد الجمهوريات العربية بالقاهرة 1972-1975. وعضو المجلس التنفيذي لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) بباريس 1976-1980. ونائب رئيس المجلس التنفيذي لليونسكو 1978-1980. ورئيس مجمع اللغة العربية بليبيا من 1994 إلى الآن. وانتخب عضواً بمجمع اللغة بالقاهرة 2003. كما أنه عضو اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، وعضو لجنة المُعجم التاريخي للغة العربية.

وقد سبق له نشاط ثقافي واسع، كتأسيس المجلات ورئاسة تحريرها والإشراف عليها والتحرير بها، والمشاركة في تأسيس الهيئات ومراكز البحوث..[268]

وللدكتور علي فهمي خُشيم مؤلفات ومترجمات عديدة في الفلسفة واللغة والتاريخ والآداب.. يربو المنشور منها عن الأربعين مؤلفاً، بدأها سنة 1966 بـ(النزعة العقلية في تفكير المُعتزلة). فكان من بين تلك المؤلفات -على سبيل المثال-: (حسناء قورينا) مسرحية 1967. (الجُبّئيان) عن المُعتزلة 1968. (نصوص ليبية) تراجم لما كتبه اليونان عن ليبيا 1968. (قراءات ليبية) في تاريخ ليبيا حتى الفتح الإسلامي 1968. (الحركة والسكون) في موضوعات مختلفة 1973. (الحاجية) من ثلاث رحلات في البلاد الليبية 1974. (Zarruq the Suffi) بالإنكليزية 1974. (أحمد زرّوق والزّرّوقية) من أعلام التصوف في شمال أفريقيا 1975. (دفاع صبراتة) النص الكامل لدفاع أبوليوس في محاكمته بمدينة صبراتة 1975. (نظرة الغرب إلى الإسلام في القرون الوسطى) ترجمة 1976. (أيام الشوق للكلمة) مقالات وبحوث ودراسات 1977. (حسّان) مسرحية جيمس فلكر 1977. (حديث الأحاديث) مناقشة الشيخ متولّي شعراوي 1978. (كتاب الإعانة لأحمد الزّرّوق) تحقيق وتعليق 1979. (إينارو) رواية تاريخية 1996.. وغير ذلك من المؤلفات المتنوعة..

---

[268] موقع مجمع اللغة العربية المصري (arabicacademy.org.eg.)

أما ما يمسّ علوم اللغة فكان له -على سبيل المثال-: (بحثاً عن فرعون ليبي) في اللغة والتاريخ الليبي 1985. (رحلة الكلمات الأولى) (والثانية) مقارنات بين العربية واللغات الأوروبية 1986 و1998. (آلهة مصر العربية) مجلّدان 1990. (سِفر العرب الأمازيغ)، مُلحق به (لسان العرب الأمازيغ) مُعجم عربي/بربري 1996. (هل في القرآن أعجمي؟) 1997. (اللاتينية العربية) 2001. (هؤلاء الأباطرة وألقابهم العربية) عن أباطرة الرومان 2002. (القبطية العربية) 2003. (الأكّدية العربية) 2005. (العرب والهيروغليفية) 2006. (البرهان على عروبة اللغة المصرية القديمة) 2007. (الدارجة المغربية بين العربية والأمازيغية) 2008.[269]

ثانياً= مُقدّمته ومنهجه:

يَعتبر الأستاذ الدكتور علي فهمي خُشيم مُعجمَه (لسان العرب الأمازيغ)، أنه جاء متمماً ومتوِّجاً لكتابه السابق (سِفر العرب الأمازيغ)، بل هو فصله السابع. وهو "مُعجم مقارن" الهدفُ منه تأثيل المفردات الأمازيغية (البربرية) وتأصيلها وإعادتها إلى أرومتها العروبية الأولى [المُقدّمة ص أ]. وعلى الرغم من كثرة مثل هذه المعاجم، خاصة الفرنسية منها، اختار الدكتور خُشيم (المُعجم العربي-الأمازيغي) للأستاذ محمد شفيق (الذي صدر جُزؤه الأول وقتها) لشموليته. إذ يقول: "..**لذا اتخذته منطلقاً للمقارنة التي أرمي إليها، حين أهمل هو هذه المقارنة، وكان الأجدى والأنفع لو قام بهذا العمل.. وهو قادر عليه لا شك**" [المُقدّمة نفس الصفحة]. حيث عَمِد إلى متابعة ما أثبته الأستاذ شفيق في مُعجمه مُختصراً، ثم وضع المكافأة والمقارنة بين المفردات في اللغتين (أي اللغة العربية واللهجة الأمازيغية)، وذلك بعد إعادة اللفظ إلى الجذر أو المادة في العربية. مع بعض المشتقات، "**حتى تتم المقابلة وتتضح الصورة بقدر الإمكان**" [المقدّمة ص أ،ب]. وقد وضّح بعض المسائل رآها ضرورية، منها:

1- إن عدداً من الألفاظ لم يعثر لها على مكافئ في المعاجم المتوفرة لديه، فتبيّن أن أغلبها في اللهجات العربية الدارجة، لذا، استشهد بما في الليبية والمصرية والشامية، وفي بعض الأحيان، بلهجة عرب الخليج أو السودان أو المغرب العربي.. وكلّها لهجات عربية.

2- هناك أيضاً مفردات تعود إلى العروبيات القديمة كالأكّدية والكنعانية والمصرية والسبئية.. مما يدلّ على عمق الصلة.

---

[269] نفس المصدر السابق، وكذلك: خُشيم: **الدارجة المغربية بين العربية والأمازيغية**، ط1، 2008، مجمع اللغة العربية، طرابلس ليبيا، صفحات أخيرة، بدون أرقام.

3- هناك ألفاظ مستعارة من الفارسية، لعلّها دخلت مع التركية، أو لعلّها جاءت في زمن قديم. وألفاظ لاتينية ويونانية عتيقة، لصلة تلك الأقوام بالشمال الأفريقي. إلى جانب ألفاظ دخيلة حديثاً من الفرنسية والإسبانية والإيطالية والإنكليزية.

4- إن عدداً من الألفاظ الواردة في مُعجم شفيق غمضت أصوله على الدكتور خُشيم وعسر تأثيله، فأرجع ذلك إلى سببين: **"إمّا لتحوّل استعماله وتبدّل دلالته عن أصله العربي بصورة أضاعت معالمه الأولى أو لقصور معرفتي وقلّة زادي.."** [المقدمة ص ج].

ثالثاً= قواعدُه:

لم يورد الدكتور خُشيم شيئاً عن النحو (الأمازيغي) في مُعجمه (لسان العرب الأمازيغ) وإنما شرح ذلك بالتفصيل في كتابه (سِفر العرب الأمازيغ) السابق والممهّد له[270]، في باب مُعنون بـ(كتاب الأجَرُّوميّة).. حيث يرى الدكتور خُشيم أن النحو في اللهجات الأمازيغية يظل قريبَ الصلة بما في العربية (اللغة المشتركة) عند النظر، فإذا شذّت عنها وجب البحث في (الأعماق)، أي متابعة هذه الصلة والرجوع بها إلى أصولها. ولصعوبة متابعة كلّ اللهجات الأمازيغية -وما أكثرها- اعتمد الدكتور خُشيم على مصدر واحد، فاختار محاولة الأستاذ محمد شفيق في وضع دروس خاصة بـ(النحو الأمازيغي). ونورد -هنا- مُختصرات لبعض القواعد التي نعتبرها ردّا علمياً على ما جاء في تلك الدروس:

1- **<u>الاسم المذكّر</u>**: ويبدأ في الأمازيغية بهمزة (مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة)، ويرى -كما رأينا في استطلاعنا السابق لمُعجم الأستاذ شفيق- أن هذه الهمزة ما هي إلاّ أداة تعريف. بذا يكون التعريف في الأمازيغية أصلاً والتنكير فرعاً، كما في كل اللهجات العربية الأخرى. ويرى البعضُ أن (الـ) هي للتعريف في العربية، وأصلها (ها) التي هي للتنبيه في العروبية القديمة، كالعبرية مثلاً [السِّفر ص3-17]. وسواءٌ قلنا بـ(ال) للتعريف و(ها) للتنبيه أو الإشارة، فالواضح أن التعريف إنما هو ابن الإشارة، وأن الإشارة أبسط طريقة للتعريف بالشيء. **"والدليل على أن الهمزة ليست أصلية في الاسم المفرد المذكّر الأمازيغي أنها كثيراً ما تُحذف في اللهجات الزناتية"** [السِّفر ص3-19]، فيقال مثلاً (فوس)= (يد) بدلاً من (أفّوس)، و(سيف)= (نهر) بدلاً من (أسّيف)، و(فود)= (ركبة) بدلاً من (أفّود).

---

[270] خُشيم، د. علي فهمي: **<u>سِفر العرب الأمازيغ</u>**، ط1، 1424 ميلادية، دار نون للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس/ليبيا.

2- **الاسم المؤنّث**: يرى الدكتور خُشيم -كما رأينا في صفحات سابقة- أن ظاهرة تاءي التأنيث (سابقة ولاحقة) ليست خاصّة بالبربرية. ويشير إلى أن التاء في اللغة القِبطية تسبق الاسم المذكّر فيصير مؤنّثاً، مثل (ليي-ألُويْ)= الولد← (ت-ألُويْ)= البنت، (ليي-إجي)= الثور← (ت-إيجي)= البقرة.. وفي الأمازيغية قد لا تكون التاء السابقة خالصة للتأنيث مثل التاء اللاحقة، وإنما قد تكون للتعريف بالمؤنث والإشارة إليه، وهنا ينطبق عليها ما ينطبق على الهمزة في الاسم المذكّر، فيقال مثلاً (أدرار)= الجبل (مذكّر)، و(تافوناست)= البقرة (مؤنث). أما التاء الملحقة بالاسم المذكّر لتفيد التأنيث فهي قاعدة عامة في جميع اللغات العروبية، وفي العربية بصورة خاصة، **"وقد كانت هذه التاء منطوقة في اللغات العروبية وعند بعض القبائل العربية"** [السِفر ص3-23]. وعندما صارت الكتابة بالمداد رُسمت التاء مفتوحةً لا مربوطة لأنها -كما قال الدكتور خُشيم- تُنطق في سياق الكلام ولا تقف على السكون وتصير هاءً كما هو الحال الآن.

3- **التصغير والتكبير**: ذكرنا في ما مضى من صفحات أن الاسم المذكّر في الأمازيغية يُصغّر على صيغة مؤنثه، فاستهجنّا ذلك، إلاّ أن الدكتور خُشيم يذكرّنا -في هذا السِفر- بعادة متّبعة في اللهجة المحلية الليبية، وهي تصغير أسماء العَلم المذكّرة بواسطة تأنيثها عند التودّد والتحبّب، مثل: خالد (خْلودة)، محمد وأحمد ومحمود (حمودة) و(احميدة)، علي (عْليوة).. حتى الأسماء المُركّبة، مثل: عبد الله (عْبودة)، عبد العظيم (عْظومة)، عبد الفتّاح (فْتوحة).. وفي نفس السياق يرجّح الدكتور خُشيم أن **"حمزة وطلحة ومعاوية وعنترة.. وغيرها جاءت على صيغة المؤنث مع أنها أسماء ذكور، نشأت عن تصغير التحبّب كما هو الحال في الليبية"** [السِفر ص3-33]. أما التكبير في الأمازيغية فهو عكس التصغير، حيث **"يكبّر الاسم المؤنث على صيغة مذكّره ما لم يكن له مذكّر من لفظه"** [السِّفر ص3-34]. مثل (تاديست)= البطن← (أدّيس)= البطن العظيم، (تادارت)= البيت← (أدّار)= البيت الكبير، (تامطّوث)= المرأة← (أمطّو)= الفحلة من النساء.. وفي هذه الأمثلة يتّضح أن **"تكبير المؤنث هنا ليس سوى إعادته إلى صيغة المذكّر بحذف تاء الإشارة وتاء التأنيث"** [السِّفر ص3-34].

4- **الفعل**: يُقسّم الفعل الأمازيغي -من حيث أزمنته- إلى ما يُسمّى (الماضي المُثبت، والحاضر المُثبت، والمستقبل المُثبت، والأمر):

أ-الماضي المُثبت، مثل: (إسْوا)= شَربَ.

ب-الحاضر المُثبت، مثل: (أريسّا)= يشرب الآن، أي في الوقت الحاضر. وهذا يُقابلُه (المضارع المُستمر) في بعض اللغات، ولم يُعرف في العربية الفُصحى. إلاّ أننا نجد أن الأمازيغية (أريسّا) بفتح الهمزة والراء تنتسبُ إلى (تاووري)، بمعنى (عمل)، وفي المصرية القديمة (إري)،

وفي العربية (أري)= عمل، فتكون الأمازيغية (أريسّا) كالشامية (عَمْ يشرب) والمصرية (عمّال يشرب)، و(عَمّ) المجتزأة من (عمّال) تعود إلى الجذر العربي (عمل) [السِّفر ص3-74].

ج- المستقبل المُثبت، مثل: (أد يسّو)= سيشرب، المستقبل فيه معاودة، أي سيشرب ويعاود. ونلاحظ أن الـ(سـ) المستقبلية التي في الفُصحى انعدمت في اللهجات العربية، ففي الليبية: (بنشرب)= والباء مُجتزأة من (نبّي)= أبغي: أي أريد في المستقبل، وفي المصرية (حشرب) وأصلها (رايح أشرب)، وفي المغربية (غادْ نشرب)= أي غادٍ: ماضٍ-أشرب. ولعلّ (غادٍ) العربية المستعملة في المغرب حلّت محل الـ(سـ) العربية الفُصحى، أو هي مُبدّلة من الغين المُعجمة في (غادٍ) لقرب مخرج الصوت، فتُعتبرُ (أد يسّو) و(أد يسّا)= (سيشرب) تكافئ (غاد يسّو) و(غاد يسّا)= (غادٍ يشرب) أي سيشرب [السِّفر ص3-76].

د- أمّا الأمر مثل (سّو) و(سّا) فإن الدكتور خُشيم يوافق الأستاذ شفيق في أن القاعدة المُعتمدة في الأمر الأمازيغي، هي أن المادّة الأساسية في كل فعل تتجلى بوضوح في صيغة الأمر البسيط الموّجه للمخاطب المُفرد، وهذا ما ينطبق على العربية كذلك [السَّفر ص3-76].

5- **الجوانب (الفونولوجية):** التضعيف والإدغام والقلب والإبدال والإسقاط والقطع.. وغيرها، وهي من الظواهر التي تتفق فيها الأمازيغية مع العربية الفُصحى ولهجاتها المتداولة حالياً في الوطن العربي. إلاّ أنها في الأمازيغية أكثر. ويرى الدكتور خُشيم أن **"هذا هو السببُ الحقيقي في استغلاق فهم بعض المفردات في البداية وعسر مكافأتها بالعربية أو بإحدى أخواتها العروبيات"** [السَّفر ص3-111]. ويضربُ مثلا في التضعيف: (إضر)= إنحدر← (أطّار)= إنحدار، (يوضن)= مَرِضَ← (أطّان)= المرض.. وهذا يُشبه العربية حين تلتقي الضاد والطاء فيُدغمان ليصبحا طاءً مضعّفة (مُشدّدة)، مثل (اضطرب)← (إطّرب)، و(اضطلع)← (إطّلع).. كما أن الضاد تُبدّل طاءً، فيُقال: (غمضه حقّه) و(غمطه حقّه). كما أن الدال في الأمازيغية تُدغم في التاء، مثل (أد ثرولت)= ستهرب← (أت ترولت)= ستهرب، أو العكس، مثل (تدلوشّن)= الشفق← (دلّوشّن)= الشفق.. وهذا يحدث في العربية أيضاً مثل ما في التنزيل: (حتى إذا ادّاركتم فيها) أي تداركم، (.. فهل من مدّكر) متدكر لغة في متذكر..[السِّفر ص3-114]. أما القلب فإن حروف التحريك الثلاثة (الألف والواو والياء) تتعاقب بمفعول الصرف والتصريف، مثل: (أمادل)= الخد← (ئمودال)= الخدود (قُلبت الألفُ واواً)، و(أسردون)= البغل← (ئسردان)= البغال (قُلبت الواو ألفاً)، و(تاساروت)= المفتاح← (تيسورا)= المفاتيح (قُلبت الحركات الثلاث).. ويُعلّق الدكتور خُشيم على ذلك بالقول: **"ولا نحسب أن ثمة حاجة إلى تعليق، ففي (المقابلات) العربية للمفردات البربرية هنا نرى أن (حروف التحريك) -كما يسمّيها شفيق- يُقلب بعضها عن بعض بمفعول الصرف والتصريف. ولا ضرورة لأمثلة أخرى"** [السِّفر ص3-

116]. ويَضربُ الدكتور خُشيم أمثلةً عن إبدال الكاف شيناً، مثل (أكبار)¬ (أشبار)= القافلة، و(أكال)¬ (أشال)= التراب، و(يوكر)¬ (يوشر) سرق.. وهذا ما يُدعى في العربية باسم (الكشكشة) التي في بني سعد وفي ربيعة من قبائل العرب [السِّفر ص3-116 و117]، وقد سبق وأن ذكرنا ذلك.

6- **الاستثناء**: الأداة الرئيسية للاستثناء في الأمازيغية، هي (غاس)، مثل: (فتان مدّن، *غاس* يوسف)= جاء القوم *إلاّ* يوسف).. وتكاد (غاس) تقابل -في المدلول- جميع أدوات الاستثناء العربية: (إلاّ، غير، سِوى، خلا، ماخلا، عدا، ماعدا)، و(غاس)= (غس) هذه تكافئ العربية (خصّ) بمعنى نقص، مادة (خصص) ومنها (الخصاصة)= القلة والحاجة والفقر، أي نقص ما يُملك. وإذا قلنا: (جاء الرجال *إلاّ* يوسف) فكأننا أشرنا إلى أن الرجال جاءوا *ينقصهم* يوسف. ونضيف من جانبنا ما يقوله بعض الليبيين حالياً في هذا الاستثناء: (كل الجماعة جو *ما خاصّهم* إلاّ فلان)، أي جاء كل الجماعة *ينقصهم* فلان. وإذا سألتهم عن حالتهم المادية يجيبونك: (ما *خاصّنا* من الله خير)، أي لا *ينقصنا* من الله شيء. لذا تكون (خاص) هي نفسها (غاص) أو (غاس)، وقد ذكر الأستاذ شفيق تعاقب حرفي الغين والخاء في الأمازيغية.

رابعاً= مُعجمه:

1- يستغرق مُعجم الدكتور خُشيم (لسان العرب الأمازيغ) 366 صفحة من القطع المتوسط، وتبدأ مداخلُه العربية من الألف إلى الخاء كجزءٍ أول[271]. يقدّم الجذر العربي مسبوقاً بعلامة (*) وملحوقاً بعلامة (-)، فيستخرج منه اللفظ العربي المراد شرحه، ويشرحه بالعربية أولاً، ثم يأتي بالمكافأ الأمازيغي بتركيبات واشتقاقات مختلفة، واضعاً أمام كل منها التأثيلَ والتأصيلَ المناسبَ لها بالعربية. وهو -بهذا الأسلوب- يختلف عن الأستاذ شفيق الذي يكتفي بمقابلة اللفظ العربي بمكافئه الأمازيغي دون إرجاعه إلى أصله، أيّاً كان ذاك الأصل. كما أنه يختلف عن الدكتور سعدي الذي يقدّم تأثيله للفظ الأمازيغي باختصار شديد ولكنه مفيد ويؤدي الغرض. نتابع هذه المقارنة بين المعاجم الثلاثة، متخذّين مادة (أبر) نموذجاً لذلك:

أ- الأستاذ شفيق (المُعجم العربي الأمازيغي)[272]:

* **أبر**- الإبرة، عامّة – **تيسـﮕنيت** /ج/[273] **تيسـﮕنا، تيسينفت** /ج/ **تاسّميوين، تيسيمي** /ج/ **تيسيميوين** – الإبرة الغليظة= **ئسكني** /ج/ **ئسكنا**.- إبرة النحلة أو الزنبور ونحوهما-

[271] يورد الدكتور خُشيم في نهاية هذا الجزء الملاحظة التالية: (ويليه الجزء الثاني: بقية حرف الخاء إلى حرف الضاد).

[272] شفيق: **مصدر سابق**، ص135.

[273] /ج/= جمعها أو جمعه.

أساقس /ج/ **ئسوقاس**.- الإبرة يُحقن بها الدواء= **أساقس** /ج/ **ئسوقاس، تاساروت** /ج/ **تيسورا**.- الأبّار، صانع الإبر أو بائعها= **بو تسكنا، بو تسورا**- الأبّار الذي يأبر النخل= **أسارار** /ج/ **ئسارارن**.

ب- الدكتور سعدي (مُعجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية، البربرية)[274]:

* **أبر** | **تيسْكنتْ، إسَكْني**: إبرة عادية، إبرة غليظة. **تاسمّي**: إبرة، ش[275] | يعيدها خُشيم إلى الكنّ أي الستر، والإبرة ترقع أي تستر، عربية: السّمّ: كل ثقب ضيق كثقب الإبرة، مهم.

* **إبر** | **تاساروت**: حقنة الدواء | المسيّرة للدواء.

ج- الدكتور خُشيم (لسان العرب الأمازيغ)[276]:

* **أبر** – الإبرة عامة: **تيسـكنت**. الإبرة الغليظة: **إيسكني**. (جذرهما: گن، كن. وفي اللهجة الجبايلية: **يكني**= يستر، يرقع. والإبرة أداة الرتق وترقيع الثياب، أي الستر. العربية: كنن. **الكنُّ**: الستر، الغطاء). إبرة النحلة ونحوها: أساقس. (جذرها: قس. العربية: خزّ. الفارسية: گز= حاد، سنّ).

الإبرة الدقيقة: **تاسّمي**. (العربية: سمم. سَمُّ الخياط= عين الإبرة. من باب تسمية الكل بالجزء).

الإبرة، يُحقن بها الدواء: **تاساروت**. (المعنى الأصلي: ممر الدواء السائل. في اللهجة الليبية: الساروت= ممر الماء. العربية: سرى، يسري، مسرى).

2- يمتاز الدكتور خُشيم بالقدرة على متابعة مشتقات المفردة -عربيةً كانت أو أمازيغيةً- والغوص في أعماقها مستخرجاً منها أدلّة تضفي على الشرح تحليلاً إضافياً يخدم الموضوع ويرفعه إلى درجة عالية من الإقناع. وتكمن قُدرته تلك في معرفته بعلوم اللغة العربية، أولاً، ثم باللغات العروبية كالأكّدية والمصرية القديمة والقِبطية.. وكذلك الفارسية واللاتينية.. وغيرهما، وله فيها دراسات ومعاجم منشورة[277]. إلى جانب درايته الواسعة باللهجات العربية الحالية. فما ينفك يعود -في مُعجمه هذا- إلى تلك اللغات واللهجات، بحثاً عن أصل لجذور المفردة الأمازيغية والعربية، سواءً كان ذلك على سبيل الترجيح أو الإثبات، وذلك مثل اللغات التالية:

---

[274] سعدي: **مصدر سابق**، ص25.
[275] ش= شاوية (لهجة).
[276] خُشيم: **مصدر سابق**، ص107.
[277] أنظر قائمة الكتب المنشورة للدكتور خُشيم الواردة في الفقرة الخاصة بسيرته بهذا الفصل.

أ- **اليونانية**: في مادة (أبز) [ص9-1] أورد اللفظة العربية (الإبزيم)= حزام السرج، وقابلها بالأمازيغية: (**إفكر**) جمعها (**إفكران**)، على التشبيه بالسلحفاة باعتبار الشكل، لأن في اللهجة الليبية مثلا: (فكرونة)= سلحفاة، مذكرها (فكرون) وجمعها (فكارين)، والأرجح أنها دخيلة من اليونانية fakel(on), fakel(os) = ظرف، صوان، غلاف، أطلقت على السلحفاة من باب التشبيه.

ب- **المصرية القديمة**: في مادة (أثل) [ص7-5] أورد اللفظة العربية (أثّلَ)= تأصّل في الأرض أو في الشرف، وقابلها بالأمازيغية: (**إوت يزوران**) حرفياً: ضرب الجذور. (العربية: **أتَّ**= غلب، قهر، ضرب. المصرية القديمة: **أت**= ضرب. أما **يزوران**، فجذرها (**زر**). والمعنى الأصلي: الثبات، مثلما تثبت الجذورُ النبتَ في الأرض. العربية: (**زرر**= ثبت). وكذلك في مادة (أرب) [ص7-10]، التي قابلها بالأمازيغية (**إونف**)= أربَ الشيءَ، أي كَلِفَ به. المصرية القديمة: **ونف**= فرح، سرور، جذل. وصلتها بالكَلف (محبة الشيء واضحة).

ج- **الأكّدية**: في مادة (أجر) [ص7-5] أورد اللفظة العربية (الآجر)، وقابلها بالأمازيغية (**تالابيت**). في الأكّدية: **لِبِتُّو**. وفي العربية: **لَبِنَة**. وكذلك في مادة (أرض) [ص712]، التي قابلها بالأمازيغية (**أكال**)= الأرض. العربية: **حقل**. قارن الأكّدية: **أكْلو**. وكذلك في مادة (جنب) [7-194]، أورد اللفظة العربية (الأجنبي) التي قابلها بالأمازيغية (**أنفور**). في المصرية القديمة: **نكر**، وفي الأكّدية: **نكَارو**= غريب، أجنبي. تكافئ العربية: **نكر**. وكذلك: **نفر**، ومنها: النفور= الجزع، وفيه معنى البُعد عن الغريب الأجنبي.

د- **السُريانية**: في مادة (أنس) [7-27] أورد اللفظة العربية (الآنسة، الفتاة غير المتزوجة) وقابلها بالأمازيغية (**تاعرّيمت**). جذرها (عرم) والتاءات للتأنيث، الراء فيها مبدّلة من اللام. في السُريانية: (**عالْما**)= فتاة، جارية. (ومن هنا جاءت في اللهجة المصرية: عالمة: فتاة راقصة، مغنية، والجمع: عوالم)، ويمكن مكافأة البربرية (**تاعرّيمت**) والسُريانية (**عالْما**) بالعربية: (غلامة) مؤنث (غلام)، وقد حلّت العين المهملة في السُريانية والبربرية محل الغين المُعجمة العربية. وكذلك في مادة (بجح) [ص7-42] أورد اللفظة العربية (تبجّح) وقابلها بالأمازيغية (**إفشر**). العربية الدارجة: **فشر**= كذب، بالغ في ما يقول. وفي السُريانية: **فشر**= كذب.

هـ- **الفارسية**: في مادة (أنق) [ص7-28] أورد اللفظة العربية (الأنيق، المتأنق) وقابلها بالأمازيغية (**أمهيار**)، التي يمكن مقابلتها بالفارسية (**مهرو**)= وجه قمري، جميل. (**مهوار**)= مثل القمر. وكذلك في العربية: (**مهر**) ومنها: المهارة= الحذق في كل شيء، ومن ذلك حذق اللباس، أي الأناقة.

و- **الحبشية**: في مادة (بقر) [ص7-68] أورد اللفظة العربية (البقرة) وقابلها بالأمازيغية (**تافوناست**). البقر= **إفوناسن**. (العربية: **يفن**. من أسماء البقرة: **اليفنة**. **اليُفن**: الثيران الجِلّة، واحدها: **يَفَن**. قارن الحبشية: **تايفن**= بقرة. والسين في البربرية (زائدة).

ز- **العبرية**: في مادة (بلط) [ص7-73] أورد اللفظة العربية (بلّط، المكان) وقابلها بالأمازيغية (**إسكفف**). البلاط= **أكفاف**. في السريانية (**كيفا**) والعبرية (**كِيْف**)= حجر، وهو ما يُبلّط به. وكذلك في مادة (جوه) [ص7-215]، أورد اللفظة العربية (جاه) وقابلها بالأمازيغية (**أدّور**)، القدر والشرف وعلوّ المنزلة. (**بو وادّور**)= ذو جاه. (في العربية: **قدر**. في الكنعانية: **أدر**= القوي، الشريف. في العبرية: **أدّير**). نلاحظ في كل هذه الألفاظ إبدال القاف بألف.

ح- **الكنعانية**: في مادة (جبس) [ص7-133] أورد اللفظة العربية (الجبس، الذي يُبنى به) وقابلها بالأمازيغية (**أنـگميرس**). جذرها (**گمر**)، والسين مزيدة. في الكنعانية (**همر**)= طين، وهو ما يُبنى به في القديم. وفي اللهجة الليبية (**خمرة**)= خليط الجير والرمل يُبنى به. وفي اللهجة المصرية (**حمرة**) بالحاء المهملة= خليط الاسمنت والآجر المسحوق. وكذلك في مادة (جبل) [ص7-134] أورد اللفظة العربية (جَبَل، خلق) وقابلها بالأمازيغية (**إغنا**). الجِبِلّة= **تاغنّاوت**. (جذرها: **غن**= **كن**. في الكنعانية: **كن**: جذر كون. العربية: كون= كوَّن، يُكوّن، تكويناً= خلق).

الخلاصة:

حسب التقسيم الذي يريد فرضه دعاة (النزعة الأمازيغية) في المغرب العربي، يكون الدكتور علي فهمي خُشيم (عربياً). وهذا يجعل أصحاب تلك النزعة يتهمونه وأمثاله بـ(العروبية)، كما لو كانت العروبة (كفراً). مثلما يتهمون الدكتور عثمان سعدي (الأمازيغي الأصيل) وأمثاله بـ(الردّة). لقد غشت الأنانية والانتصار للذات عيونهم، وأوغر الحقدُ على العروبة والإسلام في قلوبهم، وصمّت إدّعاءات الأعداء آذانهم، فاتخذوا الشعارات المنادية بحرية الرأي والثقافة والأديان والاعتراف بالآخر منابر لبث الاختلاف مع الآخر، فقط من باب (خالف تُعرف). وبعد أن فشلوا في إثبات الأصول والانتماءات العرقية والإثنية وعجزوا في تفريق الدماء، راحوا يحاربون اللغة العربية، ويفسدون دورها في توحيد أبناء المغرب العربي الكبير، وذلك بخلق ضرّة تنافسها، مستغلّين في ذلك البحث العلمي ووسائل النشر والاتصال -وما أكثرها في عصرنا هذا-، ومستفيدين من مساندة مؤيدين لهم في الداخل والخارج، فنادوا بتعميم (اللغة الأمازيغية) وفرضها على وسائل الإعلام ومؤسسات التعليم، بل واتخاذها لغة رسمية لـ(الأمة المغاربية) بدلاً من اللغة العربية (الغريبة) القادمة من الشرق، وهم من الشرق براء! فانبرى المخلصون من أبناء هذا المغرب العربي الكبير

يقارعونهم الحجة بالحجة، ويفنّدون مزاعمهم بخصوصية التاريخ والثقافة واللغة (الأمازيغية)، متخذّين في سبيل ذلك البحث العلمي الجاد والأسلوب المنهجي المُقنع في منأى عن التعصّب والتشنّج. فكانت حصيلة ذلك مجموعة من البحوث والدراسات والمعاجم والمؤلفات المبنية على أصدق وأقدم المصادر التاريخية، بل والمفنّدة للمصادر الموضوعة والمصنوعة وكشف نوايا أصحابها، وإظهار الحقائق العلمية التي تؤكد عروبة اللهجات (الأمازيغية) وتجعلها تسير على خط واحد مع اللهجات العربية المتداولة في الوطن العربي مشرقه ومغربه.

الباب الثالث

الكتابة الليبية القديمة

الفصل الأول:

الكتابة الليبية القديمة

الرسوم الكهفية من الكتابة التصويرية إلى الأثر الهيروغليفي

الفصل الثانـي:

الأبجدية الفينيقية والكتابة النوميدية

تأثير الحروف الفينيقية الكنعانية على الكتابة الليبية إبّان الدولة القرطاجية

الفصل الثالث:

التيفيناغ

اهتمام التوارق بالكتابة والديمومة على استعمالها

الفصل الأول:

الكتابة الليبية القديمة

الرسوم الكهفية من الكتابة التصويرية إلى الأثر الهيروغليفي

تمهيد:

لم يستخدم ليبيو المناطق الجبلية الجنوبية -كغيرهم من شعوب العصور الحجرية المتأخرة- حروفاً معيّنة لتدوين وتسجيل أمورهم اليومية، وكل ما استعملوه كان رسوماً تمثل مشاهد الصيد واستئناس الحيوانات ومراسم يبدو أنها دينية، وغير ذلك من الأفكار البدائية التي كانت سائدة وقتذاك. فقد وُجدت آلاف الصخور المرسومة في عشرين موقعاً، في ليبيا الحالية وحدها، **"معظمها في فزّان -في زاوية براك ومرزق وسبها- وفي جبال (تبستي) وفي موقع ببرقة قرب حدود مصر والسودان، وفي أربعة أماكن من جبال منطقة طرابلس أيضاً"**[278]. وقد اهتم علماء الآثار الغربيون بهذه الرسوم، فلاحظوا أن الإنسان الليبي القديم -في مرحلة العصر الحجري الحديث- بدأ يتجه إلى زيادة التعبير عن أفكاره بعد أن توفر له الوقت والقدرة الفكرية ودقة الملاحظة، **"فقام بعمل نقوش كثيرة على بيض النعام وعلى صخور الهضاب والجبال تعبّر عن مفاهيمه الاقتصادية والدينية"**[279].

وكان أول من لاحظ أهمية تلك الرسوم **"هو البحّاثة الألماني (هرنيش بارت) سنة 1850، غير أنها لم تُدرس بالتفصيل إلاّ في السنوات الثلاثين الماضية، وبقيت الكثير من الرسوم تحتاج إلى عشرات السنين لفحصها ودراستها"**[280].

وقد أعطت هذه النقوش والرسوم انطباعاً عاماً عن حياة ذاك الإنسان من حيث أساليبه المتعددة في التعامل مع الحيوانات الأليفة منها والمتوحشّة، ووسائله المحدودة المستخدمة في ذلك، وطرق التعبير عن أفكاره البسيطة، ولم يستفد الباحث أكثر من ذلك. فالرسوم المكتشفة لا تسعفه لمعرفة المزيد، وطريقة رسمها لا تمكّنه من تحديد تواريخها بالدقة اللازمة، ولكن العثور على آثار الإنسان بجوارها يساعد على تحديد بعض التواريخ التقريبية لها.

أولا= الرسوم الصخرية:

---

[278] رايت، جون: **تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور**، تعريب: عبد الحفيظ الميار وأحمد اليازوري، ط1، 1972، دار الفرجاني، طرابلس/ ليبيا، ص13.

[279] الناضوري، د. **رشيد: تاريخ المغرب الكبير**، ط؟، 1981، دار النهضة، بيروت/ لبنان، ص ص138-139.

[280] رايت: **مصدر سابق**، ص14.

1- زمن إنتاج الرسوم الصخرية:

قضى الليبيون من سكان جبل أكاكوس (وهو كتلة جبلية تقع بالجنوب الغربي من فزان قبالة مدينة غات) وينتشرون أيضاً في كل من جبل تادرارت وجبل تبيستي وإلى الشرق في جبل العوينات، ولكن أكثرها غزارةً ورسوماً صخرية تلك التي يجود بها جبل أكاكوس وجبال تاسيلي. قضى الليبيون في تلك الجبال آلاف السنين داخل وحول كهوفهم وهم يصنعون أولى الحضارات الكهفية التي كانت أسبق زمنياً من كهوف جنوب فرنسا وإسبانيا، ويعترف بذلك مثلا (شتريتر) الألماني إذ يقول عن تلك الرسوم المنحوتة على جدران كهوف الصحراء الليبية أنها **"تقدم تفاصيل عجيبة عن حياة سكان الصحراء خلال العصر الحجري لا نحلم بمثيلها في أوروبا"**[281]. غير أن عصر تلك الحياة الكهفية لم يكن متصحراً بالشكل الذي عليه الآن، بل كان عصر الأمطار الغزيرة التي جعلت المكان جنة من جنان الأرض، وقد يدل على ذلك بعض الخزانات المائية الضخمة المدفونة الآن تحت الأرض، كذلك بقايا الرسوم التي تشير إلى أنواع الحيوانات التي كان الليبيون يصطادونها أو يستأنسونها، ومن بينها حيوانات لا تقوى على العيش بعيداً عن أنباط المياه والأودية والمستنقعات. وقد قسّم العلماءُ المترددون على المكان باستمرار منذ نهاية القرن التاسع عشر تلك الحقبة إلى خمسة أو أربعة أدوار، وهي: **الدور الأول: رسوم كامدة منحوتة على الصخر تعود إلى زمن الصيادين. الدور الثاني: رسوم ملونة تعود إلى زمن الرؤوس المستديرة. الدور الثالث: رسوم ملونة من عصر الرعاة، ويبتدئ بالعصر المطير الأول وينتهي بعصر الجفاف. الدور الرابع: وهو العصر الذي ظهر فيه الحصان. العصر الخامس: وهو العصر الذي ظهر فيه الجمل**[282].

إلاّ أن تحديد الأزمان بالأرقام كان عسيراً بعض الشيء بادئ الأمر، إلى أن بدأت تلوح في الآفاق بعضُ الحلول، ولو كانت جزئية. حيث حدّد العلماءُ إلاّ المراحل الأخيرة والوسطى، أما القديمة منها فقد بقيت مشكلتها قائمة تحتاج إلى حل. ومن بين العلماء الذين تعرضوا لهذه القضية بأسلوب علمي (البروفيسور موري Professor Mori) الذي توصّل إلى بعض التواريخ وأعطانا خلاصة تقريبية لمعطيات فحوصه، فقال: **"إن نهاية عهد الصيد والصيادين يعود إلى حوالي 6000 سنة قبل الميلاد، وأن عهد الرعاة قد بدأ حوالي 5000 سنة قبل الميلاد، وامتد إلى 2800 قبل الميلاد.."**[283].

---

[281] غانم، د. عماد (إعداد): **الصحراء الكبرى**، ؟، 1979، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس/ ليبيا، ص145.

[282] لمزيد من التفصيل، أنظر: موري، فابريزيو: **تادرارت أكاكوس**، ترجمة: عمر الباروني وفؤاد الكعبازي، ؟، مركز جهاد الليبيين، ص37. كذلك موسوعة تاريخنا، ، **ليبيا من عصور ما قبل التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد**، الكتاب الأول، منشورات دار التراث، جنيف/ سويسرا، ص71.

[283] بازاما، محمد مصطفى: **تاريخ ليبيا**، ج1، ط؟، 1973. منشورات الجامعة الليبية، بنغازي/ ليبيا، ص167.

وقد توصّل موري إلى هذه النتيجة من الفحص بالكربون المشع (ك^{14}) لبقايا فحم نباتي عثر عليه في أسفل حفرية أجراها بكهف يحوي رسوماً بدائية. أما (ماك بيرني Mc Burney) الذي أجرى حفريات كهف (هوا فطيح) أو (الفتائح) غرب مدينة درنة، فقد عيّن لبداية العصر الحجري الحديث تاريخاً تقريبياً بالأرقام، أي **"إلى الألف الخامس أو السادس قبل الميلاد، مما لا ينسجم وما انتهت بنا فحوص موري وتقديراته إليه"**[284].

ومن جهة أخرى يرى بعضُهم **"أن الصحراء الكبرى كان لها دائماً طابع الصحراء تقريبا ولكنها مرت بفترات متقطعة من الخصوبة"**[285]. أي أنها لم تكن دائمة الخصوبة، ولكنه يؤكد على أن الفترة المتحدث عنها تعود إلى الألف السابع قبل ميلاد المسيح عليه السلام. وأن المنطقة تصحرت تدريجياً على مدى الخمسة آلاف سنة التالية، ثم ساءت فيها الحياة فهجر سكانها كهوفهم الموشّاة بالرسوم، وتركوها لتفعل فيها الصحراء فعلتها الشنيعة. وتأكيداً لهذا الرأي يصر كثيرٌ من المهتمين بالرسوم الصخرية أن زمن إنتاجها يتراوح بين الألف السادس والألف الرابع قبل الميلاد. ويُذكر أن الليبيين سكنوا الدلتا والصعيد في الألف الرابع قبل الميلاد، أي في الفترة التي بدأ التصحّر يظهر بوضوح في تلك الجبال، مما اضطر سكانها للهجرة نحو الشمال والشمال الشرقي.

إذن، حتى هذه التواريخ المقترحة لم يبدأ في ليبيا العصر التاريخي الموثق. لأن تلك اللوحات المرسومة لم تُستخدم فيها الرموز الكتابية التي تتحلل إلى كلام مفهوم، كما كان الحال في وادي النيل ومنطقة ما بين النهرين وبلاد الشام. بل اكتفى الليبيون القدامى من سكان تلك الجبال بإبراز فن الرسم المنحوت وطلائه بأصباغ مختلفة ألوانها. ولكن رغم ذلك فقد استفاد الدارسون والباحثون من تلك الرسوم الشيء الكثير، حتى أنهم استطاعوا أن يقدّموا لنا فكرة تاريخية عن حياة أولائك الرعاة العراة.

2- الجوانب الفنية للرسوم الصخرية:

تكمن أهمية هذه الرسوم في كونها لوحات خطية تندرج ضمن فصيلة الكتابة التصويرية (البيكتوغرافية) التي تعطي لمشاهدها بعض الدلالات الكلامية، أو على الأقل انطباعات معينة عن حياة رسّاميها وأساليب عيشهم وطرق تفكيرهم، وبالتالي تعطي للدارس فكرةً عمَّ يمكن أن يستشفه منها من عناصر تاريخية، ويكفي تقسيم الأدوار الخمسة سالفة الذكر دليلاً على ذلك. ولهذه الرسوم أهمية أخرى تكمن في المادة التي أنتجت بواسطتها حتى حافظت على خطوطها الدقيقة وألوانها

---

[284] بازاما: **نفس المصدر السابق**، نفس الصفحة.

[285] هزغو، هنري: **الصحراء الكبرى كمجال حيوي**، مقال ترجمة: مكاييل محرز وعماد الدين غانم، الصحراء الكبرى، **مصدر سابق**، ص239.

الزاهية منذ آلاف السنين إلى الآن. وهو أمر مستغرب ومحيّر. فهل يمكننا اعتبار أن حاجة ذاك الإنسان البدائي أجبرته على اكتشاف ما في الطبيعة حوله من عناصر فتحت عقله وبصيرته على علوم الفيزياء والكيمياء البسيطة في ذاك الزمن المبكر ولو بقدر ضئيل من المعرفة المتعمدة أو الصدفة المفاجئة؟ العلماء المكتشفون لتلك الرسوم يحققون لنا شيئاً من الإجابة عن هذا السؤال المفترض. فإلى جانب المعاناة اليومية المريرة والجهود المضنية التي كان يقوم بها ذاك الإنسان الحجري في توفير لقمة العيش له ولأفراد أسرته. كان يصنع السكاكين والفؤوس والسهام الحجرية لاصطياد حيوانات ضخمة لا يقدر عليها إلا بالمطاردة الجماعية أو بنصب الكمائن لها والإيقاع بها ليسهل عليه قتلها ومن ثم تقطيعها والتهامها نيّة ثم مشوية بعد اكتشاف النار. والقيام بهذه المهام يحتاج إلى مهارة عالية في تطويع الحجارة لتصير أدوات سهلة الاستعمال يمكن التفريق فيها بين المقبض الآمن والنصل الحاد المؤدي للوظيفة، وإضرام النار في الأعشاب اليابسة والأخشاب الجافة لتصير وقوداً يستفاد منه في طهي الطعام والتدفئة وطرد الوحوش الخطيرة. كما تتطلب قدرة فكرية بالمستوى الذي يتيح له نصب الكمائن والتحايل على إسقاط فريسته من الأعالي -حسب حجمها ونوعها ومكان وجودها- أو جلبها إلى الأماكن التي تخور فيها قواها وتشعر بالوهن ثم تستسلم وتتيح سرعة اصطيادها. كل ذلك ساعد الإنسان على تنشيط حركته العضلية والجسمية تماماً مثلما ساعده على تنشيط حركته الفكرية والعقلية. ومهما كانت الغاية من تلك الرسوم، هل هي تعاويذ سحرية لطرد الأرواح الشريرة ومباركة مغانم الصيد، أو هي وسيلة من وسائل الإيضاح وشرح الدروس في الصيد للأطفال وتدريبهم عليه، أو هي رسم مسبق للخطط والعمليات المزمع القيام بها في الغد، أو هي طريقة من طرائق قتل الفراغ عندما تثور الطبيعة في الخارج باضطراباتها الجوية من أمطار وزوابع ورياح وعواصف وغيرها، أو هي رسوم من صنع النساء دون الرجال تمارس من خلالها الزوجة هوايتها من قبيل التسلية وانتظار عودة الزوج.. ومهما تعددت الأسئلة وتنوعت الافتراضات إلاّ أنها تفرض علينا الاعتراف بأن مجرد التفكير في رسمها يعطي الانطباع بقدرة ذاك الإنسان على صنع حضارة لم تكتف بصنع الأدوات والأسلحة الحجرية فحسب وإنما ارتقت إلى مصاف الفنون الجميلة التي نقيم لها اليوم الجامعات والمعاهد والمدارس، ونستورد لها أصناف الأصباغ والألوان والفرش والسكاكين الخاصة والسطوح الورقية والخشبية والقماشية وغيرها. أما سكان أكاكوس فقد أوجدوا كل ذلك من المواد الأولية التي تجود بها البيئة من حولهم وصنعوا لوحات فنية لم تتأثر بالسريالية ولا الكلاسيكية ولا التجريدية ولا التكعيبية.. ولا بغيرها من مدارس الفنون التشكيلية المعروفة، بل كان كل ذلك من صميم أفكارهم البدائية التي تعتمد فقط على الطبع والسليقة والفطرة.

وبالعودة إلى الأحبار والأصباغ والدهون والألوان المستعملة في تلك اللوحات يندهش المرء إذا علم أن البحوث التي أقامها العلماء على التحليل الكيميائي لتلك المواد أظهرت أن سكان جبلي

أكاكوس وتادرارت استخدموا خلطات كيميائية من هيدروكسيد الحديد ممزوجة بلازب مقاوم يرجع إليه الفضل في احتفاظ اللوحات بألوانها كل هذه المدة. وربما كان ذاك اللازب مستخرجاً أو مستخلصاً من دهون الحيوانات أو النباتات أو بياض البيض. وقد كشفت البحوث عن وجود مواد بروتينية من نوع كاسئين الحليب. ولهذا اللازب ميزات غير عادية في البقاء[286]. وقد تُستثنى هذه المواد الأصيلة في اللوحات من المواد الأخرى العالقة بها نتيجة غزو مائي أكسبها طبقة من الجص الأبيض البلوري، إلاّ أن البعض يرشح أن تلك الطبقة كانت مقصودةً من الرسام نفسه وليست بسبب عوامل الطبيعة.

أما عن الأداة التي تم بها طلاء مساحات الرسوم اللونية والخطوط الرفيعة المحددة لمحتوياتها فهي فرش دقيقة جدا، ولا يبالغ الدارسون لهذه اللوحات عندما يقولون أنها أكثر دقة مما يستعمله الفنانون في عصرنا هذا. فقد تصوروا أن تلك الأدوات لا تغدو كونها فرشاً حقيقيةً مصنوعة من شعر الحيوانات أو من ريش الطيور ولكن بدقة مكّنتهم من إخراج لوحات غاية في التناسق الشكلي والتناغم اللوني المتنوع بين أصفر وأخضر وأحمر وأحيانا أسود، تعكس -في مجملها- ذوقاً رفيعاً خالصاً وموهبة على درجة عالية من الصقل والتمكّن التقني.

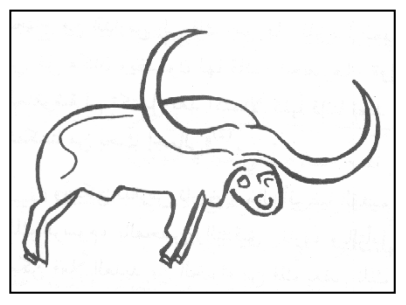
3- محاولة قراءة الرسوم الصخرية:

لا يحتاج الدارس لتاريخ ليبيا القديم إلى الآلية التي استخدمها (شامبليون) و(غروتفند) عندما فكّا رموز الكتابة الهيروغليفية في وادي النيل والكتابة المسمارية في بلاد الرافدين، بقدر ما يحتاج إلى فحص الأدوات وتحليل المخلفات وتأمل الرسوم المنحوتة على الصخر، حيث يقول (جوليان أندري): **"خلّف لنا الأفارقة الذين عاشوا في عصور ما قبل التاريخ زيادة على آلاتهم وبقايا مآكلهم صخوراً منقوشة يسميها الأهالي (الحجرات المكتوبة)، وكانت هذه الحجارة الموجودة بكثرة في عدة جهات من أفريقيا الشمالية مادة للأبحاث التي قام بها (ج. ب. فلامون) مدة أربعين سنة"**[287]. ورغم خلوّ هذه الحجارة من الكتابة إلاّ أن (فلامون) يسميها (الحجارة المكتوبة Les pierres écrites)، لاعتقاده أنها تمثل نوعاً من كتابة تحتاج من الدارس إلى فك رموزها. لذا، بدأ المهتمون بها يلاحقونها بالبحث والدراسة ويضعون لها قوائم لحصرها، **"وإذا كانت قائمة هذه الصخور المنقوشة لم تكتمل بعد اكتمالاً كلياً، فإننا نجد بين أيدينا جملة وثائق كافية لتمكيننا من بحث**

[286] هزغو: **نفس المصدر السابق**، ص42.
[287] وهو باحث فرنسي أصدر كتابا عن تاريخ هذه المنطقة سنة 1921 بعنوان (الحجارة المكتوبة)، أنظر: جوليان، شارل أندري: **تاريخ أفريقيا الشمالية**، تعريب: محمد مزالي وبشير بن سلامة، ط؟، 1969، الدار التونسية للنشر، ص58.

إجمالي"[288]. ويمكن للدارس أن يشرح تلك الرسوم، بالفحص والتدقيق تارة، وبالتأمل والتخيّل تارة أخرى. وقد تمكّن فعلاً العديدُ من الخبراء من فك بعض أسرار تلك الرسوم، والخروج منها بنتيجة مرضية حول حياة الإنسان الليبي القديم. ويمكننا هنا أن نلخّص بعضها في العناصر التالية[289]، وذلك بقصد البرهنة على القيمة التاريخية التي احتفظت بها تلك الرسوم على مدى آلاف السنين:

- ظهور رجال عراة يطلقون السهام على الوحوش الضخمة (دليلاً على بدائية الإنسان الليبي القديم).
- ظهور الفيَلة والزرافات ووحيد القرن والحيوانات البرية التي ترعى السافانا والحشائش (دليلاً على وجود حياة خصبة واسعة).
- ظهور التماسيح وأفراس النهر (دليلاً على وجود أنهار ومستنقعات نتيجة غزارة الأمطار).
- ظهور الجاموس القديم، وهو حيوان ذو قرنين طويلين جدا (دليلاً على أن الزمن الذي رُسم فيه هذا الحيوان هو آخر عصر البليستوسين).



تمثل الصورة حيوان (الثيتل)، وادي دجيرات في تاسيلي.[290]

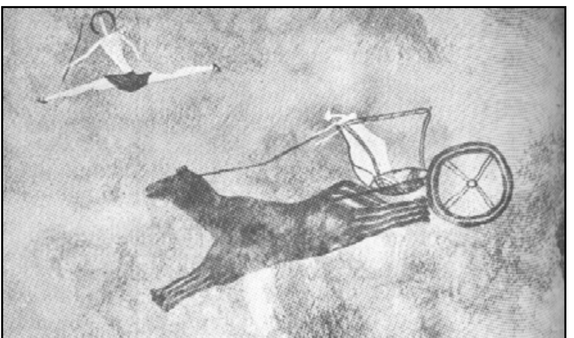
- ظهور الملامح الزراعية وتربية الحيوانات (دليلاً على تطور فكر الإنسان الليبي القديم وسعيه للاستقرار وتحسين ظروفه الاقتصادية والمعيشية).
- ظهور الحصان الذي يشبه الحمار (دليلاً على بداية استئناس هذا الحيوان القادم من الشرق).

---

[288] جوليان: **نفس المصدر السابق**، نفس الصفحة.
[289] استخلصنا هذه المعلومات من العديد من المصادر يصعب تصنيفها، مع زيادة وتصرف.
[290] (الأصل من تصوير Brugmann)، أنظر: غانم (إعداد): **الصحراء الكبرى، مصدر سابق**، ص80.

- ظهور لابسي جلود الحيوانات وريش الطيور (دليلاً على دخول الإنسان الليبي القديم مرحلة أكثر تطور خاصة في مجال اللباس والتفنن فيه).
- إشارات لوجود ندرة في الحيوانات المتوحشة لاستيلاء الإنسان الليبي القديم على الحيوانات النافعة وتسخيرها في مجال الزراعة.
- اختفاء صور بعض الحيوانات خصوصاً النعامة من النقوش (دليلاً على انقراض هذه الحيوانات بفعل العصر الجليدي).
- ملاحظة زحف الصحراء على الآجام والسافانا بسبب ندرة الأمطار. وعند نهاية عصر ما قبل الميلاد اندثرت الحيوانات الأليفة أو هاجرت، وتوقف الرسّامون عن نقش صور الحيوانات، وحل الماعز والجمل مكان البقر (دليلاً على انتشار حيوانات صحراوية تتحمل قسوة الجفاف).
- وجود رسوم للأشياء، من بينها الخنجر (دليلاً على أن الإنسان الليبي القديم توصل لاستعمال النحاس أثناء العصر الحجري الحديث)، وقد تم فعلاً العثور على بعض الآثار النحاسية، ولكن في مرحلة زمنية تالية.
- إلى جانب بعض الرسوم التي لا يعرف معناها سوى ذاك الإنسان الذي رسمها، قد تحمل مفاهيمه تجاه بحثه عن الأمان والاطمئنان والانتصار على قوى الشر. وهناك إمكانية وجود غاية سحرية وراء بعض تلك الرسوم.
- سِمات حضارية تشبه تلك التي ظهرت في مصر (دليلاً على وجود صِلات حضارية بين ليبيا ومصر منذ القديم)، وذلك مثل:
- رسم الكبش الذي يحمل بين قرنيه قرص الشمس، ويشبه الشكل الذي رمز به قدماء المصريين للإله (آمون رع).
- في برقة ووهران وجدت رسوم لرجال ذوي خصلة شعر جانبية ويرتدون قُمصاناً وأحزمة عريضة. وقد ذكرت الوثائق المصرية خصلة الشعر كعلامة تميز بها الكهنة المصريون، والمعلوم أن رؤساء الكهنة في مصر كانوا من قبائل المشواش الليبية.
- رسم رجل ترك ذقنه بشكل يذكّر الباحث بطريقة الإله (أوزير) المصري، وقد وُجدت مثل هذه الرسوم بجنوبي طرابلس (يعود تقريبا إلى ما بين منتصف الألف الثالث ومنتصف الألف الأول قبل الميلاد)، وهي فترة تقابل فترات هامة في صميم العصر التاريخي في مصر القديمة.

• وكان للجرمنتيين دور هام في هذه الرسوم. فهم صنّاع الحضارة الصحراوية في فزّان القديمة، حيث كانوا يرعون تلك المواشي ذوات القرون الطويلة، **"وربما كانوا هم الذين أحضروا الحصان والعربة من مصر"، "وفي متحف القلعة بطرابلس نموذج لهذه العربات"**[291]. وقد تمكنوا بفضل تحملّهم البقاء في تلك المنطقة بعد جفافها من السيطرة على مداخل ومخارج الصحراء مدة تزيد عن **"ألف عام"**[292] قبل الميلاد. وقد اعتبرت آثارهم بمثابة كتابة تمكّن العلماء من سبر أغوار تاريخهم وتحديد معالم حضارتهم.



تمثل الصورة عربة جرمنتية تجرها أربعة خيول (دور الحصان)[293].

ثانياً= علاقة ليبيا بمصر من خلال الرسوم الصخرية:

1- لوحات وادي جبّارين:

اكتشف الباحث الفرنسي (هنري لوت Henri Lhote) آلاف الرسوم في منطقة (تسيلي) جنوب غربي ليبيا الحالية، وألف فيها كتاباً بعنوان: (لوحات تسيلي). ومن أهم اللوحات المكتشفة

---

[291] رايت: **مصدر سابق**، ص ص17-18.
[292] رايت: **نفس المصدر السابق**، ص18.
[293] أنظر: موري: **مصدر سابق**، ص215.

كانت في وادٍ قديم يطلق عليه الأهالي اسم (وادي جبّارين)، وهي تعني في لغة التوارق كما يقول (لوت): "**العمالقة**"[294]. والعمالقة هم من أصطلح على تسميتهم بالجبابرة (أو الجبّارين) من أبناء كنعان، وموطنهم الأصلي فلسطين والشام. ومن بين تلك اللوحات لوحتان مهمتان وملفتتان للنظر، كوّنتا لغزاً محيّراً لـ(لوت)، ولم يستطع قراءتهما، واكتفى بإعطائهما عنوانين، الأولى: (لوحة الآلهات الصغيرات)، والثانية: (لوحة القربان). وكان يشك في "**أن رسّاميها إما أن يكونوا من الأسرى أو من التجار المصريين الذين وُجدوا بتسيلي، وإما أن الليبيين أقاموا بمصر إرادياً أو كأسرى وهم الذين حملوا لوطنهم من مصر هذا الأسلوب في الرسم**"[295]. غير أنه يرى في موقع آخر أن بعض محتوياتهما تشبه تلك التي ظهرت في مصر قبل تأسيس الأسرات[296]، أي في حدود الألف الرابع قبل الميلاد، وهو الزمن الذي تواجد فيه الليبيون في الدلتا والصعيد كما سبق الذكر.

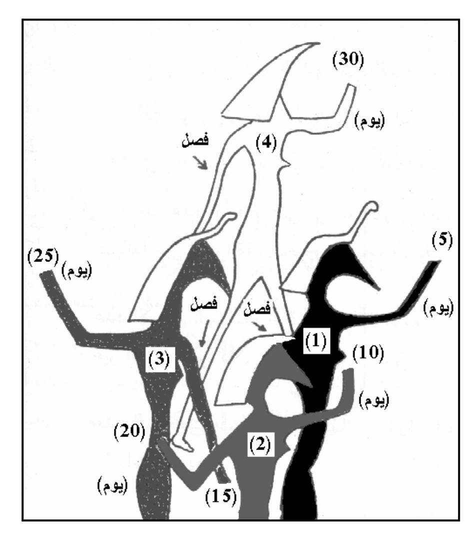
إلاّ أن الباحث الليبي (محمد بازاما) لم يبق مكتوف الأيدي أمام هاتين اللوحتين. فبعد أن قدّم وصفاً دقيقاً للوحتين حاول تفسير معانيهما، رغم أنه لم يتحرر من مسألة مطابقة أسلوب الرسم الليبي بالرسم المصري، بل أضاف عليهما تأكيده للشبه بين شخصيات اللوحة الليبية بالإله (تحوت) المصري، وهو معبود المقاطعة الخامسة عشر من مقاطعات مصر العليا أو الصعيد. وكثيراً ما ترد مثل هذه المقارنات، فرسم الكبش الليبي المذكور آنفاً، وهو الحامل بين قرنيه قرص الشمس، يشبه إلى حد كبير الأمثلة المصرية، وبعض الرسوم البشرية التي تشبه الإله (أوزيس) أو الإله (بس) المصريين[297]. ولكن لوحتي (لوت) التي تناولهما (بازاما) بالدرس لهما شأن آخر، حيث تمكّن هذا الأخير من جعلهما ذات دلالة، وشرح كل حركة فيهما بأسلوب منطقي[298]، وهذا مجمل شرحه:

أ- اللوحة الأولى (الآلهات الصغيرات):

وهي عبارة عن لوحة رُسمت عليها أربع فتيات عاريات باستثناء غطاء الرأس، يقمن بحركات يدوية كما لو كنّ يرقصن. وقد مهّد بازاما شرحه لهذه اللوحة باستعراض التقويم المصري، ثم استخرج منه أربعة أرقام مهمة، وهي: الرقم (3) الذي يرمز إلى عدد الفصول، والرقم (4) الذي يرمز إلى عدد الأشهر في الفصل الواحد، والرقم (30) الذي يرمز إلى عدد الأيام في الشهر الواحد، والرقم (5) الذي يرمز إلى أيام النسيء التي زادها (توت) فأصبحت السنة المصرية 365 يوما. وبدأ في مطابقة ذلك على اللوحة الليبية، فوجد أن عدد الأيدي المرسلة كان (3). وأن عدد الآلهات كان

---

[294] لوت، هنري: **لوحات تسيلي**، تعريب: أنيس زكي حسن، ط1، 1976، مكتبة الفرجاني، طرابلس/ ليبيا، ص69.
[295] لوت: **مصدر سابق**، ص72.
[296] بازاما: **مصدر سابق**، ص221.
[297] الناضوري: **مصدر سابق**، ص ص140-150.
[298] الصويعي، عبد العزيز سعيد: **أصول الحرف الليبي**، ط1، 1999، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة/ ليبيا، ص238-246.



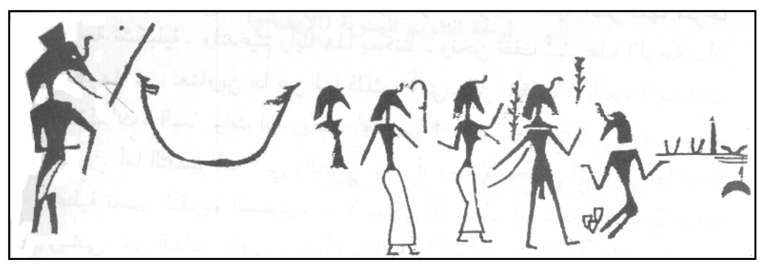
(4). وأن عدد الأصابع غير المخفية كان (30). وأن عدد الأيدي المرفوعة كان (5). وقال شارحاً لذلك: **"من الجائز أن تكون المعبودات الأربع رمزاً للأشهر الأربعة التي يتكوّن منها كل فصل، وأن تكون الأيدي المرسلة الثلاث يرمزن إلى الفصول الثلاثة، والأيدي الخمس المرفوعة إلى أيام النسيء الخمسة، والأنامل غير المستورة رمز لعدد أيام كل شهر"**[299].

وإذا جاز ما شرحه (بازاما) فإن (لوت) كان محقًا عندما توقع أن تطالعه نصوص هيروغليفية يمكن أن تفسر لوحات جبّارين. فبعد شرح بازاما السابق يمكننا احتساب هذه اللوحة لوحة خطية لها مدلول ومعنى، وليست مجرد لوحة فنية حتى نعطيها عنواناً أدبياً غير علمي. فهي تندرج ضمن أسلوب الكتابة التصويرية (البكتوغرافية).

تمثل الصورة شرح (بازاما) للوحة (الآلهات الصغيرات)[300].

ب- اللوحة الثانية (القربان):

هذه اللوحة عكس اللوحة السابقة، فهي ليست متشابكة المكوّنات المرسومة، بل تسير على محور أفقي موحَّد، مما يجعلها أكثر قرباً لأسلوب الكتابة. وتحتوي على **"ستة أشخاص (ثلاثة ذكور وثلاث إناث) وقارب وأكواب ثلاثة، وثلاثة رموز إحداها على شكل العكّاز المعقوف الرأس، والآخران كأنهما أغصان شجر أو مقدّمة (جريدة نخل بسعفها)، وأخيراً بعض الأشكال المركّبة من خط أفقي طويل فوقه ما يشبه الكوبين والمسلّة والصحن أو قرنين وتحته خطان أفقيان يمتدان ما بين المسلة وآخر الخط، وأسفلهما خط عمودي**



---

[299] بازاما: **مصدر سابق**، ص200.
[300] بازاما: **نفس المصدر السابق**، نفس الصفحة.

وشكل يشبه الهلال المفتوح إلى أسفل"[301]. والفرق بين اللوحتين -إلى جانب عدم تشابك المحتويات المرسومة من عدمه- هو أن النساء في اللوحة الأولى كنّ عاريات تماماً باستثناء غطاء الرأس، بينما احتفظت نساء اللوحة الثانية بهذا الغطاء مع ارتداء ثياب تغطي نصفهن الأسفل. أما الرجال فقد وضعوا على خصورهم جراب العورة على عادة قدماء الليبيين، بالإضافة إلى بعض الأشكال الأخرى المكمّلة -على ما يبدو لمعنى- اللوحة الثانية.

تمثل الصورة لوحة تقديم القرابين[302].

لم يقم (بازاما) -وكذلك (لوت)- بشرح هذه اللوحة كما فعل مع سابقتها، إلاّ أن الناظر فيها قد توحي له بعدّة تفاسير: فقد تكون تجسيماً لطقوس دينية تقام عادةً في مواسم جني المحاصيل، وقد تكون مراسم تقديم قرابين لأحد الآلهة -كما تخيّلها لوت-، وقد تكون تجسيداً لعملية محاسبة الأجراء أثناء تسليم إنتاجهم إلى مستأجرهم، وقد تكون رقصات خاصة ابتهاجاً بتأمين مخزونهم السنوي من الطعام، وغيرها من الاحتمالات التي لا تخرج عن نطاق كونها تسجيلاً لأحد المواكب الرسمية التي كان سكّان جبّارين يقومون بها في موعد معيّن أو في موسم معيّن في كنف ضمان لقمة العيش وبالطريقة التي ترضي آلهتهم[303].



إلاّ أن بازاما اقتنص لبحثه شخصية مصرية يمكننا الوقوف عندها ومطابقتها بالشخصيات الليبية المجسّمة على لوحتي وادي جبّارين، وهي شخصية المعبود (تحوت) المصري. لنتابع هذه المطابقة الأولية التي أجريناها على الشخصيتين (المصرية والليبية):

---

[301] بازاما: **نفس المصدر السابق**، ص188.

[302] لوت: **مصدر سابق**، ص ما بين 81 و82.

[303] الصويعي: **مصدر سابق**، ص243.

<u>أولا= الشخصية المصرية</u>: رسم المصريون المعبود (تحوت) إله الكتابة، على صورة إنسان له رأس الطائر (إبيس)، يحمل لوحةً بيده اليسرى وقلماً بيده اليمنى[304]. وهي صورة غنية بالتفاصيل التي تُظهر بوضوح قناع الطائر إبيس، وغطاء الرأس، والقلائد حول الرقبة، والصدرية ذات الشريط الرابط بين الكتف الأيمن والجهة اليسرى من الحزام، والتنّورة التي تغطي جزءاً من نصف الجسد الأسفل، وما يشبه الذيل الطويل الذي يصل إلى الأرض.

<u>ثانياً= الشخصية الليبية</u>: رسم الليبيون إحدى شخصيات لوحة تقديم القربان، بشيء من التجريد دون الاهتمام بالتفاصيل، رغم ذلك يظهر بوضوح قناعُ الطير بمنقاره الطويل الشبيه بالطائر إبيس، وغطاء الرأس، وجراب العورة باعتباره ذكراً، وفي الخلف يظهر خط يشبه الذيل، وهي عادة معظم قدماء الليبيين.

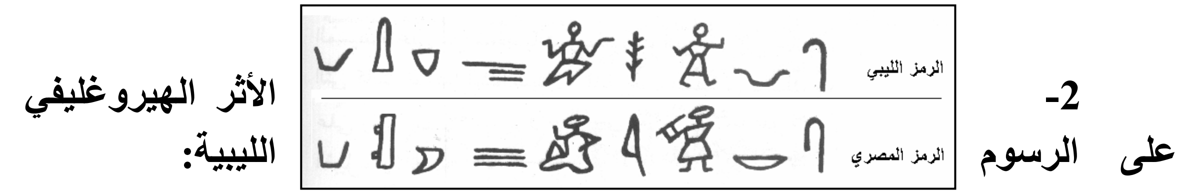
ويتضح من هذه المطابقة الشبهُ الشديد بين الشخصيتين. غير أن الشخصية الليبية التي حوتها لوحة (تقديم القرابين) كان قد أرجعها مكتشفها إلى زمن ما قبل تأسيس الأسرات في مصر[305]، أي قبل الألف الرابع قبل الميلاد. أي أنها سابقة لزمن رسم الشخصية المصرية المتمثلة في الإله (تحوت). ويؤكد هذا الرأي علماءُ الآثار الفرنسيون الذين قالوا: "**أن إحدى القبائل الأفريقية التي يرجع تاريخها إلى 4000 سنة ق.م. شنّت الغارة على مصر وتسلطت عليها واختلطت بأهلها، وكوّنا معا المصريين المعروفين في ذلك الزمان تحت حكم الأسرة الفرعونية الأولى، وأن هذا**

---

304. زكري، أنطوان: **<u>مفتاح اللغة المصرية القديمة</u>**، ط1، 2003، دار الآفاق العربية، القاهرة/ مصر، ص12.
305. بازاما (عن لوت): **<u>مصدر سابق</u>**، ص195.

الشعب هو ولا شك الذي اخترع الكتابة الهيروغليفية وجمع قواعدها"[306]. وبعد، هل بإمكاننا اعتبار أن (تحوت) الصحراوي كان أسبق زمنياً من (تحوت) النيلي؟

2- الأثر الهيروغليفي على الرسوم الليبية:



بداية علينا أن نعترف بأن صفة (الهيروغليفية) قد أطلقها المؤرخ اليوناني الشهير (هيرودوتس) على الكتابة المصرية القديمة في القرن الخامس قبل الميلاد، ولم تكن قبله موصوفة بتلك الصفة. والملاحظ على أشكال الكتابة الهيروغليفية المدوّن بها آلاف النصوص والآثار المصرية، أنها متناسقة على حساب مقياس الرسم، حيث تُلغى فيها النسب والأبعاد المنطقية بين الأجسام، أي رسم الإنسان الواقف مثلا، يتناسب في طوله مع ريشة الطير الصغيرة. وهذا ما جعل الرمز المصري يفقد شكله كرسم حقيقي للشيء، فيبرز شكله المجرّد ليمثل الرمز الكتابي[307].

وبعد استعراض الحروف الأبجدية المصرية، وُجد أن عدداً منها يشبه إلى حد كبير الرموز التي حوتها لوحة جبّارين الثانية (القربان)، بغض النظر عن المعنى اللفظي للحروف المصرية التي أصبحت واضحة لدى الباحثين، والمعنى اللفظي للرمز الليبي الذي لم يتضح بعد. مع مراعاة البعد الزمني الذي امتد بين الفترة التي أنجزت فيها لوحة جبّارين في ليبيا، وآخر مرحلة تطوير شهدتها الكتابة الهيروغليفية المصرية حتى صارت أبجدية مستقلة[308]. وهذه مقارنة أولية بين الرموز الليبية والرموز المصرية:

إذن، فالرموز الكتابية الليبية -رغم قلة عددها وغموض معانيها- جديرة بالوقوف عندها وتدبر أمرها بعناية. وقد حاولنا عبثا قراءتها بالمفهوم الذي تعنيه الحروف المصرية التي تقابلها في الشكل، إلاّ أن خبراء المصريات لهم في ذلك شأن آخر، فقد يصل أحدهم -في يوم ما- إلى المعنى

---

[306] زكري: **مصدر سابق**، ص ص13-14.
[307] الصويعي: **مصدر سابق**، ص249.
[308] الصويعي: **نفس المصدر السابق**، ص251.

الحقيقي الذي تحويه لوحات جبّارين وغيرها من اللوحات والكتابات المتناثرة هنا وهناك على امتداد الصحراء الليبية[309].

وفي إطار مقارنة الأساليب الفنية في الرسم التي اتخذها كل من الرسّام الليبي في وادي حبّارين والكاتب المصري في وادي النيل، ترد مجوعة ملاحظات هامة. وذلك مثل الأخطاء الفنية التي وقع فيها كلاهما، حيث كان رسم الشخصيات يعتمد على توجيه الرأس والوجه إلى جهة جانبية (بروفايل Profile)، بينما يكون الصدر والجدع الأعلى في مواجهة المشاهد، تخرج منه اليدان متجهتان إلى نفس اتجاه الوجه، بينما تكون الرجلان في نفس الاتجاه دون التفريق بين الرجل اليمنى والرجل اليسرى. كما تتميز الشخصية الرئيسية في اللوحة الواحدة باتخاذ الحيّة في مقدمة غطاء الرأس (تعبيراً عن الإيمان بالحياة الثانية)، ومسك العصا أو الصولجان (تعبيراً عن امتلاك السلطة)، وذلك مثل:




الأولى: لوحة إيزيس و أوزوريس (المصرية) **الثانية**: لوحة جني المحاصيل وتقديم القرابين (الليبية)

3- ولكن، ما سر هذا التوافق؟:

لو عُدنا بالتاريخ إلى الوراء لوجدنا أن الهجرات التي انثالت على وادي النيل لم يكن مصدرها الشرق فقط، وإنما الغرب أيضاً كان له نصيبه. وربما كانت تلك الهجرات متزامنة مع بعضها البعض، أو متفاوتة تفاوتاً بسيطاً، وذلك بسبب التأثير المناخي الذي طرأ على المنطقتين، الواقعتين على نفس خط العرض 25º شمال خط السرطان، يفصل بينهما -طولياً- أخدود البحر الأحمر. وقد ثبت تاريخياً **"أن التغيير المناخي والتشكل الحضاري الذي مر بالصحراء الليبية تزامن مع ذاك الذي حدث في الصحراء العربية، وأن الهجرة إلى وادي النيل كانت تأتيه من الشرق والغرب على دفعات مما جعل هذا الوادي بوتقة انصهار كبرى"**[310]. وهذا يؤكد أن قدماء الليبيين

---

[309] الصويعي: **نفس المصدر السابق**، ص252.

[310] خشيم، د. علي فهمي: **آلهة مصر العربية**، ج1، ط1، 1990، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة/ ليبيا، ص25.

كانوا من بين السلالات البشرية التي بدأ الوجود البشري يتشكّل منها على ضفاف النيل بوجهيه البحري والقبلي. ولو افترضنا أن مثل تلك الهجرات حصلت في نهاية العصر الحجري الحديث، وهذا أقصى الاحتمالات، فلا بد أن الليبيين -عندما هاجروا إلى مصر- حملوا معهم مفاهيمهم الفلكية ومعتقداتهم الدينية وطرق تجسيدهم لتلك المفاهيم والمعتقدات التي كانوا يرسمونها على جدران كهوفهم.

وإذا صح ما ذهبنا إليه، فهل يمكننا افتراض أن شخصية المثال الأول (الليبية) هي عبارة عن خطوط أولية (كروكي Croquis) لشخصية المثال الثاني (المصرية) التي تطورت فيما بعد، وأصبحت تمثل إله الكتابة (تحوت) المصري؟ والشيء الباعث إلى مثل هذه الاحتمالات والافتراضات دون تحفظ، بعضُ الحقائق التاريخية التي يؤيدها هنري لوت نفسُه، وذلك عند حديثه عن لوحة القربان الليبية، إذ يقول: **"يلاحظ أيضا بعض الأكواب الشبيهة بتلك التي لعصر ما قبل الأسرات، وخاصة التقارب الديني لمصر العليا.."**[311]. إلى جانب ذلك يذكر التاريخ أن الليبيين سكنوا الدلتا منذ ذاك الزمن، أي **"قبل توحيد الدلتا والصعيد سنة 3200 قبل الميلاد"**[312] على يد (نعرمر). هذه الحقائق تدعونا إلى افتراض أن الذين رسموا المثال الأول قد يكونون -هم أو أحفادهم- من رَسم المثال الثاني، مع مراعاة ارتقاء الفكر ومواكبة التطور، حيث أن الزمان والمكان اللذين أنتجا فيهما المثالان قد تباعدا وتغيّرا. فالمؤرّخون هم من أطلق على سكّان وادي جبّارين اسم (ليبيون) وعلى سكّان وادي النيل (مصريون)، وذلك بقصد التفريق بين الزمنين والمكانين لا بين الشعبين وحضارتهما، بل يعترفون دائما بالامتداد البشري والحضاري بين ليبيا ومصر منذ تلك الأزمان القديمة.

إذن، فالتأثير الحضاري الذي ظهر على مخلفات الليبيين والمصريين لم يكن فقط بسبب الحروب وملاحقة الجيوش واقتناص الأسرى، وإنما الهجرات الأولى التي تشكّل منها الوجود البشري في مصر (سواء من الصحراء العربية في الشرق أو الصحراء العربية في الغرب) كان لها أثرها على الحضارة المصرية منذ ما قبل التوحيد وتأسيس الأسرات. وأن مسألة الشبه بين الآثار الكتابية الليبية والمصرية، لا تخرج عن نطاق انتقال الأفكار الحضارية مع أصحابها من مكان إلى آخر تحت تأثير عدة عوامل. ولنا في شبه الجزيرة العربية دليل على ذلك. فبعد سقوط حضارات بابل وآشور في بلاد الرافدين، ظهرت حضارة الكنعانيين بسوريا وفلسطين وعموم الشام، والتي أدت بدورها إلى انتشار الحضارة (الفينيقية) بسواحل شمال أفريقيا عبر عاصمتهم الجديدة (قرطاجة).

---

[311] بازاما: **مصدر سابق**، ص195.
[312] خشيم: **مصدر سابق**، ص51.

ولكن الليبيين الذين أقاموا بمصر قبل سنة 3200 ق.م. كان لهم شأن آخر. فبعد أن غطى الجفاف والتصحّر أوديتهم، فرّوا بجلودهم باحثين عن موطن آخر يصلح لمواصلة سعيهم لبناء الحضارة التي كانوا ينشدون، فاستقبلتهم أراضي مصر الخصبة، وتشابكت أيديهم مع من سبقهم، واتحد الجميع لبناء حضارة مصر العظيمة.

الفصل الثاني:

الأبجدية الفينيقية والكتابة النوميدية

تأثير الحروف الفينيقية الكنعانية على الكتابة الليبية إبان الدولة القرطاجية

تمهيد:

صادف الألف الأول قبل الميلاد أن شهد تاريخ ليبيا مجموعة أحداث وتغيرات أثرت فيه تأثيراً حضارياً مباشراً، حيث دخلت المنطقة كلها عصر التاريخ من أوسع أبوابه. وتمثلت تلك الأحداث في العناصر التاريخية التالية:

أولا= دخول الليبيين إلى مصر فيما عُرف بالهجرات السلمية، حتى تمكنوا من قيادة الجيش والإشراف على هيئة الكهنة. ومن ثم الوصول إلى سدة الحكم عن طريق شيشنق المشواشي سنة **945** ق.م. وكان جيشه من الليبيين والمصريين والكوشيين (السودانيين)، ووصل حكمه إلى فلسطين والشام.

ثانيا= سيطرة الجرمنتيين على الصحراء الليبية، في الألف سنة الأولى قبل الميلاد، وبناء قوة عسكرية كبيرة، تحكمت في طرق القوافل التجارية بين ساحل البحر المتوسط وقلب أفريقيا، وأسسوا أخيراً عاصمة لهم في (وادي الحياة) جنوب غرب ليبيا، عُرفت باسم (جرمة).

ثالثا= وصول الفينيقيين إلى السواحل الليبية، وأسسوا عليها موانئ ومرافئ تجارية صغيرة في كل من سرت ولبدة وأويا وصبارتة وغيرها في اتجاه الغرب. وربما كان ذلك قبل بناء مدينتهم الجديدة (قرطاجة) سنة **750** ق.م[313]. أما التاريخ الذي حُدّد أيضاً بسنة **814** ق.م. ربما قُصد به تأسيس تلك المحطات الصغيرة قبل الاستقرار الرسمي في بحيرة تونس.

رابعا= مجيء الإغريق بقيادة (باتوس) الذي أشار عليه (موحى أبولو بدلفي) بالذهاب إلى ليبيا بعد انحباس المطر عن جزيرتهم (ثيرا)، فأسسوا في (شحات) بمنطقة برقة مدينتهم (قورينة) سنة **631** ق.م.[314] وأقاموا فيها حضارتهم الإغريقية المشهورة.

---

[313] أنظر: عبّودي، هنري س.: **معجم الحضارات السامية**، ط2، 1991، جروس برس، طرابلس/ لبنان، ص675.

[314] أنظر: البرغوثي، د. عبد اللطيف محمود: **التاريخ الليبي القديم**، ط1، 1971، منشورات الجامعة الليبية، دار صادر، بيروت/ لبنان، ص ص 242، 243.

هذه الأحداث البارزة والهامة الأربعة كان لها دورٌ كبيرٌ في نقل سكان ليبيا الكبرى إلى مرحلة تاريخية غاية في الأهمية، ورفعت المؤشر الحضاري إلى مستو لم تشهده آخر مراحل العصر الحجري الحديث بالمنطقة. حيث صار الاحتكاك مع صنّاع الحضارة المصرية مباشراً، على عكس ما كان يحصل في السابق أيام الكر والفر والمناوشات الحربية. ولا بد أن علاقة القبائل الليبية لا تزال متينة بين من هاجر إلى وادي النيل ومن بقي على بداوته وطريقة عيشه مع تأثير تدريجي بالحضارة المصرية. ولا بد أن القبائل البرقاوية تبادلت مع الإغريق في قورينة مقومات حضارية، رغم التنافر الواضح بين الشعبين. وقد ذكر الكتّاب الكلاسيكيون تأثير الحضارة الليبية على الإغريق. كما تأثر الجرمانتيون بتلك الأحداث، وهم أصحاب أكبر إمبراطورية في المنطقة آنذاك، فكانت لهم صولات وجولات حضارية أثرت حتى في الإغريق المدعّين العراقة والقدم في صناعة الحضارة. بينما نرى أن التأثير الحضاري الكبير كان بسبب وجود الفينيقيين في الشمال الأفريقي، خصوصاً بعد أن دمّر الإسكندر المقدوني مدنهم في الشام خلال حملته على الشرق في بداية القرن الرابع قبل الميلاد. فأسسوا الحضارة القرطاجية التي تأثرت بها المنطقة، وعانقها سكانها بكل حرارة إلى درجة الاندماج والانصهار التام.

أولاً= الكتابة الليبية القديمة.. نظرة عامة:

يذكر المؤرخون أن شواهد الكتابة الليبية القديمة كانت قد ظهرت في المناطق الشمالية والمناطق الجنوبية، مع شيء من الازدواجية في ذكر تفاصيل تلك الشواهد. فإلى جانب الكتابة التي أسموها (نوميدية) في الشمال، تقابلها أيضاً كتابة (جرمنتية) في الجنوب. وهذا الوضع يذكّرنا بما حصل للغة والكتابة العربيتين في شمال شبه الجزيرة العربية وجنوبها.

ومثلما وُجدت آثار كتابية بالخط الليبي القديم في كل من طرابلس وتونس والجزائر بالشمال، وُجدت أيضاً شواهد كتابية في مدينة جرمة بالجنوب. ولا ندري حتى الآن ما شكل الكتابة الجرمنتية، هل يُقصد بها تلك الكتابة التصويرية التي وُجدت في جبل (أكاكوس) سالفة الذكر، أما أنها كتابة أبجدية من نوع آخر. وكل ما استطعنا معرفته هو أنها كتابة تعتمد على خطوط أفقية وعمودية كتلك التي وُجدت على بعض الأواني في صعيد مصر. وإذا تأكّدت الصلات الحضارية بين الجرمنتيين وقدماء المصريين في فترة الألف سنة السابقة للميلاد، فلا بد أن تؤثر الكتابة الأبجدية المصرية المستعملة آنذاك على الكتابة الجرمنتية.

ولا نستبعد أن الكتابة التي وُجدت في كل من طرابلس وتونس والجزائر كانت قد استعملت في الجنوب أولاً، خصوصاً في الفترة التي بلغت فيها جرمة أوجّها الحضاري قبل

الوجود الفينيقي في الشمال الأفريقي، ولم تصل تلك الكتابة إلى الشمال إلاّ بعد اتصال البونيقيين بالجرمنتيين اتصالاً تجارياً مباشراً. إذ "**يظهر أن القرطاجيين لم يسافروا في أول الأمر بأنفسهم إلى بلاد السودان لجلب ما فيها من خيرات، بل قضوا مدة طويلة وهم يستخدمون وسائط من الأهالي، فكانت تأتي القوافل تحت حراسة الغرامانت إلى أن تبلغ طرابلس**"[315]. وفي آخر الأمر تمكّن البونيقيون من ارتياد الصحراء وركوب أخطارها والمجازفة بأنفسهم دون وسائط، حتى اعتادوا ذلك وألفوه. وهذا الخط التجاري، أو ما يُعرف بطرق القوافل التي تربط الساحل بالصحراء، لا نستبعد أن بعض الحروف الجرمنتية تسربت عبره إلى طرابلس. قلنا (بعض الحروف) وليس كلها، لأن مكتشفي هذه الحروف لم يتعرّفوا إلاّ على عشرة منها كما سنرى.

إذن، لا نستبعد أن الكتابة الليبية التي وُجدت بـ(قرزة) وهي مدينة أثرية تقع على طريق القوافل بين طرابلس وفزان، كانت سابقة لعهد استعمالها بنوميديا (الجزائر حالياً).

ظل العلماء حيناً من الدهر يظنون أن اللغة الليبية القديمة كانت منطوقة لا مكتوبة. حتى ظهر فساد هذا الرأي بعد الكشوف التي تمت في مناطق متعددة من المغرب العربي. حيث أكّد بعضُ المكتشفين أن "**الألفبائية التي ظهرت في كثير من النقوش التي عُثر عليها في كل الشمال الأفريقي، تُشكّل جزءاً من نظام واحد مشترك بين كريت ومصر من ناحية، وإسبانيا وغيرها من ناحية أخرى، هذا الاكتشاف يُعد واحداً من أهم الاكتشافات الحديثة حول آثار ما قبل التاريخ**"[316]. وقد وُجدت أثار هذه النقوش في مسافات تمتد إلى خليج سيناء شرقاً وجزر الكناري غرباً وفي الصحراء جنوباً، الشيء الذي أثار فضول الباحثين واسترعى انتباههم، فانبروا يبحثون فيها ويكتشفون مجاهلها.

وضمن التاريخ الروماني قسّم العلماء الغربيون -غير المعترفين صراحةً بتأثير ثقافة الشرق على المغرب العربي- الكتابة الليبية القديمة إلى ثلاث مجموعات بشيء من الازدواجية وعدم الثبات، فقرروا أن المجموعة الأولى كُتبت بلغة ليبية ولكن بحروف لاتينية، وهي مثل الآثار الكتابية التي وُجدت على الأطلال الرومانية بليبيا الحالية. والمجموعة الثانية وكُتبت بالحروف الليبية الخالصة، وهي مثل الآثار الكتابية التي وُجدت بمدينة (دوقة) بتونس الحالية. أما المجموعة الثالثة فهي مزدوجة اللغة، فبعضها فينيقي/ ليبي، وبعضها لاتيني/ ليبي، وُجدت آثارها على شواهد القبور في نصوص قصيرة. وقد نسي هؤلاء العلماء الغربيون أسبقية الثقافة الفينيقية الكنعانية في الشمال الأفريقي قبل الوجود الروماني بمئات السنين، كما سنرى.

---

[315] صفر، أحمد: **مدنية المغرب العربي في التاريخ**، ج1، ط؟، ؟، دار النشر بو سلامة، تونس/ تونس، ص125.

[316] عمر، د. أحمد مختار: **تاريخ اللغة العربية في مصر والمغرب الأدنى**، ط؟، 1992، عالم الكتب، القاهرة/ مصر، ص ص224-225.

ثانياً= تأثير الحضارة الفينيقية على قدماء الليبيين:

1- دخول الكتابة الفينيقية إلى ليبيا:

كان ذلك بفضل استقرار الفينيقيين الكنعانيين على سواحل أفريقيا الشمالية، واختلاطهم بالليبيين. والمعلوم أن الفينيقيين هم أصحاب الكتابة الأبجدية التي عرفها عنهم العالم آنذاك. وإن كانوا لم يبتكروها بالصدفة ودون مقدمات. بل يبدو أنهم طوّروها عن الأبجدية المسمارية التي استعملها أسلافهم الكنعانيين في مدينة (أوغاريت) قرب اللاذقية السورية حالياً. وربما استعاروا بعض الرموز والأشكال من الكتابة التي اختلطت مع الهيروغليفية المصرية عند وجود الكنعانيين في صحراء سيناء كمنقّبين عن المعادن في منطقة (سرابيط الخادم) لصالح الفرعون المصري آنذاك. وقد عُرفت تلك الكتابة بـ(الأبجدية السينائية)[317]. ولا بد أنهم جاءوا إلى الشمال الأفريقي بكل مقومات حضارتهم، من بينها تلك الحروف التي اشتهروا بها دون غيرهم. وقد اقتبست الشعوب المحيطة بالمنطقة العربية حروف الكنعانيين وعبّروا بها عن لغاتهم المتعددة. وكان من بين تلك الشعوب الأغارقة الذين لا ينكر المؤرخون الغربيون بأنهم تلاميذ المدرسة الشرقية في كل العلوم. ويذكرون أنهم أخذوا الحروف الفينيقية كما هي، ونقلوها بدورهم إلى الرومان فيما بعد، وصارت في كل اللغات الأوروبية حتى يوم الناس هذا. إلا أنه اتضح أخيراً أنهم لم يستعيروا تلك الحروف من الفينيقيين زمن دولتهم في الشام العربي وإنما بعد استقرارهم في المغرب العربي. حيث يشير توينبي إلى أن الإغريق "**بعد النكبة التي أصابتهم نحو سنة 1200 ق.م. وهم لم يقتبسوا الألفباء من الفينيقيين إلاّ نحو 750 ق.م.، وهكذا فإن الإغريق قد تأخروا نحو قرنين عن العبرانيين والآراميين في اقتباس الألفباء، فقد ظل الأغارقة أميين ما يقرب من 450 سنة**"[318]. ويوافق التاريخ (**750** ق.م.) نفس السنة التي بنيت فيها مدينة قرطاجة حسب إجماع العديد من المصادر. بل ربما يشير التاريخ (**814** ق.م.) إلى وجودهم في الشمال الأفريقي قبل استقرارهم النهائي في مدينتهم الجديدة. أي أنه في الوقت الذي كان يبني فيه الفينيقيون مدنيتهم تلك على سواحل أفريقيا الشمالية كان فيه الإغريق جاهلين الكتابة والقراءة حتى جاءتهم بوادرها الأولى من قرطاجة.

لا توجد إشارات تاريخية تؤكد استخدام الليبيين القدامى لأي نوع من أنواع الكتابة، باستثناء الرسوم الكهفية التي عكفوا على إنتاجها آلاف السنين قبل أن يرتحلوا عنها في كل الاتجاهات. إذ

---

[317] أنظر تفاصيل ذلك في: هبو، د. أحمد: **الأبجدية، نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب**، ط1، 1984، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية/ سوريا، صفحات متفرقة. كذلك: التونجي، د. محمد: **عبقرية العرب فى لغتهم الجميلة**، ط1، 1982، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس ليبيا، صفحات متفرقة. وحاتم، د. عماد: **فى فقه اللغة وتاريخ الكتابة**، ط1، 1982، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس/ ليبيا، صفحات متفرقة.

[318] توينبي، أرنولد: **تاريخ البشرية**، نقله إلى العربية: د. نقولا زيادة، ج1، ط؟، 1981، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت/ لبنان، ص 141.

يبدو أن كتابة أبناء عمومتهم الكنعانيين استهوتهم فاستعملوها كغيرهم من الشعوب. إلا أن الفينيقيين أنفسهم طوّروا من كتابتهم تلك، ربما بحسب ما أملته عليهم ظروف البيئة الجديدة، وربما بتأثير ثقافي ولغوي وامتزاج حضاري واجتماعي واقتصادي فرضته عليهم المرحلة. وصارت كتابتهم تُعرف بالكتابة (البونيقية). وهذه التسمية يصرّ البعض على أنها مركبة تركيباً مزجياً من اللفظين (ليبو-فينيق)[319]، ثم اختصرت إلى (بونيقية) وأيضاً إلى (بونية). كما يصرّ البعض الآخر على أن أصلها من لفظ (فينيخ) أو (فينيك) أو (بنو كنع) كإشارة إلى اسم الفينيقيين أنفسهم لاشتهارهم بصباغة الأقمشة الأرجوانية التي احتكروا اختراعها وصناعتها، أو إشارة إلى أصلهم الكنعاني (بنو كنع) نقلها الإغريق من اللغة العروبية التي لم يتمكنوا من نطق حروفها فانحرف اللفظ عن أصله.

2- لماذا تأخر ظهور الكتابة في ليبيا؟:

يبدو أن خبراء الحفريات وعلماء الآثار والمؤرخين استهوتهم سهولة الحصول على المصادر والوثائق التاريخية المتعلّقة بمنطقة الشرق العربي، فأقبلوا عليها إقبال الشره النهم، وأغفلوا -بشيء من السلبية- منطقة المغرب العربي. فكانوا السبب الرئيسي في خلق فجوات واسعة وعميقة، آخذةً في التوسع والعمق كلما تطورت وسائل كتابة التاريخ أو إعادة كتابته، خصوصاً فيما يتعلّق بالفترة الممتدة على طول الأربعة آلاف سنة السابقة للميلاد، وهي الفترة التي بدأ فيها التاريخ الموثّق يترسّخ في المشرق العربي. وإذا سُئل المؤرخون عن سبب عزوفهم عن متابعة تاريخ ليبيا القديمة بنفس الحماسة التي أبدوها مع تاريخ غيرها، لكانت لهم حججهم. ومهما كانت تلك الحجج مبرّرة أو غير مبرّرة، فإن الأسباب تكمن -حسب استنتاجنا المبدئي- في العوامل الرئيسية التي من أهمها[320]:

1- الرقعة الواسعة التي كانت تشغلها ليبيا القديمة آنذاك، والممتدة من النيل شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، إلى جانب احتوائها على ما يسمى حالياً بالصحراء الكبرى.

2- اعتماد بعض القبائل الليبية القديمة على بساطة العيش، في مناخ جاف وشحيح الأمطار، مما جعل معظم الليبيين القدامى بعيدين عن الرخاء والترف بالمفهوم الذي يمكنهم من الاستقرار وبناء حضارة طويلة الأمد لتترك آثارها من بعدهم.

---

[319] يعتقد أنهم Movers من المعتقد أن الكنعانيين الهاربين عبروا إلى أفريقيا على المراكب الفينيقية واختلطوا بالليبيين البدائيين الذين علّموهم الزراعة وأصبحوا (الليبيين-الفينيقيين) الذين أشارت إليهم العديد من النصوص القديمة. أنظر ذلك في: كامب، ج.: **البربر الذاكرة والهوية**، ترجمة: جاد الله عزوز الطلحي، ط1، 2005، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس/ ليبيا/ ص56.

[320] الصويعي، عبد العزيز سعيد: **أصول الحرف الليبي**، ط1، 1999، الدر الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة/ ليبيا، ص ص270-271، بتصرف.

3- نزوع البعض الآخر إلى الغزوات والحروب، خصوصاً جيران مصر، واعتمادهم على القوة في امتلاك مقدرات حياتهم.

4- الجفاف الذي يصيب -بين الحين والآخر- أراضيهم، فيضطرون للهجرة والترحال في مواسم مختلفة من كل سنة.

5- تشتت القبائل الليبية القديمة بحكم رحابة المكان واتساعه وتنوع تضاريسه، فلا يقيمون الدول القوية والموحّدة، خصوصاً بعد تدجين الحصان ثم الجمل، مما ساعدهم على سهولة وسرعة التنقل بين الأماكن المتباعدة.

6- عدم إقامة حضارات مستقرة قبل الألف الأول قبل الميلاد، حتى ينهل منها الليبيون ويتأثرون بمؤثراتها، مثلما تأثر البدو في الهلال الخصيب بالحضارة السومرية وغيرها، فساهموا في فعاليات الحضارات التي أقيمت فيما بعد.

7- وقد يعود ذلك إلى رفض الليبيين إلى أي نوع من أنواع التدخل الأجنبي، ومعاملة الغريب معاملة المستعمر المحتل، فيقاومونه بكل شراسة وقوة، غير مكترثين بمقوّمات الحضارة التي في جعبته.

8- عدم الجدية في التنقيب ودقة البحث من قبل علماء العصر لإزالة الركام من على الآثار التي لا تزال مدفونة تحت رمال الصحراء المغاربية خصوصاً ليبيا الحالية.

9- اكتفاء كثير من العلماء العرب والمغاربة بالمصادر والأبحاث والكتب التاريخية التي أنجزها الخبراء الأوروبيون، والتي اتضح أن بعضها أو معظمها مدفوعٌ بدوافع وأغراض سياسية قد لا تتصف بالنزاهة العلمية. إلى جانب تبني الكتّاب الأوروبيين لأفكار المحتلين الإغريق والرومان ونظرتهم الدونية للسكان المحليين الذين يصفونهم دائما بالبربرية والتوحش.

10- أنانية بعض الكتّاب العرب والمغاربة المتعصّبين لأقطارهم والمتقوقعين داخل حدودهم الإدارية الحالية والمتأثرين بالنزعات العرقية والإثنية والثقافية التي أفسدت الشعور العام بالانتماء لهذه الأرض، وأضعفت الانحياز العلمي الكامل عند طرح الأفكار والآراء، وفوّتت على الجميع فرصة تكاثف الجهود من أجل كتابة تاريخ مستفيض وحقيقي لهذا الجزء الهام من وطننا العربي الكبير.

حتى وإن ثبت وجود هذه الأسباب التي أدت إلى شح المصادر التاريخية الليبية القديمة أو إلى قلب حقائقها، فإننا واثقون من أن تاريخ هذه المنطقة لا يقل غزارة عن غيره. فقد تكون وثائقه عبارة

عن صفحات من الحجارة، أو هي رُقم من الطين المشوي، أو ربما صفحات من البردي أو أي نبات آخر كانت تجود به طبيعة ذاك الزمان. ومن يدري أن هذه الجبال الهائلة من رمال الصحراء تجثم على صدر التاريخ وتحتفظ بأسراره وتغطي آثار قدماء الليبيين.

3- الكتابة البونيقية:

عُرفت فترة بداية استقرار الفينيقيين بتونس (حاليا) بالعصر القرطاجي، نسبة إلى عاصمتهم الجديدة. ومنذ اندلاع الحرب الأولى مع الرومان بدأ القرطاجيون يوطّدون علاقتهم بقدماء الليبيين -أكثر فأكثر- طلباً لمناصرتهم ضد الخطر القادم من روما. ومن ثم بدأ ذاك العصر يُعرف تاريخياً بالعصر البونيقي أو البوني، نسبة إلى تلك الحروب الثلاثة المشهورة. وبهذا الاندماج البشري اندمجت اللغتان الفينيقية والليبية، واصطلح على تسميتهما باللغة البونيقية. ولا بد لهذا الاندماج اللغوي أن يصحبه اندماج في الكتابة، أو ربما تأثرت الكتابة الفينيقية بالبيئة الجديدة، بحكم أن التاريخ لم يسجل لقدماء الليبيين ارتيادهم مجال الكتابة حتى تختلط بالكتابة الفينيقية أو تتأثر بها. وقد تزامنت تلك الحروب وظهور اللغة المدمجة مع تدمير المدائن الفينيقية في جبال لبنان على يد الإسكندر سنة 332 ق.م. ولم يبق للفينيقيين غير مدائنهم الجديدة المقامة على السواحل الغربية لحوض البحر المتوسط وأهمها جميعاً قرطاجة. من هنا بدأت جميع المقومات الحضارية تُعرف بالبونيقية أو البونية، من بينها كانت الكتابة. وقد أكّد المهتمون بالكتابات الشرقية أن الحروف البونيقية إنما هي **"آخر شكل من أشكال الكتابة الفينيقية"**[321]. وليس من الغريب **"أن تتميز الكتابة البونية القديمة والمتأخرة عن الكتابة الفينيقية الأم في أشكالها"**[322].

وعند مقارنة الكتابة الفينيقية ووليدتها البونيقية، نجد أن الكتابة الأم كانت تفصل كلماتها بخط، ثم اختفت تلك الفواصل وأصبحت حروف الكلمات متداخلة، مما صعّب قراءتها. إلاّ أن البونيقيين أسرفوا في مد الحروف إلى أسفل أكثر من ذي قبل، وهذه العملية تُعرف بالتعريقة في الكتابة العربية. إلى جانب أن معظم حروف البونيقية ساكنة، شأنها شأن الأبجدية الأم، إذ لا يمكن احتساب حرفي (الواو) و(الياء) أحرفاً صوتية خالصة **"بل هي نصف صوتية، أما الأحرف الصوتية فقد أهملتها هذه الأبجدية، فيمكننا أن نقول أنها أبجدية ساكنة نقية صافية"**[323]. وربما حدث ذلك بتأثير من لهجات قدماء الليبيين، فإلى حد الآن لا زالت اللهجات المغاربية ساكنة، إذ

---

[321] حاتم: **مصدر سابق**، ص222.
[322] هبّو: **مصدر سابق**، ص166.
[323] حاتم: **مصدر سابق**، ص220.

يقولون (عْنِبْ، عْسَلْ، لْبَنْ، شْمَعْ، سْمَنْ..)[324]. وقد وُجدت آثار هذه الكتابة على امتداد الشريط الغربي للبحر المتوسط خصوصاً في **"تونس وليبيا والجزائر"**[325]. ومن أهم الآثار التي تشهد على تقدّم البونيقيين في فن المعمار، ضريح عُثر عليه بـ(دوقة) بتونس **"يرجع عهده إلى القرن الثاني قبل ميلاد المسيح"**[326]، وهو على الأرجح قبر الإغليد النوميدي (مسّينيسا)[327]، وهذا الأثر محفوظ الآن بالمُتحف البريطاني تحت رقم 495[328]. كُتب هذا الأثر باللغتين البونيقية والليبية القديمة. ولعل الكتابة المتحدث عنها كانت من نوع الكتابة **"البونية الحديثة (أو البونيقية المتأخرة) التي اتصل استعمالها حتى بداية العهد الميلادي"**[329]. وقد استخرج البُحّاثُ ثلاثة أو أربعة أشكال لكل حرف من حروف البونيقية المتأخرة، وهذا سبب ابتعادها عن صور الأبجدية الأم. وعندما دخلت فرق الوندال الهمجية إلى أفريقيا الشمالية عن طريق إسبانيا التي تركوا فيها اسمهم (واندالوس= الأندلس) بطُل استعمال الكتابة البونيقية نهائياً، وذلك في الفترة الواقعة بين سنتي 430 و534 للميلاد، حيث دخلت المنطقة في صراع جديد لم تشهد له مثيلا من قبل.

(أ) =	(ح) =	(ع) =
(ب) =	(ط) =	(ف) =
(ج) =	(ي) =	(ص) =
(د) =	(ك) =	(ق) =
(هـ) =	(ل) =	(ر) =
(و) =	(م) =	(ش) =
(ز) =	(ن) =	(ت) =

4- بداية ظهور الكتابة الليبية (النوميدية) وعلاقتها بغيرها:

توالت الأحداث سريعة في شمالي أفريقيا. حيث استولى الإسكندر المقدوني على صيدا وصور وغيرهما ودمّر مدائن الفينيقيين، كما سبق الذكر، فاستقروا نهائياً في الشمال الأفريقي. ثم استيقظ المارد الروماني وخرج من قمقمه وادّعى أحقيته في السيطرة على بحيرة المتوسط، ودفعته الغيرة والحسد إلى ضرب القلاع القرطاجية التي امتدت إلى الجزر الإيطالية، وقامت بين الطرفين حروب ثلاث عُرفت بـ(الحروب البونيقية) وكانت الغلبة أخيراً للرومان الذين دمّروا قرطاج وحرّقوا مقوماتها الحضارية وزرعوا أرضها بالملح سنة **146** ق.م.[330]، فدخل الشمال الأفريقي

---

[324] أنظر حاتم: **نفس المصدر السابق**، نفس الصفحة.

[325] هبّو: **مصدر سابق**، ص79.

[326] صفر: **مصدر سابق**، ص156.

[327] جوليان، شارل أندري: **تاريخ أفريقيا الشمالية**، تعريب محمد مزالي وبشير بن سلامة، ط؟، 1969، الدار التونسية للنشر، تونس/ تونس، ص32.

[328] صفر: **مصدر سابق**، ص157.

[329] حاتم: **مصدر سابق**، ص222.

[330] تجمع كل المصادر على هذا التاريخ. أنظر مثلا: البرغوثي. **التاريخ الليبي القديم**. مرجع سابق. ص 312.

إلى مرحلة جديدة من تاريخه الكفاحي والحضاري معاً. فقد رمت بعض القبائل الليبية بثقلها في خضم الأحداث، واشتهرت منها قبيلتا (ماسولا ومازيسولا) وزعيماهما (ماسينيسا وسيفاكس) في منطقة (نوميديا) بالجزائر حالياً. وبدأ الجميع يأخذ بأسباب الحضارة الفينيقية، حيث استقر البدو، واشتغلوا في الزراعة وتربية الحيوانات، وارتادوا مجالات التجارة والرحلات البحرية، وتوغلوا في أعماق الصحراء الأفريقية لجلب خيراتها. وظهر في ذلك العهد أثر للكتابة الليبية القديمة، التي اصطلح على تسميتها أحياناً بـ(الكتابة النوميدية).

وبما أن المؤرخين يطلقون على الكتابة الليبية القديمة اسم (الكتابة النوميدية)، فلا بد من وجود أثر نوميدي معين عليها. ونعتقد أن هذا الأثر إنما هو مرحلة تطويرية لكتابة كانت قائمة قبل وجود النوميديين أصلاً، أو لنقُل قبل أن يُسمّوا بهذا الاسم.

إلاّ أنه منذ الألف الأول قبل الميلاد أقام الجرمنتيون حضارة صحراوية في الجنوب، كانت محلّ إعجاب الكتّاب الكلاسيكيين اليونان. ونتيجة لهذه الحضارة التي تمثلها مدينة جرمة في الجنوب الليبي حالياً، وُجدت شواهد كتابية تدلل على أن الجرمنتيين كانوا يدوّنون بكتابة خاصة بهم تختلف عن الكتابة في الشمال[331]. وكان الجرمنتيون غير بعيدين زمنياً ومكانياً عن كهوف جبل (أكاكوس) ذات اللوحات التصويرية سالفة الذكر. فلا بد أنهم طوّروا رسوم أسلافهم إلى كتابة قد تتحلل إلى دلالات ومعان، وبقيت إلى بداية العصر الروماني. ولعلّها تأثرت ببعض الرموز الهيروغليفية المصرية قبل أن تتأثر بالأبجدية الفينيقية أو البونيقية عندما اتصل الجرمنتيون بقرطاجة تجارياً. ويقول (غود تشايلد Good Child): **"إن أعمال التنقيب التي تمت داخل منطقة طرابلس خلال السنوات الخمسين الأخيرة، وبخاصة منذ 1946 قد أدت إلى اكتشاف عدد من النقوش التي تمدنا بمعلومات هامة عن لغة الليبيين وحياتهم خلال العصر الروماني"**[332]. ولكنه مع ذلك يعترف بأن النقوش المكتشفة ما تزال قليلة. ويتفق المؤرخون على أن هذه الكتابات **"عُرفت زمن الرومان، وقد عُثر على آثارها التي تُعد أكثر من ألف منتشرة بين ليبيا شرقاً والمغرب غرباً، وتتمثل في كتابات قصيرة على القبور"**[333].

أما في الفترة الواقعة بين سنتي 1953 و1957 تم العثور في (قرزة)، وهي مدينة أثرية تقع جنوب غربي طرابلس على طريق القوافل الرابطة بين الساحل والصحراء، على نقوش **"تبدو أبجديتها صورة من صور الأبجدية الليبية التي سبق العثور عليها في تونس والجزائر**

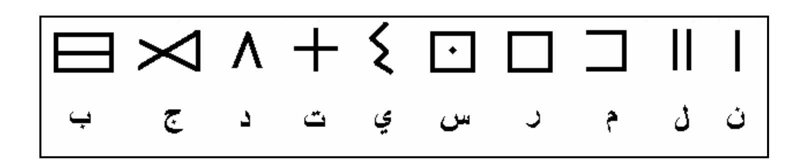
---

[331] عمر: **مصدر سابق**، ص228.

[332] عمر: **نفس المصدر السابق**، ص225. عن كتاب لغود تشايلد بعنوان (The Latino-Libyan inscriptions.)

[333] هبّو: **مصدر سابق**، ص ص93-94.

والمغرب"[334]. وهذا دليل على ربط الصلة بين كتابات الشمال والجنوب كما سنرى. إلاّ أنه نظراً لقصر النصوص الكتابية التي دُوّنت بالحروف الليبية، والتي لم تتجاوز بضعة كلمات على مشاهد القبور، اعتقد البعضُ أن الكتابة الليبية القديمة (النوميدية) لا تزيد عن عشرة حروف. وحتى تُغلّف هذه الحروف القليلة بشيءٍ من الإلوهية السماوية وتُحاط بهالة من العقيدة الساذجة، قالوا: **"يعتقدون** (أي قدماء الليبيين) **أن هذه الحروف التي يكتبون بها منزّلة من عند الله، وأنها من خلق الله لا من وضع البشر"**[335]. إلاّ أن سماءَ الليبيين القدامى لم تكن -في هذه المرة- سخيةً كعادتها عند إنزال الغيث النافع، فلم تُنزّل الحروف كاملةً! ولكننا نعتقد أن قدماءَ الليبيين خصوصاً في العهد البونيقي استعملوا الحروف كاملة، إلاّ أن المكتشفين لم يعثروا على أكثر من عشرة منها لقصر النصوص التي دوّنت بها في المراحل الأولى، وهذه صور تلك الحروف:



ومن أهم الانجازات التي حققها النوميديون إبّان وجود الفينيقيين في قرطاجة، إجبارُ البدو على الاستقرار، الشيء الذي أثر في ثقافة البونيقيين جميعاً في تلك الفترة، حتى **"أنهم كانوا يُحسنون لغات كثيرة بحكم الضرورة، من غير أن يتظاهروا بذلك في بعض الأحيان"**[336]. ومن أبرز الأمور الثقافية التي اهتم بها الإغليد[337] النوميدي (مسينيسا) وهو زعيم قبيلة (ماسولا) الواقعة بالجزء الشرقي من نوميديا، كانت الكتابة، إذ يقولون: **"وقد اعتنى الملك مسينيسا بالخط البربري (الليبي) في القرن الثاني ق.م. فرقاه وزاد في حروفه فصار على النحو الذي نجده اليوم"**[338]. ونحن إذ نؤيد مسألة التحسين والترقية، لا يمكننا قبول مسألة الزيادة، لاعتقادنا بأن مسينيسا لم يجد عشرة حروف فقط حتى يضيف عليها. والأرجح أنه أمر بتطوير الأشكال وتبسيطها، ربما اقتداءً بالبونيقيين الذين طوّروا -من جانبهم- حروف الأبجدية الفينيقية، فكان ذلك على مراحل، حيث ظهر -فيما بعد- خمسة حروف لم تكن ضمن النصوص القصيرة التي أظهرت تلك الحروف العشرة، وهي عبارة عن خطوط أفقية وعمودية، تشبه تلك التي بلوحة (تقديم القرابين) المكتشفة في وادي (جبّارين) بجبل (أكاكوس)، والتي قال عنها (هنري لوت) أنها تشبه تلك التي وجدت

---

[334] عمر: **مصدر سابق**، ص228.
[335] دبّوز: **مصدر سابق**، ص65.
[336] جوليان: **مصدر سابق**، ص117.
[337] إغليد: في اللغة الليبية القديمة تعني: ملك.
[338] دبّوز: **مصدر سابق**، ص65.

بمصر قبل تأسيس الأسرات. ثم توالت الزيادات حتى اكتملت حروف الكتابة الليبية القديمة (النوميدية)، فوصلت إلى 27 حرفاً، كان قد قدّمها أحدهم إلينا دون مطابقتها بما يناسبها من مخارج الليبيين الصوتية، فقمنا بهذا الدور، إلاّ أننا لم نستطع التعرف على القيم الصوتية لخمسة منها، إذ يبدو أنها أشكال إضافية للحروف السابقة (كما هو موضح بالصورة):

ب	ت	ج	د	ر	ز	س	ش
ض	ط	ظ	غ	ف	ق	ك	ل
م	ن	هـ	و	ي	قاف معقودة		
؟	؟	؟	؟	؟			

وقد أجمع كثير من المؤرخين على أن هذه الكتابة لها أصول مصرية وفينيقية وكريتية وإسبانية وغيرها. ويقول أحدهم: **"ويمكن أن يكونوا** (ويقصد النوميديين) **قد اقتبسوا بعض الحروف من المصريين.."**[339]. وقال آخر: أنها **"تشكّل جزءًا من نظام واحد مشترك بين كريت ومصر من ناحية، وإسبانيا وغيرها من ناحية أخرى"**[340]. لنناقش أقرب هذه الفرضيات للأحداث التاريخية التي ساهم فيها قدماء الليبيين مع المصريين من جهة والفينيقيين من جهة أخرى:

<u>أ- الفرضية المصرية</u>: لا بد للصلات الحضارية التي كانت تربط الليبيين مع جيرانهم وأبناء عمومتهم المصريين أن تصاحبها مؤثرات ثقافية متبادلة بين الشعبين. وفي هذا الخصوص يمكننا ملاحظة الشبه الكبير بين حروف قدماء الليبيين وقدماء المصريين خصوصاً الكتابة الهيراطقية المشتقة من الكتابة الهيروغليفية، بما في ذلك الرموز التي لا تتوافق في المعنى اللفظي للحرف في كلا اللغتين:

الرمز الهيروغليفي:	(ب)	(ت)	(م)	(د)
الرمز الهيراطقي:	(ب)	(ت)	(م)	(د)
الرمز الليبي:	(ب)	(ت)	(م)	(د)
الرمز الهيروغليفي:	(ق)	(ط)	(ح)	
الرمز الهيراطقي:	(ق)	(ط)	(ح)	
الرمز الليبي:	(ج، ف)	(ط)	(ج)	

[339] دبّوز: **<u>نفس المصدر السابق</u>**، ص64.

[340] عمر: **<u>مصدر سابق</u>**، ص224.

ب- الفرضية الفينيقية: عرفنا كيف اختلط الليبيون بالفينيقيين وانصهر جميعهم في بوتقة الشمال الأفريقي. حتى أن التاريخ لم يعد يذكر الفينيقيين بعد العام 332 ق.م. لأن معظمهم صار بونيقياً، وقل يلهم صار يُعرف

الرمز الفينيقي:	Δ (د)	⊕ (ط)	Z (ز)	7 (ج)	W (ش)
الرمز الليبي:	Λ (د)	⊟ (ط)	≠ (ظ)	X (ج)	8 (ش)
الرمز الفينيقي:	+ (ت)	4 (ن)	ک (ي)	ل (ل)	O (ع)
الرمز الليبي:	+ (ت)	I (ن)	7 (ي)	II (ل)	O (ر)

بالتجار السوريين خاصة في أوروبا القديمة. إذن لا بد أن يكون التأثير الفينيقي على الكتابة الليبية القديمة (النوميدية) تأثيراً مباشراً، وهذه أمثلة على ذلك:

ومن هنا، نلاحظ أن الليبيين القدامى قلدوا أو حرّفوا أو اقتبسوا معظم أحرفهم من الكتابة المصرية في قليل من الرموز، ومن الكتابة الفينيقية في كثير من الرموز. إلاّ أن النماذج المقدّمة سابقاً كانت قد أُخذت عن عدة مصادر وعدة لوحات اختلفت فيها الأشكال وتباينت، حيث أدمج البُحّاث الحروف النوميدية مع حروف (التيفيناغ) التي سيأتي الحديث عنها لاحقاً، باعتبارها حروفاً ليبية قديمة دون مراعاة الفترات الزمنية المتباعدة التي ظهرت فيها تلك الحروف.

5- مصطلحات صاحبت تاريخ الكتابة الليبية القديمة:

من خلال دراسة تاريخ الكتابة الليبية القديمة، ظهرت بعض الأسماء والمسميات الشارحة لمراحل تكوين هذه الكتابة، منها كلمتا (تيفيناغ) و(تيدبكن)، قام البعض بشرح الأولى شرحاً غير منطقي، ولم يلتفت أحدٌ إلى الثانية. فكان لزاماً علينا شرحُهما بالطريقة التي توفر للباحث معلومات أكثر حول هذه الحروف واهتمام أهلها بها حتى استحكمت حلقاتها وصارت قادرة على التعبير عن لهجات قدماء الليبيين.

<u>أ- تيفيناغ</u>: أطلق بعض المؤرخين على الكتابة الليبية القديمة في صورها الأولى ذات العشرة حروف، حسب الاعتقاد السائد، اسم (تيفيناغ)، فشرحوها على أنها (المنزّلة من عند الله). ولا نجد لهذا التفسير أي معنى لغوياً مناسباً للفظ تيفيناغ. بل نرى فيه إبدالاً مكانياً، حيث حلّت (الغين) محل (القاف)، وهذا وارد في اللغة العربية، مثل (غُرّة وقُرّة)، (غرغر وقرقرة)، (مغامر ومقامر)، وغيرها كثير. وإذا حُذفت تاء التأنيث الأولى -على عادة قدماء الليبيين- لوُجد هذا اللفظ وقد تحوّل -بكل بساطة- إلى (فينيقي) أو (فينيقية)، لاعتقادهم بأن حروفهم مأخوذةٌ من الكتابة الفينيقية مما يؤيد الفرضية الفينيقية سالفة الذكر. وإذا صح هذا المذهب، فإنّ قدماء الليبيين -بهذه التسمية- يعترفون بالاقتباس الفينيقي لحداثته مقارنة بالاقتباس المصري الذي مرت عليه فترة أطول من الزمن، أي قبل تواجد الفينيقيين في عاصمتهم الأفريقية.

<u>ب- تيدّبكن</u>: وهذا المصطلح أطلقه البعض على الحروف الخمسة التي أضيفت للكتابة القديمة ذات الحروف العشرة (المنزّلة من عند الله)**!** وشرحوه على أنه يعني **"الدليل على العمل والتوسّع، ويعتقدون أنها من وضع البشر"**[341]. وقد نجد في هذا اللفظ شيئاً من هذا المعنى، فإذا حُذفت تاء التأنيث في أوله ونون الجمع في آخره، وكاف الضمير، يصير لفظاً عربياً بدون منازع، هكذا: (يدّب) ربما تسهيلاً للفعل (يؤدّب) وهو فعل ماض بالصيغة الأمازيغية، لأن في لهجة فساطو (غربي ليبيا الحالية) يُصرّف هذا الفعل هكذا: (يدّب، أيدّب، أيدّاب) ويقابل التصريف العربي الفصيح: (أدّب، يؤدّب، تأديباً) ويتفق معه في المعنى. وفي عامّية المغرب العربي عموماً يُسمّى مدرّسُ القرآن الكريم (مِدِّب) أي (مُؤَدِّب) وهو المربّي الذي يعمل على توسيع مدارك التلاميذ الصغار، فيتفق معنى هذا اللفظ مع معنى لفظ (تيدبكن).

---

[341] عمر: **<u>نفس المصدر السابق</u>**، ص229.

الفصل الثالث:

التيفيناغ

اهتمام التوارق بالكتابة والديمومة على استعمالها

تمهيد:

علمنا -في الفصل السابق- أن قدماء الليبيين -في أول عهدهم- استخدموا كتابة لم يُعثر على أكثر من عشرة منها، فاعتبرها المؤرخون بداية دخول الليبيين القدامى إلى مرحلة الكتابة والتدوين. وقد أطلق البعض اسم (تيفيناغ) على تلك الحروف، وقال أنه يعني (المنزّلة من عند الله)، غير أنه -حسب الواضح- يعني (الحروف الفينيقية أو المشتقة منها). ثم زيدت حروف أخرى في عهد الإغليد النوميدي (مسينيسا)، فاكتملت بذلك الكتابة الليبية القديمة التي اصطلح على تسميتها بـ(الكتابة النوميدية)، وباتت تُكتب -جنباً إلى جنب- مع الكتابة (البونيقية) أو (القرطاجية) في نصوص قصيرة لا تتعدى مشاهد القبور. وظلت على تلك الحال إلى زمن التواجد الروماني بالشمال الأفريقي، حيث بدأت تختلط بالنقوش اللاتينية -كتابةً ولغةً- إلى أن اختفت من الوجود، كذلك الكتابة (البونيقية)، خصوصاً في زمن الاكتساح الوندالي الذي خرّب كل شيء ولم تسلم منه روما نفسها.

وفي نفس تلك الفترة الزمنية كان (التوارق) يكتبون بحروف لا تختلف كثيراً عن الكتابة النوميدية الشمالية. وقد أطلق التوارق على حروفهم تلك اسم (التيفيناغ) أيضاً، دون تقديم شرح لمعناه، وظلوا يستخدمونه إلى عهد الإسلام حيث حلّ محله الحرف العربي، حرف القرآن الكريم، وانحصر استعمال التيفيناغ في نطاقات محدودة جداً لا تتجاوز النساء وبعض الخدم، يتكاتبون به فيما بينهم إلى عهد قريب من الآن. وبالمناسبة فكل سكّان الشمال الأفريقي هجروا كتاباتهم القديمة، وتناسوا لهجاتهم العديدة مباشرة بعد اعتناقهم الإسلام، فلم يكتبوا بغير الحرف العربي ولم يتكلّموا بغير اللغة العربية، خصوصاً في الجوانب الدينية والمحافل الرسمية والمناسبات العامة، إلى أن جاء الاستعمار الفرنسي في منتصف القرن التاسع عشر فأثار بينهم النّزْعات القديمة وشجّع البعض على إحياء الحروف واللهجات الأولى بحجة العودة إلى الأصالة والحفاظ على الثقافة الأمازيغية، إمعاناً في التفرقة والتجزئة. وكان للمستكشفين الفرنسيين -ضمن الخطة الاستعمارية الشاملة- أسبقية الوصول إلى اكتشاف آثار الكتابات الليبية القديمة، من بينها (التيفيناغ). إلى جانب اهتمامهم باللهجات الليبية القديمة (الأمازيغية) بهدف إعطائها خصوصية تميزها، بل وتُبعدها عن أصولها الشرقية، والوصول بها إلى أنها بعيدة كل البعد عن العروبة والإسلام، وهذا بيت القصيد. إلى درجة أنهم رأوا

حروف (التيفيناغ) أقرب إلى الحروف اللاتينية، بحجة اعتمادها على التربيع والانفصال، وهما من شيم الكتابات الأوروبية حسب اعتقادهم، ناسين أو متناسين أن الأبجدية الفينيقية (الكنعانية) كانت - مثل سابقاتها العربيات- منفصلة الحروف، وأن حروف أجدادهم الإغريق والرومان أصلها فينيقي كنعاني شرقي باعتراف كبار مفكّريهم ومؤرّخيهم قديماً وحديثاً.

سيتعرّض هذا الفصل لدراسة حروف (التيفيناغ) ومراحل تطوره، وكذلك الكتابات التي استمد منها أصوله. وقد وجد مقدِّم هذا البحث نفسه مضطراً للرجوع -بين الحين والآخر- لكتابه سابق النشر المخصص للكتابة الليبية القديمة، ومن بينها حروف (التيفيناغ)[342].

أولا= اكتشاف (التيفيناغ) في منطقة التوارق:

1- من هم التوارق؟:

أ- موطنهم: ينتشر التوارق في جزء كبير من "**الصحراء الكبرى ما بين حدود جمهورية مالي الشمالية الغربية مع موريتانيا إلى حدود السودان مروراً بشمال مالي وشمال النيجر وشمال تشاد وجنوب غربي ليبيا وجنوب شرقي الجزائر**"[343]. وينقسم التوارق إلى ثلاث فئات رئيسية حسب هذا التوزيع الجغرافي: "**طوارق جبال أفوغاس بمالي، وطوارق جبال الهقار بجمهورية الجزائر، وطوارق جبال تاسيلي**"[344] بليبيا.

ب- أصولهم: تتفق عدة مصادر على أن التوارق من أصل عربي، قدموا من اليمن عبر مضيق باب المندب مروراً بالحبشة والسودان، واستقروا -بادئ الأمر- في الجنوب الليبي وتكاثروا فيه، إلى أن وصلوا -شيئاً فشيئاً- إلى غربي أفريقيا. ويقال أن أفريقيش بن صيفي الحميري استجاش قبائل شتى من اليمن واتجه بهم إلى المغرب، وكان أكبر تلك القبائل قبيلتا (صنهاجة وكتامة). إذ يقال أن التوارق من أصل (صنهاجة) وهي الأكبر، حيث تضم أكثر من سبعين قبيلة أشهرها (جدالة ولمتونة ومسوفة). وقد أطلق عليهم العرب بعد الإسلام اسم (الملثمين) للزومهم عادة التلثم ووضع العمائم على رؤوسهم[345]. وكانت دولة المرابطين في المغرب الأقصى منهم بقيادة عبد الله بن ياسين وإبراهيم الجدالي (427 هـ. 1035م). فكان لهم دور كبير في نشر الإسلام والثقافة العربية بغرب

---

[342] الصويعي، عبد العزيز سعيد: **أصول الحرف الليبي**، ط1، 1999، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس/ ليبيا، ص ص329-393.

[343] القشاط، د. محمد سعيد: **التوارق.. عرب الصحراء**، ط2، 1989، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، طرابلس/ ليبيا، ص17.

[344] الدالي، د. الهادي المبروك: **قبائل الطوارق.. دراسة وثائقية**، ط1، 2006، ؟، ص ص7-8.

[345] كما أسماهم الفرنسيون (الزرق) نسبة إلى جلابيبهم الزرقاء عادة.

أفريقيا[346]. إلى جانب المساعدة التي قدّمتها صنهاجة وكُتامة لأبي عبد الله المهدي مؤسسة الدولة الفاطمية في المغرب الأدنى قبل انتقالها إلى مصر، وبقي بنو زيري يحكمون المغرب باسم الدولة الصنهاجية.

ج- تسميتهم بالتوارق: التوارق (بالتاء) أو الطوارق (بالطاء): وفيهما تعاقب وإبدال التاء بالطاء، وهذا شائع في العربية ولهجاتها. وكذلك في المصادر الغربية التي تعبّر عن التاء والطاء بحرف واحد وهو (T). أيضاً الطوارق (بالقاف) أو التوارك (بالكاف): فأما بالقاف فيرجعها البعض إلى المصدر (طرق) لأنهم طرقوا الصحراء وتوغّلوا فيها، أو أنهم انتسبوا للقائد (طارق بن زياد)، وأما بالكاف فيعتقد البعض أن **"هذه الكلمة قد اشتقت من اسم الوادي الذي تسكن فيه قبائل الملثمين القريبة من العواصم المغربية في الشمال، وهو وادي (درعة) الواقع جنوبي مراكش، الذي يسمى بالطارقية (تاركًا)، ومعناه الوادي أو مجرى النهر، والنسبة إلى (تاركًا) (تارك) وجمعه (توارك)"**[347]، ويحتمل أن هذه التسمية أخذت عن مصادر أجنبية لا يوجد في لغتها حرف القاف فاستعيض عنه بحرف (K). أيضا التوارق (بالقاف) أو التوارغ (بالغين): فأما بالقاف فقد سبق ذكره، وأما بالغين فيعود إلى تعاقب وإبدال القاف بالغين كما في العربية ولهجاتها. علاوة على ذلك فإن **"العرب أطلقوا عليهم اسم التوارق نسبة لقبيلة (تارغا)، إحدى قبائل (ليبيا) القاطنة في الصحراء الممتدة من المحيط إلى غدامس في القرن التاسع الهجري"**[348]. لهذا سمّوا بالوادي (تارغا) أو (تارقا) وهو الاسم التارقي للوادي الواقع بمنطقة (وادي الآجال) سابقاً و(وادي الحياة) حالياً بجنوب ليبيا، بذا يكون الاسم الحقيقي لهؤلاء القوم: التوارق (بالتاء والقاف) رغم كل الاختلافات السابقة.

2- اختلاف عدد حروف (التيفيناغ) المكتشفة:

أول مكتشف لحروف التوارق (التيفيناغ) كان العالم الفرنسي الدكتور (أودني Oudney) في منطقة (مرزق) بالجنوب الليبي (حالياً) سنة 1882، فكانت تسعة عشر حرفاً[349]. ويقول (أودني) واصفاً حروف (مرزق): **"توجد الرموز الطوارقية على كل حجر تقريباً، ولا يهم أن تكون الحروف مكتوبة من اليمين إلى اليسار أو العكس أو عمودياً"**[350]. ولعلّ هذه الحروف التسعة عشر تثير فينا

---

[346] للمزيد يُرجع إلى: ابن خلدون، عبد الرحمن: **كتاب العبر**، ج6، ص192 وص ص241-243 وص ص370-371. والقشّاط: **مصدر سابق**، ص ص20-27. والدالي: **نفس المصدر السابق**، ص ص12-15.
[347] القشاط: **مصدر سابق**، ص27.
[348] القشاط: **نفس المصدر السابق**، ص29.
[349] عمر، د. أحمد مختار: **تاريخ اللغة العربية فى مصر والمغرب الأدنى**، ط؟، 1992، عالم الكتب، القاهرة/ مصر، ص230.
[350] عمر: **نفس المصدر السابق**، نفس الصفحة.

تساؤلاً: هل هي نفسها الحروف النوميدية الأولى التسعة عشر سالفة الذكر في الفصل السابق، أم هي مختلفة عنها؟ وهل الكتابة الليبية القديمة كانت أصلاً في الجنوب ثم انتقلت إلى الشمال، أو العكس؟ وهذا ما لا يمكن معرفته الآن، ولعلّ الصدفة كان لها دورها في توافق هذا الرقم الذي تحويه الكتابتان. وكل ما يمكن معرفته الآن، هو أن الكتابتين لم تكتفيا بتلك الحروف التسعة عشر. فقد قدّم لنا مكتشفٌ فرنسيٌ آخر، وهو (هانوتو Hanoteau) قائمة جديدة لحروف التيفيناغ عددها 23 حرفاً[351]. ونظراً لقرب أصوات اللغة العربية واللهجات التارقية، فإن التيفيناغ له 19 حرفاً تتطابق -في قيمها- الصوتية مع الأبجدية الفينيقية (الشمالية)، مضاف إليها 4 حروف معجمة، وهي: (خ ض ظ غ) كالروادف التي أضافها عرب جنوب الجزيرة على الحروف الشمالية، وهي: (ث خ ذ ض ظ غ). وقد يعود اختلاف عدد الحروف المكتشفة إلى قدرة المستكشفين الفرنسيين واجتهادهم أثناء البحث والتنقيب، من جهة، وتشابه أو اختلاف بعض الحروف في الشكل أو في النطق، من جهة ثانية. وبناءً على ذلك، فقد قدّم لنا المؤرخون العرب حروفَ التيفيناغ مختلفة العدد أيضاً. فقدّمها هبّو في 24 حرفاً[352]، وقدّمها القشّاط في 22 حرفاً[353]، وقدّمها دبّوز في 24 حرفاً[354] مختلفةً عن قائمة هبّو. ووجدنا لوحةً بمدينة غدامس بالجنوب الليبي بها 22 حرفاً[355] مختلفةً عن قائمة القشّاط، وهكذا..

أما اتجاه الكتابة عند التوارق، فمثلما ذكر مكتشفها (أودني)، كانت في عدة اتجاهات. حيث كُتبت من اليمين إلى اليسار، ومن اليسار إلى اليمين، كما

---

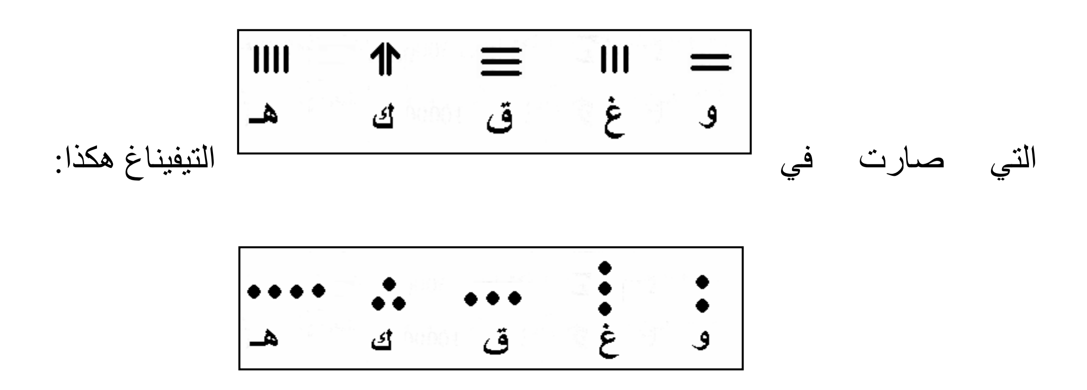
351. عمر: **نفس المصدر السابق**، نفس الصفحة والصفحة التي تليها.
352. هبّو، د. أحمد: **الأبجدية.. نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب**، ط1، 1984، دار الحوارللنشر والتوزيع، اللاذقية/ سوريا، ص186.
353. القشّاط: **مصدر سابق**، ص13.
354. دبّوز، محمد علي: **تاريخ المغرب الكبير**، ج1، ط1، 1964، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة/ مصر، ص62.
355. زيارة خاصة لمدينة غدامس سنة 1988.

كُتبت من أعلى إلى أسفل، ومن أسفل إلى أعلى. وكُتبت أيضاً بطريقة (حراثة الثور Boustrophedom)، أي يبدأ الكاتب سطره الأول من اليمين إلى اليسار ثم يواصل سطره الثاني من اليسار إلى اليمين، ويعود بسطره الثالث من اليمين إلى اليسار، وهكذا.. وهي طريقة تحاكي سير المحراث التي كانت متبعةً في الكتابات القديمة، ووُجدت بكثرة عند قدماء اليمنيين. إلاّ أنه بعد الفتح الإسلامي استحسن التوارق طريقة العرب في تسيير كتابتهم من اليمين إلى اليسار فاستعملوها إلاّ نادراً.

3- الفرق بين الحروف النوميدية وحروف (التيفيناغ):

إضافة للقوائم السابقة التي قدّمها لنا المؤرخون لحروف التيفيناغ، كانت هناك قوائم أخرى للحروف النوميدية (الشمالية)، ومن خلالها يمكن مقارنتها بحروف التيفيناغ. وعند تفحصها وجدنا أن التوارق استخدموا معظم الحروف النوميدية كما هي تقريباً، باستثناء ظاهرة واحدة ملفتة للنظر، وهي تحويل خمسة حروف تعتمد على خطوط أفقية وعمودية إلى نقط متراصة أفقياً وعمودياً، وهي: (و غ ق ك هـ)، كما في الصورة:

التي صارت في التيفيناغ هكذا:



4- حروف عربية ليست في التيفيناغ:

لم يستعمل التوارق في الجنوب -ولا النوميديون في الشمال- خمسةً من الحروف العربية، وهي (ث ذ ح ص ع)، رغم وجود الـ(ح ص ع) في الفينيقية، أما الـ(ث ذ) فهما من بين الروادف التي أضافها عرب الجنوب إلى كتابتهم، كما ذُكر. وهذا لا يعني أن التوارق وقدماء الليبيين لم يستخدموا في كلامهم هذه المخارج رغم عدم وجود حروف خاصة بها في كتابتهم. بل يبدو أن النوميديين استخدموها قديماً مثلما استخدمها التوارق حديثاً. والدليل على ذلك وجود هذه الظاهرة عند سكّان أفريقيا الشمالية المعاصرين.

1- حرف الثاء (المثلّثة): معظم الليبيين حالياً ينطقون أحياناً -في عاميّتهم- الثاء (المثلّثة) تاءً (مثنّاة)، مثل: (تلاتة بدل ثلاثة) و(تروة بدل ثروة).. ويعكسون ذلك أحياناً أخرى فيقولون مثلاً: (ثُرات بدل تُراث)، و(ثراب بدل تراب).. أما في الأمازيغية (أو التماشق التارقية) فيقلون مثلا: (إتري أي الثرية)، و(تمطوت أي المرأة: من الطمث).. وحتى وإن نطقوا الثاء المثلّثة ثاءً، فهم يكتبونها تاءً مثنّاة لعدم وجود رمز يمثلها في التيفيناغ.

2- حرف الذال (المعجمة): وهو أيضاً حرف مبدّل من الدال في العامية الليبية عموماً، خصوصاً عند سكّان منطقة الجبل الغربي. فيقولون أحياناً مثلا: (دراري بدل ذراري: أي الذرية)، و(ديب بل ذيب: أي ذئب).. ويعكسون ذلك أحياناً أخرى فيقولون مثلاً: (مذير بدل مدير)، و(ذكّان بدل دكّان).. ورغم أن التوارق ينطقون هذا الصوت، إلاّ أنهم لم يضيفوا لحروفهم رمزاً خاصاً به، فاكتفوا باستعمال حرف (الدال) لكلا الصوتين.

3- حرف الصاد (المهملة): وهو في العربية الفصحى مبدّل من السين، وفي ذلك شواهد عديدة أوردها ابن جنّي وغيره. وقدماء الليبيين -وكذلك قدماء المصريين- أهملوا هذا الصوت، ولكن الفينيقيين -وكذلك قدماء اليمنيين- أوردوه ضمن أبجديتهم. غير أن تعاقب حرفي الصاد والسين لا تزال آثره واضحة على أفواه كل العرب تقريباً، فكثير من يقول مثلاً: (رصول بدل رسول)، و(صورة القرآن بدل سورة)، و(فلصطين بدل فلسطين).. وغيرها من الأخطاء الشائعة.

4-حرف العين (المهملة): لم يستخدم قدماء الليبيين حرف العين رغم وجوده في الفينيقية والمصرية واليمنية القديمتين. واستخدم التوارق عوضاً عنه حرف (الغين) الموجود في اليمنية الجنوبية فقط. وعندما اختلطوا بالعرب -ربما بعد الفتح- استخدموا العين منطوقاً لا مكتوباً، حيث كانوا يمثلونه برمز حرف الغين، فيكتبون مثلاً: (غائشة وينطقونه عائشة)، و(إسماغيل وينطقونه إسماعيل)، و(السلام غليكم وينطقونها السلام عليكم)..

5-حرف الخاء (المعجمة): وهو حرف لم يوجد في اللغة الليبية القديمة الشمالية (النوميدية)، وكذلك في اللغة الفينيقية. ولكنه وُجد في المصرية واليمنية القديمتين. وعندما اختلط أهل الجنوب الليبي باليمنيين والأحباش بدأت مؤثرات اللغة العربية الجنوبية تظهر على كلام الليبيين، فدخل حرف (الخاء) العربية في صميم لهجات التوارق، واختير له رمز يبدو أنه مستنبط من الكتابة الأمهرية (الحبشية). واستعاضوا عنه بحرف الحاء (المهملة). وهذا الحرف الأخير ينطقونه أحياناً خاءً وأحياناً أخرى هاءً. فبالنسبة للخاء، يقول التوارق مثلاً: (أخمادي يا الله: أي الحمد لله)، و(اتخرر: أي سنحرر).. أما بالنسبة للهاء، فيقولون مثلاً: (ايهرنيس: أي يحرس)، و(ايهانان: أي حنان)..

ثانياً= أصول (التيفيناغ):

اختلف المؤرخون في إرجاع التيفيناغ إلى أصوله الأولى، **"فبعضهم يرده إلى المصريين، وبعضهم إلى اليونانيين، وبعضهم إلى الوندال، وبعضهم إلى السبئيين، وبعضهم إلى الأثيوبيين. كما أن بعضهم يربطه بالصفوية والثمودية المنسوبتين إلى شمال الجزيرة العربية"**[356]. لنناقش هذه الفرضيات:

1- النظرية المصرية: لا نستبعد أن الجرمنتيين (سكّان منطقة فزان بالجنوب الليبي) هم أول من استعمل كتابة استمدّت أصولها الأولى من الكتابة المصرية خصوصاً الهيراطقية. وهذا الاعتقاد تؤيده العلاقات التي كانت تربط الجرمنتيين بالمصريين خصوصاً الصعيد. حيث وُجدت كتابات بمدينة جرمة عاصمة الجرمنتيين تعتمد على الخطوط كالتي وُجدت بصعيد مصر. وكنتيجة لتحركات الجرمنتيين الدؤوبة عبر طرق القوافل التجارية في اتجاهي الشرق والشمال، ومع مرور الزمن، التقت الكتابتان (الجنوبية الجرمنتية، والشمالية النوميدية) مشكّلة الكتابة الليبية القديمة التي تحدّث عنها المؤرخون. خصوصاً وأن في تلك الفترة كانت الحاجة ماسّة للتعامل بلغة الأرقام وتدوين المعاملات التجارية من بيع وشراء ومقايضة وغيرها من الأمور التي تعجز ذاكرة الإنسان على الاحتفاظ بها، فيضطر لتدوينها بأية وسيلة. وهذا ما حصل فعلاً مع كل الشعوب التي سبقت الليبيين إلى الكتابة والتدوين.

وإذا سلّمنا بمسألة تقليد الجرمنتيين لقدماء المصريين في طرق كتابتهم، فإننا نرى أن ذلك حصل في زمن سابق لظهور قوّة نوميديا في الشمال، أي قبل ظهور الكتابة البونيقية والنوميدية. فقد صرّح المؤرخون الأوروبيون بأن **"بعض الرموز الخطية** (أي المؤلفة من خطوط) **التي وُجدت على الأواني الفخارية المصرية القديمة جدّا، تتطابق مع تلك الموجودة في الرموز الليبية الطواقية"**[357].
إذن لا غرو إذا قلنا أن ليبيي الشمال استعاروا رموز الكتابة التي استعملها ليبيو الجنوب بما فيها من أثر مصري. فقد ظهرت بعض الرموز الخطية على الكتابة النوميدية، تلك الرموز التي نقلها الجرمنتيون عن إخوانهم المصريين، لأن الصلة بهم كانت أوثق بحكم القرب.

2- النظرية اليونانية: إن الإغريق عندما جاءوا إلى الجبل الأخضر لم يختلطوا بالليبيين، إذ لم يتوغّلوا في الداخل الليبي، بل عاشوا داخل أسوار مدنهم وعاصمتها (قورينا). وهذا ما لمسناه من المؤرخين الإغريق أنفسهم، فقد ذكروا أن التنافر كان على أشدّه بين الإغريق كمستعمرين والليبيين كأصحاب الأرض الأصليين، ولعل الآثار اليونانية الباقية في المنطقة تؤكد ذلك. أما عن موضوع

---

[356] عمر: **مرجع سابق**، ص232.
[357] عمر: **نفس المرجع السابق**، نفس الصفحة.

الكتابة فإن الإغريق أنفسهم أخذوا رموزهم أصلاً من الفينيقيين، ولا بد أنهم كانوا يستخدمونها عندما جاءوا إلى ليبيا، أو ربما تعلّموها بعد بناء مدينتهم قورينا في القرن السابع قبل الميلاد، أي في زمن متقارب مع زمن بناء قرطاجة من قبل الفينيقيين. وهناك من يقول أن الإغريق أخذوا الكتابة من الفينيقيين بعد استقرارهم في قرطاجة. في ذاك الوقت كان الجرمنتيون يسيطرون على الصحراء الجنوبية وجبالها، ويتصلون بصورة دائمة مع المصريين في الشرق ويحرسون قوافل الفينيقيين القادمة من الشمال الغربي، ونادراً ما كانوا يتصلون بقورينا، فقد أورد الكتّاب الإغريق أخباراً محتشمة عن الجرمنتيين عندما كانوا يأتون -بين الحين والآخر- إلى الساحل.

إذن ففرضية وجود أصل يوناني على (التيفيناغ) باطلة، ولا أساس لها من الصحة، وإنما هي بدعة أراد بها الكتّاب الغربيون تثبيت بصمات أجدادهم على الحضارة الليبية. حتى وإن تشابهت بعض رموز التيفيناغ مع الحروف اليونانية، فهي من الأصل الفينيقي الذي كان المصدر الرئيسي للكتابة اليونانية ذاتها، كما سبق الذكر. أما معظم حروف التيفيناغ فمستمدة من الأبجدية الفينيقية مباشرة وبدون وسيط يوناني.

<u>3- النظرية الرومانية</u>: لم تؤكد هذه النظرية وجود أصل روماني على التيفيناغ، والكتابة الليبية القديمة عموماً، لأن الوجود الروماني بليبيا كان بعد نهاية الحروب البونية، في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد. وهو زمن متأخر جداً عن الوجود الفينيقي في شمالي أفريقيا، وهذا ما حال دون تسرّب أي أثر كتابي على الحروف الليبية والبونيقية. علاوة على أن الرومان ورثوا عن الإغريق كتابتهم فينيقية الأصل، ولا يجوز أن تؤثر الفروع على الأصل. بل أن الآثار الرومانية في (لبدة وصبراتة) لا زالت تحتفظ بكتابة لاتينية متأثرة بالكتابة الليبية حسبما ذكره (غود تشايلد Good Child)[358]، حيث وُجدت رموزٌ ليبية جنباً إلى جنب مع الرموز اللاتينية.

<u>4- النظرية الوندالية:</u> الوندال قوم من أصل جرماني زحفوا على فرنسا وإسبانيا، ثم جازوا الزقاق ودخلوا شمالي أفريقيا سنة 429 ميلادية، وحوّلوا أرضه مسرحاً للحرب مع الرومان، إلى أن استولوا على طرابلس. وكانوا -في بادئ الأمر- يُبدون شيئاً من المرونة مع الليبيين نكاية في أعدائهم الرومان، مما حقق استقراراً نسبياً خاصة في نوميديا. لم يضف الوندال طيلة قرن من الزمان شيئاً عما فعله الرومان، بل استولوا على الأبنية والمزارع والمعاصر وهدموا الكنائس الكاثوليكية

---

[358] عمر: **<u>نفس المرجع السابق</u>**، ص225.

المناقضة لمذهبهم الأريوسي. إلى أن ثارت عليهم فرق الجمّالة بقيادة القائد الطرابلسي (كاباون)، ودحروهم، بل أفنوهم عن آخرهم[359].

إذن فالوندال عندما قدموا إلى ليبيا لم يكن لديهم مخزون ثقافي باستثناء الهمجية والعنجهية. وبالتالي فنظرية وجود أثر وندالي على التيفيناغ باطلة من أساسها، ولم يعد بعد الآن أي مبرر لإقحامها ضمن أصول الكتابة الليبية القديمة. فهل يجوز لاحتلال همجي مثل الاحتلال الوندالي أن يترك وراءه بصمات إنسانية أو لمسات حضارية؟

5- النظرية السبئية: سكن اليمن السعيد وما جاوره شعبٌ حضاري يتحدّر من نسل يعرب بن قحطان، وامتد نفوذه إلى وسط شبه الجزيرة العربية وشمالها. وكان له قلم خاص عُرف عند مؤرخي العرب باسم (المُسند)، وعند المستشرقين باسم (الكتابة العربية الجنوبية القديمة). وقد ارتبطت كتابة المُسند بلهجات أقوام يمنية متعددة كالمعينية والسبئية والقتبانية والحضرمية والحميرية. امتد تاريخها **"ما بين القرن الثامن قبل الميلاد إلى السابع الميلادي"**[360]، حيث انقرضت وحلّت محلّها الكتابة العربية الشمالية المختلطة بين النبطية والمُسند اليمني.

كان اليمنيون في الجنوب كالفينيقيين والآراميين في الشمال من حيث نزوعهم للتنقل والترحال وحبهم للمغامرة والبحث عن الثرى بواسطة التجارة. ويرى كثير من مؤرخّي العرب أن اليمنيين وصلوا أيضاً إلى شمالي أفريقيا منذ القديم. ويُعتقد أنهم جاءوا إلى الجنوب الليبي عبر الحبشة والسودان القديم، وربما تعاملوا مع الجرمنتيين، ويؤيد هذا الرأي اعتراف التوارق الحاليين أنهم من صنهاجة أكبر القبائل التي جاء بها أفريقش بن قيس بن صيفي الحميَري. كما أن بعض الآثار الكتابية اليمنية وُجدت على التيفيناغ أيضاً. وبالتالي فإن فرضية تأثير المُسند على كتابة التوارق واردة، بل تفرض نفسها بقوّة. لأن كثيراً من حروف التيفيناغ تتطابق إلى حد كبير مع حروف المُسند حتى وإن اختلفت عنها في القيمة الصوتية، ولكن قليلاً منها متطابق رسماً وصوتاً.

6- النظرية الصفوية والثمودية: انبثقت عن حروف المُسند اليمني ثلاثة خطوط فرعية وُجدت في الشمال لا في اليمن نفسها. وهذا سبب تسميتها بالكتابة الشمالية. وهي: الكتابة اللحيانية (نسبة إلى إحدى القبائل العربية البائدة)، والكتابة الثمودية (نسبة إلى قبيلة ثمود المعروفة، والبائدة أيضا)، والكتابة الصفوية (نسبة إلى منطقة الصفا في حوران)[361]. وكل هذه الكتابات مبنية على أساس المُسند اليمني، مُحرّفة تحريفات طفيفة تتماشى -على ما يبدو- مع أساليب اللهجات العربية

---

[359] أنظر: صفر، أحمد: **مدنية المغرب العربي في التاريخ**، ج1، ط؟، 1959، دار النشر بو سلامة/ تونس، ص ص382-392. كذلك خشيم، د. علي فهمي: **نصوص ليبية**، ط2، 1975، دار مكتبة الفكر، طرابلس/ ليبيا، ص89.

[360] هبّو: **مصدر سابق**، ص92.

[361] هبّو: **نفس المصدر السابق**، ص ص90-91.

المتداولة عند قبائل الشمال. ولكن أثراً لحيانياً ثمودياً صفوياً وُجد على التيفيناغ، وهذا ما لم نلاحظه على الكتابة النوميدية الشمالية. فما علاقة الجرمنتيين بتلك القبائل يا ترى؟ كل ما نستطيع معرفته حتى الآن هم أن عرباً من شمال الجزيرة جاءوا في عام الفيل إلى ليبيا ونشروا فيها زراعة النخيل، على ذكر بعض المؤرخين العرب القدامى، ولعلّ واحات النخيل المنتشرة في حوض فزّان تؤيد ذلك. (وهذه بعض الحروف المقارنة):

	تيفيناغ	ثمودي		تيفيناغ	ثمودي		تيفيناغ	صفوي		تيفيناغ	صفوي
ط	ⴺ	-ⵀ-	ظ	#	#	ن	I	I	ج	⋈	Λ
ب	⊐	ш	ز	ⵣ	ⵣ	ظ	#	#	ز	ⵣ	T
ت	+	+	ل	ǁ	┕	ت	+	x	ش	ⵛ	ⵉ
ر	◻	┙	د	⊓	⊔	ر	◻	⊐			

<u>7- النظرية الأثيوبية</u>: ظهرت الكتابة الأثيوبية بعد تأسيس مملكة أكسوم الحبشية التي ازدهرت حضارتها في "**القرن الرابع الميلادي بفعل عرب الجنوب**"[362]. فكانت بدايتها يمنية خالصة، إلاّ أنها اتخذت خطّاً خاصاً أثناء مراحل تطورها. فبعدما كانت حروفها تُكتب من غير حركات كاليمنية، بدأت تظهر عليها حركات على هيئة نقط، التصقت أخيراً بجسم الحرف اليمني وصارت جزءاً منه، فابتعدت الكتابة الأثيوبية قليلاً عن كتابة المسند، خصوصاً بعد أن تغيّر اتجاهها من اليسار إلى اليمين أثناء التبشير المسيحي في أثيوبيا. واستمرت هكذا إلى الوقت الحاضر لتعبّر عن اللغة الأمهرية. والغريب أن من بين اللهجات التي في أثيوبيا تُسمّى (تغري)، وهو لفظ نجده في لهجة (فساطو) بالجبل الغربي في ليبيا (الحالية)، ويعني (القراءة) مع تعاقب حرفي (غ) و(ق). وكانت الهمزة التي أضيفت إلى الكتابة الليبية القديمة تُسمى (نقطة تغريت) أي (نقطة القراءة). وهذا التوافق في اللفظ يوحى بأن علاقة ما كانت قد ارتبطت بين اللغتين (الليبية القديمة) و(الأثيوبية)، مما يشير إلى مصدرهما الأول: اللغة والكتابة اليمنيتين. ويبدو أن تلك العلاقة كانت قائمة منذ أن كانت حدود المملكة الأثيوبية تتصل بالصحراء الليبية وتمر بها طرق الهجرة من اليمن إلى ليبيا عبر باب المندب منذ الأزمان القديمة. ومن أهم الآثار الأثيوبية التي لاحظناها على التيفيناغ تلك الحروف التي على هيئة نقط تشبه الحركات الأثيوبية عندما كانت منفصلة على حروفها، وذلك مثل الحروف والأصوات التي وُجدت في التيفيناغ ولم توجد في الكتابة الليبية القديمة (النوميدية)، مثل (الألف:

---

[362] هبّو: **<u>نفس المصدر السابق</u>**، ص92.

نقطة واحدة)، الواو (نقطتان متعامدتان)، وهما حرفان يعبّران عن المد في الأثيوبية. كما دخل حرف جديد إلى لغة التوارق (التماشق) لم يوجد في (النوميدية)، وهو حرف (الخاء)، فكان على هيئة (أربع نقط متقابلة)، وهو شكل متكرر كثيراً في الكتابة الأثيوبية دليلاً على أنه حركة أو حرف مد. لذا تكون نظرية التأثير الأثيوبية على التيفيناغ مقبولة إلى حد كبير.

8- النظرية الفينيقية: ناقشنا جزءاً من هذه النظرية عند الحديث عن الأصل الفينيقي للكتابة الليبية القديمة. ونعود الآن مع الكتابة الليبية الحديثة (التيفيناغ)، لنرى كيف أثرى المؤرخون هذه النظرية وتشيّعوا لها. فهذا (جورج جيرستر) يقول في حديثه عن النقوش الصخرية في الجبال بمنطقة التوارق: "**وتحمل الصور الصخرية للجمال عادةً كتابات منقوشة وتحت الرموز** (كذا) **إلى نظام الكتابة الليبية المشتقة من الحروف الفينيقية التي كانت مستعملة في البحر الأبيض المتوسط عندما كانت قرطاجة في ذروة قوتها، ولا ريب أن كتابة التوارق تقوم دليلاً على ذلك**"[363]. ومن ناحية أخرى أثبت (هالفي) في أواخر القرن التاسع عشر، أن بعض الحروف التوارقية مأخوذة من الفينيقية التي وُجدت في شمال أفريقيا، ولاحظ أن "**ستة رموز من بين الرموز الليبية تتماثل في شكلها وفي قيمتها الصوتية مع الرموز الفينيقية**"[364]. ويعترف المؤرّخون المغاربة بهذا التأثير، فيقولون: "**وكان تأثر البربر** (الليبيين) **بالفينيقيين الذين حلّوا في قرطاج وأنشأوا فيها دولتهم العظمى كبيراً، وقد اقتبسوا منهم كثيراً من العادات وتأثروا بهم في كل نواحيهم، كما تأثر الفينيقيون بالبربر** (الليبيين)**، وإذا كان اعتداد البربر** (الليبيين) **بخطّهم ... فلا بد أن يرقوه ويتمّموه ويحسّنوا حروفه، ويزيدوا في عددها باقتباس بعض الحروف الفينيقية**"[365].

وبغضّ النظر عمّا أثبته المؤرخون من تأثير فينيقي على الكتابة الليبية القديمة، إلاّ أنه يكفينا -هنا- اعتراف التوارق أنفسهم بذلك. فهم من أطلق عليه اسم (تيفيناغ) ويعني (الحروف الفينيقية)، ولا يعني ما ذهب إليه قدماء الليبيين وبعض المؤرّخين المعاصرين من أنه يعني (الحروف المنزّلة من عند الله)، كما سبق الذكر.

---

[363] القشّاط: **مصدر سابق**، ص35.
[364] عمر: **مصدر سابق**، ص232.
[365] دبّوز: **مصدر سابق**، ص65.